

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِلْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ زَكْرِيَّا يُحْيَى بْنِ شَرَفِ النُّووي
(٦٢١ - ٦٧٦ هـ)

مُفَقِّهٌ وَعَالِمٌ عَلَيْهِ
مُحَمَّدٌ أَحْمَدُ



دَارُ النُّشْأَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة السادسة
١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

استرأ الشيخ رزي دمشق رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
بيروت - لبنان ص ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧
فاكس: ٧٠٤٩٦٣ / ٩٦١١ ..
e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِلإِمَامِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي زَكَرِيَّا مَحْبِيِّ بْنِ شَرْفِ النَّوَوِيِّ
(٦٣١ ~ ٦٧٦ هـ)

حَقَّقَهُ وَعَلَّقَهُ عَلَيْهِ

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ سَارِ

بِإِذْنِ الشَّرِيفِ الْإِسْلَامِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

* الحمد لله وليّ التوفيق، ومُهدي مَنْ استَهْدَاه لأَقْوَمِ الطَّرِيقِ،
* وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الدَّاعِينَ، وإمامِ
الهُدَايَيْنِ،
* وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا
كثيرًا!!

وبعد :

* فَمِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا مَعَشَرَ الْمُؤْمِنِينَ، تَسْهِيلُ طُرُقِ الْهُدَايَةِ،
وَفَتْحُ أَبْوَابِ الْعِلْمِ :

* بِتَسْخِيرِهِ لَنَا هَذِهِ الطَّبَاعَاتِ الْحَدِيثَةَ، الَّتِي تُظْهِرُ الْكُتُبَ
الدَّارِسَةَ مِنَ الْعَدَمِ، وَتُكْشِفُ مَا انْدَرَسَ مِنْ كَلَامِ الْأَوَائِلِ مِنْ أَحْكَامٍ
وَحِكَمٍ!!

* الَّذِينَ وَضَعُوا لِلْمُسْلِمِينَ مَنَارًا وَاضِحًا لِكُلِّ مُسْتَنِيرٍ!!
* وَنَصَبُوا لَنَا عِلْمًا لَا عِوَجَ فِيهِ، وَلَا أَمْتًا، مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَصَلَ،
وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ضَلَّ وَهَلَكَ!!

* فَأَلْفُوا لَنَا الْكُتُبَ وَالرِّسَالَةَ، وَبَيَّنَّا مَا فِيهَا مِنَ الْفَضَائِلِ...!
* وَأَسْتَادُ مَنْ أَلَّفَ وَكَتَبَ، إِمَامُنَا وَمُرْشِدُنَا يَحْيَى بْنُ شَرَفِ
النُّووي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَفَعَنَا بِهِ:

* الْمُحَدَّثُ الْكَبِيرُ، وَالْمُحَقِّقُ النَّحْرِيرُ، وَالنَّاصِحُ الْأَمِينُ!!
* الَّذِي فَاقَ أَهْلَ زَمَانِهِ: عِلْمًا، وَزُهْدًا، وَوَرَعًا، وَاتِّبَاعًا...!
* وَهَذَا أَنَا ذَا! أَفْتَتَحُ بِكِتَابِهِ بُسْتَانَ الْعَارِفِينَ بِبَعْضِ مَا نُقِلَ عَنْهُ مِنْ
ذِكْرِيَّاتٍ طَيِّبَةٍ وَأَثَرٍ، وَمَا كُتِبَ مِنْ أَحْوَالٍ صَحِيحَةٍ وَخَيْرٍ!
* وَإِنْ كَانَ هُوَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُشْهَرَ، وَأَعْرَفُ مِنْ أَنْ يُعْرَفَ، وَلَكِنْ
حَدِيثُهُمْ حَقًّا لَا يَمَلُّ، وَذِكْرُهُمْ دَوَاءٌ لِكُلِّ هَمٍّ وَغَمٍّ...!

وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

* كَرَّمَ عَلَيَّ حَرِيمَتَهُمْ يَا حَارِي

فَخَدِيمَتُهُمْ بِجُلُوسِ الْفُقَرَاءِ الصَّارِي

تَرْبِيَةِ الْمَدِينَةِ الْمَنَوَّةِ
مُحَمَّدُ مُحَمَّدُ الْحَجَّارِ

التعريف بالإمام التتوي

نسبه ، مولده ، اشتغاله بالعلم ، حرصه عليه

* فأقول نقلاً عن تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي مع اختصار بعض العبارات :

نَسْبُهُ :

* هو الإمام، الحافظُ الأَوَّحَدُ، القدوةُ، شيخُ الإسلام، عَلَمُ الأولياء، محيي الدين، أبو زكريا، يحيى بنُ شرف، بن مري، الخزامي، الحوراني، الشافعي صاحبُ التصانيفِ النافعة.

مَوْلِدُهُ وَنَسَبُهُ :

* ولد في المُحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وقَدِمَ دمشق، سنة تسع وأربعين وستمائة!!

* فسكن في الرواحية يتناولُ خبزَ المدرسة، فحفظ التنبية في أربعة أشهر ونصف!!

* وقرأ ربعَ المذهب حفظاً في باقي السنة على شيخه الكمال بن أحمد!!

* ثم حج مع أبيه وأقام بالمدينة المنورة شهراً ونصفاً، ومرض أكثرَ الطريق.

* فذكر شيخنا أبو الحسن بن العطار، أن الشيخ محيي الدين ذكر له أنه كان يقرأ كلَّ يومٍ اثني عشر درساً تقريباً على مشايخه شرحاً وتصحيحاً:

- * ١ - درسين في الوسيط.
- * ٢ - ودرساً في المذهب.
- * ٣ - ودرساً في الجَمْع بين الصحيحين.
- * ٤ - ودرساً في صحيح مسلم.
- * ٥ - ودرساً في اللُّمَع لابن جني.
- * ٦ - ودرساً في إصلاح المنطق.
- * ٧ - ودرساً في التصريف.
- * ٨ - ودرساً في أصول الفقه.
- * ٩ - ودرساً في أصول الدين.

قال: وكنت أعلِّق جميعَ ما يتعلق بها من شرح مشكِّل، وتوضيح عبارة وضبط لغة...!

وبارك الله تعالى في وقتي...!

* وخطر لي أن أشتغل في الطب فاشتغلتُ في كتاب القانون، فأظلم قلبي، وبقيتُ أياماً لا أقدر على الاشتغال به، فأشفقتُ على نفسي، وبعث القانون فنارَ قلبي^(١).

(١) أُقول:

* إن الله تعالى قد أفرد المؤلف لخدمته، واجتباها لمحبته، وسخره لحمل شريعته، وهي من أشرف الخدمات، لأنَّ الطبَّ تعلُّقه بالأبدان، وما عليه الشيخ تعلقه بالأرواح، وشتان بينهما.

اهـ محمد =

سُيُوضُهُ :

* سمع من الرّضِيِّ بن البرهان، وشيخ الشيوخ عبد العزيز بن محمد الأنصاري، وزين الدّين بن عبد الدّائم، وعماد الدّين عبد الكريم الخرستاني، وزين الدّين خلف بن يوسف، وتقي الدّين بن أبي اليسر، وجمال الدّين بن الصيرفي، وشمس الدّين بن أبي عمر وطبقتهم.

* وسمع الكتب الستة، والمسند والموطأ، وشرح السنّة للبغوي، وسنن الدارقطني وأشياء كثيرة.

* وقرأ الكمال للحافظ عبد الغني علاء الدّين، وشرح أحاديث الصحيحين على المحدث ابن إسحاق إبراهيم بن عيسى المرادي، وأخذ الأصول عن القاضي التفليسي.

* وتفقه على الكمال إسحاق المعري، وشمس الدّين عبد الرحمن بن نوح، وعز الدّين عمر بن سعد الإربلي، والكمال سلاّر الإربلي.

* وقرأ اللغة على الشيخ أحمد المصري وغيره.

* وقرأ على ابن مالك شيئاً من تصنيفه.

* ولازم الاشتغال، والتصنيف، ونشر العلم، والعبادة، والأوراد، والصيام، والذكر، والصبر على المعيشة الخشنة في المأكل، والملبس، ملازمة كلية لا مزيد عليها!!

* ملبسه ثوبٌ خام، وعمامته سبجلاية صغيرة.

تَلَامِيذُهُ:

- * تَخْرَجُ عَلَى يَدَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ:
- * الْخَطِيبُ صَدْرُ الدِّينِ سَلِيمَانُ الْجَعْفَرِيُّ، وَشَهَابُ الدِّينِ الْإِرْبِيدِيُّ، وَعَلَاءُ الدِّينِ ابْنُ الْعِطَارِ، وَحَدَّثَ عَنْهُ ابْنُ أَبِي الْفَتْحِ، وَالْمَزْنِيُّ، وَابْنُ الْعِطَارِ...
- * أَحْمَدُ بَنُ الْهَارِثِيِّ، وَصَفِيَّةُ، وَزُهَيْرَةُ:

قال ابن العطار:

- * ذَكَرَ لِي شَيْخُنَا - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - ، أَنَّهُ كَانَ لَا يَضِيعُ لَهُ وَقْتُ: لَا فِي لَيْلٍ وَلَا فِي نَهَارٍ حَتَّى فِي الطَّرِيقِ...!
- * وَأَنَّهُ دَامَ سِتَّ سِنِينَ، ثُمَّ أَخَذَ فِي التَّصْنِيفِ، وَالْإِفَادَةِ، وَالنَّصِيحَةِ، وَقَوْلِ الْحَقِّ.
- * قُلْتُ: مَعَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَجَاهِدَةِ بِنَفْسِهِ، وَالْعَمَلِ بِدَقَائِقِ الْوَرَعِ وَالْمِرَاقَبَةِ، وَتَصْفِيَةِ النَّفْسِ مِنَ الشَّوَابِ، وَمَحَقِّهَا مِنْ أَغْرَاضِهَا!!
- * كَانَ حَافِظًا لِلْحَدِيثِ وَفَنُونِهِ، وَرَجَالِهِ، وَصَحِيحِهِ، وَعَلِيلِهِ، رَأْسًا فِي مَعْرِفَةِ الْمَذْهَبِ.

قال شيخنا الرشيد بن المعلم:

- * عَذَلْتُ^(١) الشَّيْخَ مُحْيِي الدِّينِ فِي عَدَمِ دَخُولِهِ الْحَمَامَ،

(١) العذل:

- * الْمَلَامَةُ، وَقَدْ عَذَلَهُ مِنْ بَابِ نَصَرَ. وَالاسْمُ: الْعَذْلُ، بِفَتْحَتَيْنِ.

أحمد مختار

وتضييق العيش في مأكله، وملبسه، وأحواله، وخَوْفَته من مرض يُعطله
عن الاشتغال فَقَالَ:

إِنْ فَلَانًا صَامَ وَعَبَدَ اللَّهَ حَتَّى اخْضَرَ جِلْدُهُ.

* وكان يمتنع من أكل الفواكه والخيار، وَيَقُولُ:

أخاف أن يُرْطَبَ جسمي، ويجلبَ النوم!

* وكان يأكل في اليوم والليلة أكلةً، ويشرب شربةً واحدة عند

السحر!

قال ابن العطار:

* كَلَّمْتُهُ فِي الْفَاكِهِ فَقَالَ:

دمشق كثيرة الأوقاف، وأملاكٌ مِنْ تحت الحَجَرِ، والتصرفِ لهم،
ولا يجوز إلا على وجه الغبطة لهم، ثم المعاملةُ فيها على وجه
المساقاة^(١) وفيها خلافٌ فكيف تطيب نفسي بأكل ذلك؟؟

* وقد جمع ابنُ العطار سيرته في ست كراريس.

(١) المساقاة:

* هي عقدٌ يتضمنُ معاملةَ الشخصِ غيرَه على شجرِ عنبٍ أو نخيلٍ، ليتعهده بسقي
وتربية على أن له قدرًا معلومًا من ثمره...!

وأما المزارعة:

* فهي معاملةٌ على أرضٍ ببعض ما يخرج منها — والبذرُ من المالك — .

* وهي جائزة في بياض بين نخل وشجر وعنب، تبعاً للمساقاة بشرط اتحاد عقد
وعامل.

* فهذه عقود فيها دقة ولصحتها شروطٌ، وخلافٌ بين العلماء؛ ولذلك لم تطب
نفس الإمام — رضي الله عنه ونفعنا به — فتورع عن الأكل منها تحرجاً. اهـ.

تَصَانِيفُهُ :

من تصانيفه :

- * ١ - شرح صحيح مسلم.
- * ٢ - ورياض الصالحين.
- * ٣ - والأربعين.
- * ٤ - والإرشاد في علوم الحديث.
- * ٥ - والتقريب.
- * ٦ - والمبهمات.
- * ٧ - وتحرير الألفاظ للتنبيه.
- * ٨ - والعمدة في صحيح التنبيه والإيضاح في المناسك، وله ثلاثة مناسك سواه.
- * ٩ - والتبيان في آداب حملة القرآن.
- * ١٠ - والفتاوى^(١).
- * ١١ - والروضة أربعة أسفار.
- * ١٢ - وشرح المذهب إلى باب المصرة^(٢) في أربع مجلدات.

(١) * فقد أكرمني الله لخدمة هذين الكتابين، أعني: التبيان، والفتاوى، من حيث الطباعة الحديثة، والترتيب الحسن، مع بعض التحقيقات الطفيفة، والإضافات اللطيفة! نحمده سبحانه على توفيقه، ونسأله السداد، وحسن الختام.

اهـ محمد

(٢) * من عادة العرب أن تصرّ ضرور الحلويات إذا أرسلوها إلى المرعى سارحة.

* ويسمون ذلك الرباط صراراً، فإذا راحت عشيّاً حُلِبَت تلك الأصرة.

* ١٣ - وشرح قطعة من البخاري وقطعة من الوسيط، وعمل قطعة من الأحكام، وجملًا كثيرة من الأسماء واللغات، ومُسَوِّدة في طبقات الفقهاء ومن التحقيق إلى باب المسافر.

وَرَعَهُ:

* كان لا يقبل من أحد شيئاً إلا في النادر ممن لا يشتغل عليه، أهدى له فقير إبريقاً فقبله.

* وعزم عليه الشيخ برهان الدين الإسكندراني أن يُفْطِرَ عنده فقال:

* أحضر الطعام ونفطر جملة فأكل من ذلك، وكان لونين،

وربما جمع الشيخ بعض الأوقات بين إدامين.

ومنه الحديث:

«لا يَحِلُّ لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُحِلَّ صِرارَ ناقةٍ بغير إذن صاحبها، فإنه خاتم أهلها».

* وقد تكون ضرباً من الغش إذا تركت من غير حلب فترة من الزمن ثم عرضت للبيع للحديث:

«لا تَصِرُوا الإبلَ والغنمَ للبيع، فمن ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظرين من بعد أن يحلبها، إن رضيها أمسكها، وإن سخطها ردّها وصاعاً من تمر». متفق عليه.

وفي رواية:

* «مَنْ اشْتَرَى شاةً مُصْرَاةً فهو بالخيار ثلاثة أيام فإن ردّها ردّها معها صاعاً من تمر».

رواه مسلم

* المُصْرَاة: اسمُ مفعول، من صرّه إذا جمعه، وهي شاة أو ناقة أو بقرة مثلاً:

يُجمع لبثها في الضرع من دون حَلَب فيكثر، فيراها المشتري فيظن أنها كريمة!

* فإذا حلبها ثم جاء وقت الحلب لم يجدها كما اشتراها:

* فله ردّها مع صاع تمر عوض اللبن، قلّ أو كثر.

اهـ. من حسن الأثر

مَوَافِقُهُ مَعَ الْمُلُوكِ :

* وكان يواجه الملوك، والظَّلَمَةَ بالإنكار، ويكتب إليهم، ويخوفهم بالله تعالى!!

كتب مرةً: مِنْ عبد الله يحيى النوي :

* سلامُ الله ورحمته وبركاته على المولى المحسن: ملكِ الأمراء، بدرِ الدين، أدام الله له الخيرات! وتولاه بالحسنات! وبلغه من خيرات الدنيا والآخرة كلَّ آماله! وبارك له في جميع أحواله آمين!!

* إن أهل الشام في ضيق، وضعف حالٍ بسبب قلةِ الأمطار، وذكر فصلاً طويلاً، وفي طي ذلك ورقةٌ إلى الملك الظاهر، فردَّ جوابها ردًّا عنيفاً مؤلماً، فتكدَّرت خواطر الجماعة.

* وله رسالة لغير الملك الظاهر في الأمر بالمعروف.

* وكان شيخنا ابن فرح يشرح على الشيخ الحديث فقال نوبة :

الشيخ محيي الدين قد صار إلى ثلاث مراتب: كلُّ مرتبةٍ لو كانت لشخصٍ لشدَّت إليه الرحال :

* ١ - العلم.

* ٢ - والزهد.

* ٣ - والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...

وَفَاتُهُ:

* سافر الشيخ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - فزار بيت المقدس، وعاد إلى نوى فمرض عند والده!

* فحضرته المنية فانتقل إلى رحمة الله في الرابع والعشرين من رجب سنة ست وسبعين وستمائة!!

* وقبره ظاهر يُزار، قاله الشيخ قطب الدين اليونيني وقال:

* كان أَوْحَدَ زمانه في العلم، والورع، والعبادة، والتقليل، وخشونة العيش!!

* ولد النووي في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة بنوى^(١).

* وكان أبوه من أهلها المستوطنين بها.

* وذكر أبوه - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - أن الشيخ كان نائماً إلى جانبه، وقد بلغ من العمر سَبْعَ سنين، ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان، فانتبه نحو نصف الليل وَقَالَ:

* يا أبت! ما هذا الضوء الذي يملأ الدار؟

* فاستيقظ الأهل جميعاً، قال: لم نر كلنا شيئاً.

* قال والده: فعرفت أنها ليلة القدر.

(١) الوفاة ٦٧٦، الولادة ٦٣١، عمره ٤٥.

* وقال شيخه في الطريق الشيخ ياسين بن يوسف الزركشي :

رأيت الشيخ محيي الدين وهو ابنُ عشرِ سنين بنوى والصبيان
يكرهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم، ويبكي لإكراههم، ويقرأ
القرآن في تلك الحال، فوقع في قلبي حبه ! .

* وجعله أبوه في دكان فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن
القرآن .

* قَالَ : فأتيت الذي يُقرئه القرآن فوصّيته به وقلت :

* هذا الصبي يُرجى أن يكون أعلم أهل زمانه ، وأزهدهم ،
ويتنفع الناس به .

* فقال لي : مُنْجَمٌ أنت ؟ .

فَقُلْتُ :

لا وإنما أنطقني الله بذلك ، فذكر ذلك لوالده فحرص عليه إلى
أن ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام ؛ — رضي الله تعالى عنه وأرضاه ،
ونفعنا به وبعلمه آمين .

نزِيلُ الْمَدِينَةِ الْمُتَوَقِّعَةِ

الْفَقِيرِ إِلَيْهِ تَعَالَى

مَحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ الْحَكَّامُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِلإِمَامِ مُحَمَّدٍ الدِّينِ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنِ شَرْفِ النَّوَوِيِّ
(٦٣١ ~ ٦٧٦ هـ)

حَقَّقَهُ وَعَلَّقَهُ عَلَيْهِ

مُحَمَّدُ رَاجِحُ سَارٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَوَافِقُ وَمَا

۱۳۱۹

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مُقَدِّر الأقدار،

مصرفِ الأمور!

* مَكْوَر^(١) الليل على النهار!! تبصرة لأولي القلوب والأبصار!

* الذي أيقظ من خلقه من اصطفاه!! فأدخله في جملة الأخيار!

* وفق من اختار من عبده فجعله من الأبرار!!

* بصّر من أحبه للحقائق!! فزهّدوا في هذه الدار...!

* فاجتهد في مرضاته، والتأهّب^(٢) لدار القرار، واجتناب

ما يُسَخِّطه، والحذر من عقاب النار...!

(١) تكوير الليل:

* تغشيته، أي يدخله على النهار، وأصله من تكوير العمامة وهو لفها.

اه لسان العرب

(٢) التأهّب:

* الاستعداد، جَمَعَ الضمير في زهدوا مراعاة لمعنى مَنْ، وأفرده في أحبه مراعيًا

لفظها، هذا أسلوب من أساليب البلاغة ولها نظائر في كلام الله، وكلام العرب.

اه محمد

* أحمده حمداً على نعمائه، وأسأله المزيد من فضله وكرمه!!
 * وأشهد أن لا إله إلا الله إقراراً بوحديته، واعترافاً بما يجب
 على الخلق كافة من الإذعان لربوبيته!!
 * وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وحييّه المصطفى من
 خليقته!!

* وأكرم الأولين والآخرين من بريته^(١)!!
 * أكرم الخلق، وأزكاهم، وأكملهم وأعرفهم بالله تعالى
 وأخشاهم، وأعلمهم به وأتقاهم!!
 * وأشدّهم اجتهاداً، وعبادةً، وخشيةً، وزهادةً...!
 * وأعظمهم خلقاً، وأبلغهم بالمؤمنين تلطفاً ورفقاً!!
 * صلوات الله وسلامه عليه وعلى النبيين، وآل كلٍّ، وصحابتهم
 أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين كلما ذكره الذاكرون
 وغفل عن ذكره الغافلون.

أُما بعد ؟!

فإن الدنيا:

* دارُ نفاقٍ لا دارُ إخلادٍ، ودارُ عبورٍ لا دارُ حبور^(٢).

(١) البرية: المخلوقات.

(٢) الحبور: السعادة.

* النعمة وسعة العيش، ومنه قوله تعالى: ﴿أَنْتَ وَأَزْوَاجُكَ تُخَبَّرُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠]،
 وقوله: ﴿فَهَذَا فِي رَوْضَةٍ يُخَبَّرُونَ﴾ [الروم: ١٥].

* ودار فناء لا دار بقاء، ودارُ انصرام لا دار دوام!!

* وقد تطابقَ على ما ذكرته دلالاتُ قواطعِ النقولِ، وصحائفِ

العقول!!

* وهذا ما استوى في العلم به الخواصُّ والعوامُّ، والأغنياءُ

والطَّعام^(١)!!

* وقضى به الحسُّ والعيان، حتَّى لم يقبل الوضوحَةُ إلى زيادةٍ

في العرفان:

وَلَيْسَ بِصَحِّحٍ فِي السَّمْعِ شَيْءٌ

إِذَا اخْتَبَعَ النَّهْأُ إِلَى دَلِيلٍ

* ولما كانت الدنيا بالحال التي ذكرتها، والعظة التي قدمتها،

جاء في القرآن العزيز من التحذير من الركون إليها، والاعتزاز بها، والاعتماد عليها، ما هو أعرف من أن يُذكر، وأشهر من أن يشهر...!

* وكذلك جاءت الأحاديث النبوية، والآثار الحكيمية، فلهذا

كان الأيقاظُ من أهلها العبَّاد، وأعقلُ الناسِ فيها الزُّهَّاد^(٢)...

(١) الطَّعام:

* هم أوغاد الناس، الواحدُ والجمعُ فيه سواء، والوغد: هو الرجل الذي يخدم

بطعام بطنه...!

اهـ مختار

(٢) المراد من الزهاد:

* الجماعة الذين لم تستول الدنيا على قلوبهم، ولم يدفعهم الطمعُ إلى الإضرار

بالناس، أو اختلاس أموالهم، والاستيلاء عليها بغير الطريق المشروع.

=

* والذي وصف حقيقة الزهد بشكله الواضح، الصحابيُّ الجليلُ :

حارثةُ رضيَ الله تعالى عنه :

هَبْيتِهِ الْعَظِيمُ :

* عن أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - قال : بينما رسولُ الله ﷺ يمشي إذ

استقبله شابٌ من الأنصار، فقال له عليه الصَّلاة والسلام :

* كيف أصبحت يا حارثة ؟

* قال : أصبحت مؤمناً بالله حقاً . . . !

فقال عليه الصَّلاة والسلام :

« انظر ما تقول ! فإن لكل قول حقيقة ، فما حقيقة ما تقول ؟ » .

* فقال : يا رسول الله ! عَزَفْتُ نفسي عن الدنيا ، فأسهرتُ ليلي ، وأظمأتُ نهارِي

فكأنِّي بعَرْشِ ربي بارزاً ، وكأنِّي أنظرُ إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأنِّي أنظرُ

إلى أهل النار يتعاوون فيها .

فقال عليه الصَّلاة والسلام :

« أبصرت فالزم ، عبدٌ نَوَّرَ اللَّهُ الإيمانَ في قلبه » . . . !

* فقال : يا رسول الله ! أدعُ لي بالشهادة !

* فدعا له ، فقتلَ يومَ بدر شهيداً ، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت :

* قد علمت يا رسول الله منزلةَ حارثةَ مني فإن يكن في الجنة أصبر ؟ وإن لم يكن

في الجنة تُرى ما أصنع ؟

فقال لها عليه الصَّلاة والسلام :

« أَوْ هَبْلَتْ أَجَنَّةٌ هِيَ ؟ إنها جنانٌ ، وإن ابنك أصاب الفردوسَ الأعلى » .

فرجعت وهي تضحك وتقول :

* بخ بخ يا حارثة . . . !

أخرجه الطبراني والبخاري وغيرهما . . . !

* فهذا هو الزهد ، وهذه أماراته وعلاماته . . . !

فلو أوصى إنسانٌ بأن تُنفقَ وصيتهُ لأعقل الناس، لكان الزاهدُ أحقَّ بها... !
 * فكمالُ العقلِ بالعزوفِ عن الدنيا، ونقصانُه بالرغبة فيها؛ فالزهادُ أعقلُ الناس
 وَلِلَّهِ دَرْ الْقَائِلِ:

* دَرِ الْحِرْصَ عَالِي الدُّنْيَا
 وَفِي الْعَيْشِ فَلَا تَطْمَعْ

* فَلَا تَجْمَعْ مِنَ الْمَالِ
 فَمَا تَدْرِي لِمَ تَجْمَعْ

* فَإِنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومٌ
 وَسُوءُ الظَّنِّ لَا يَنْفَعُ

* فَقِيرٌ كُلُّ ذِي حِرْصٍ
 غَنِيٌّ كُلُّ مَنْ يَقْنَعُ

أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ الدُّنْيَا

وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ فِي وَصْفِهَا :

* أَنْظَرُ إِلَى الْأَطْلَالِ^(١) كَيْفَ تَغَيَّرَتْ

مِنْهُ بَعْدَ مَا كُنْهَا وَكَيْفَ تَنَكَّرَتْ

* سَحَبَ الْبَحْرِ أَذْيَالَهُ بِرُؤُوسِهَا

فَتَسَاقَطَتْ أَصْحَابُهَا وَتَكَسَّرَتْ

* وَصَحَّتْ جَمَاعَةُ أَهْلِهَا لِسَبِيلِهِمْ

وَتَغَيَّبَتْ أَهْبَاءَهُمْ وَتَنَكَّرَتْ

* لَمَّا نَظَرْتُ تَفَكَّرْتُ لِدِيَارِهِمْ

سَحَّتْ^(٢) هُفُوفِي عِبْرَةً وَتَحَدَّرْتُ

* لَوْ كُنْتُ أَعْقِلُ مَا أَفْقَتُ مِنَ الْبَطَا

هَبَسِي لُفَاكَ وَمُقَلَّتِي مَا أَبْصَرْتُ

* نَصَبْتُ لَنَا الدُّنْيَا زَخَارِفَ حُسْنِهَا

مَكْرًا بِنَا وَخَدِيعَةً مَا فَتَرْتُ

* وَهِيَ الَّتِي لَمْ تَحْمِلْ قَطُّ لِنَاثِيهِ

إِلَّا تَغَيَّرَ طَعْمُهَا وَتَحَرَّرَتْ

(١) الْأَطْلَالُ : مَا بَقِيَ مِنْ آثَارِ الدِّيَارِ .

(٢) سَحَّتْ : سَالَتْ .

* وَهَابَةً سَدَّيَةً لِيَهْبَاتِهَا
طَدَّيَةً لِحَرَابٍ مَا قَدْ عَمَّرَتْ

* وَإِذَا بَنَتْ أُمْرًا رِصَاصٍ شَرُوقِ
نَهَضَتْ مَجَانِقَهَا عَلَيْهِ فَرَمَرَتْ

وَقَالَ آخِرُ:

* وَمَنْ يَحْمَدِ الدُّنْيَا لِعَافِي يَسْرُهُ
فَسَوْفَ لَعَمْرِي عَنْ قَلِيلٍ يَلُومُهَا

* وَإِذَا أُدْبِرَتْ كَانَتْ عَلَى الْمَرْءِ حَسْرَةً
وَأِنْ أُقْبِلَتْ كَانَتْ كَثِيرًا هُمُومَهَا

* * *

بَيَانُ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ هَذَا الْكِتَابُ

- * فإذا عُلِمَ ما ذَكَرْتُهُ، وتقرر ما وصفْتُهُ، كان حقًّا على الإنسان أن يسلك طريقَ العقلاء، ويذهب مذهبَ البُصَرَاءِ!!
- * فنسألُ اللهَ الكريمَ، الرؤوفَ الرحيمَ، أن يمنَّ علينا بذلك ويَهْدِينَا إلى أرشد المسالك...!
- * وها أنا شارِعٌ في جمع كتابٍ يكون مبيناً لسلوك الطريق التي قدَّمْتُ، وسبيلاً إلى التخلق بالأخلاق الجميلة التي وصفت!!
- * أذكر فيه - وإن سَأَلَ اللهُ تَعَالَى - جُمَلًا من نفائس اللطائف، وحقائق المعارف...!
- * وأنثُرُ ما أذكرُهُ فيه نثرًا، ليكونَ أبعدَ لمُطالِعه عن المَلَلِ، وأقربَ للذكرى..
- * ولا ألتزمُ فيه ترتيبه على الأبواب، فإن ذلك مما يجلب المللَ للناظر في الكتاب...!
- * وأذكر فيه - وإن سَأَلَ اللهُ تَعَالَى - من الآيات الكريمةِ والأحاديث النبويةِ، وأقاويلِ السلف المنيرِ، ومستجدٍ^(١) المأثورِ عن الأخيار:

(١) المستجد:

* الجيدُ المطلوبُ، والمستحسنُ المحبوب.

- * من عيون الحكايات، والأشعار المستحسنة الزُّهديات!!
- * وأبين - في أكثر الأوقات - صحة الأحاديث، وحُسْنُها، وحال روايتها، وبيان ما يُخفى ويُشكّل من معانيها...!
- * وأضبط ما يحتاج إلى تقييد حذراً من التصحيف^(١)، وفراراً من التغيير والتحريف^(٢)...!
- * ثم إنني قد أذكرُ ما أذكرُه بإسنادي فيه، لكونه أوقع في نفوس مطالعيه!!
- * وقد أحذفُ الإسناد للاختصار، وخوفاً من التطويل والإكثار، ولكون هذا الكتاب موضوعاً للمتعبدين، ومن ليسوا إلى معرفة الإسناد بمحتاجين؛ بل يكرهونه معظم الحالات، لما يلحقهم بسببه من السّامات^(٣)!!
- * وأكثرُ ما أذكرُه مما أرويه - بحمْدِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ - بالأسانيد المشهورة المعروفة من الكتب الظاهرة المتداولة المعروفة.

(١) التصحيف:

- * هو تغيير اللفظ، ليتغير المعنى...!
- وغالبُ التصحيف:
- * يكون من الصّحّفين بفتحين نسبةً إلى الصحيفة المكتوبة، لأنه يؤخذ العلم منها دون المشايخ!
- اهـ من النسخة القديمة

(٢) التحريف:

- * هو تغيير الحرف عن معناه، والكلمة عن معناها مع قرب الشبه.
- (٣) السّامة: الملل.

* وإذا كان في الحديث، أو الحكاية لفظة لغة، أو اسم شخص قيدتها، وأوضحتها بالضبط المحكم وأتقنتها...!

* وما أحتاج فيها إلى شرح شرحته، وما كان مُعَرَّضاً لَأَن يُغْلَطَ في معناه يَبْتَنِّه...!

* ويندرج في ضمن هذا الكتاب - وإن شاء الله تعالى - أنواع من العلوم الشرعية، وجمل من لطائفها الحديثية، والفقهية، والآداب الدينية!!

* وطُرف من علم الحديث، ودقائق الفقه الخفية، ومهمات من أصول العقائد، وعيون من نفائس القواعد...!

* وغرائب لطيفة مما يُستحسن في المذكرات، ويُستحب ذكره في مجالس الجماعات، ومعارف القلوب، وأمراضها، وطبها، وعلاجها...!

* وربما يجيء شيء يحتاج إلى بسط لا يحتمله هذا الكتاب، فأذكر مقصوده مختصراً، أو أحيل بسط شرحه إلى كتاب بعض العلماء، ذوي البصائر والألباب...!

* وربما أحلته على كتاب صنفته أنا ولا أقصد بذلك - وإن شاء الله تعالى - التبجح والافتخار، ولا إظهار المصنفات والاستكثار؛ بل الإرشاد إلى الخير والإشارة إليه، وبيان مظهرته^(١) والدلالة عليه.

(١) المظنة:

* بكسر الظاء وفتحها، موضع يُظن فيه ذلك الشيء المطلوب...!

* وإنما نَبَّهتُ على هذه الدقيقَةِ؛ لأنِّي رأيتُ من الناس من يَعِيبُ
سالكَ هذه، وذلك لجهالته، وسوءِ ظنه، وفساده، ولحسده،
وقصوره، وعناده!!

* فأردتُ أن يتقرر هذا المعنى في ذهن مُطالع هذا التصنيف،
وليُطهرَ نفسه من الظن الفاسد والتعنيف^(١) . . . !

* وأسألُ اللهَ الكريمَ توفيقِي لحسن النِّيَّاتِ والإِيعَانَةِ على
جميع أنواع الطاعات، وتيسيرها، والهدايةَ لها دائماً في ازدياد حتى
الممات!!

* وأسأله ذلك لجميع مَنْ أَحَبَّهُ، ويُحِبُّني اللهُ تعالى وسائرِ
المسلمينَ والمسلمات . . .

* وأن يجمعَ بيننا وبينهم في دار كرامته، بأعلى المقاماتِ،
وأن يرزقنا رضاه، وسائرَ وجوه الخيرات . . . !

* اعتصمتُ^(٢) بالله، استعنتُ بالله، توكلتُ على الله، ولا حولَ
ولا قوةَ إلا بالله العليِّ العظيم، حسبنا الله ونعم الوكيل . . . !

* اللهم إني أسألكَ بكل وسيلةٍ، وأتشفعُ إليك بكل شفيعٍ،
أنْ تنفعني، وأحبابي، والمسلمينَ أجمعين، بهذا الكتابِ نفعاً عاماً
بليغاً، يا من لا يُعجزه شيءٌ، ولا يتعاضمه^(٣) أمرٌ!! .

(١) التعنيف: اللوم بعنف، أي: ضد الرفق . . . !

(٢) اعتصمت: اعتمدت عليه واستمسكت به .

(٣) تعاضم: عظم عليه وصعب . . . !

وهذا حينُ شروعي في مقصود الكتاب^(١).

* * *

(١) أقول:

* لقد تجلّى لك — أيها القارئ الكريم — من خلال هذه المقدمة إخلاصُ المؤلف — رحمه الله تعالى — وصِدْقُ طلبه، وحُسْنُ نيته، في كتاباته، بأنه لا يبتغي من وراء ذلك، ثناءً من الناس ولا شكوراً، وأنه من أساطين الحكماء والكملة من الرجال، وإن إمامنا فذ في زمانه، فردّ بين أقرانه:

* فهو الأديب الأريب، الماهرُ الفطن الوقّاف، المرموقُ بين العلماء: إعجاباً وإكباراً، صدقاً وإخلاصاً...!

* قد حباه الله من جلائل نعمه، وغمره بفضائل كرمه، حتّى أصبح كالكوكب المتألّق، ومع ذلك فهو مؤطّأ الأكتاف، رَضِيّ الخلق، خافضُ الجناح، قسيمٌ وسيمٌ، لأنّ ببيانه القلوب القاسية، وذلل بأسلوبه النفوس العاصية...!

* جمع بين الحال والقال، وقلما تجدُ ذلك في كلمة الرجال.

اهـ محمد

باب

في الاختلاف وأجزاء النية
في جميع الأعمال الظاهرة والباطنة

باب في الإخلاص واجتماع النية في جميع الأعمال الظاهرة والباطنة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

* ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا
الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

* معناه : الملة المستقيمة .

وقيل : القائمة بالحق والله أعلم .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

* ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ
عَلَى اللَّهِ ﴾ [النساء: ١٠٠].

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾ [الإسراء: ٢٥].

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقُلُوبُ مِنْكُمْ ﴾ [الحج: ٣٧].

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - :

* معناه : ولكن يناله النيات منكم !

وقال إبراهيم:

* التقوى ما يُرادُّ به وجهه...!

وقال الإمام أبو الحسن الواحدي:

قال الزجاج: المعنى: لن يتقبَّلَ اللهُ الدماء واللحومَ إذا كانت من

غير تقوى الله تعالى، وإنما يتقبل منكم ما ستقونه به!!

* وهذا دليلٌ على أن شيئاً من العبادات لا يصحّ إلا بالنية:

* وهو أن ينوي به التقربَ إلى الله تعالى وأداء ما أمر به.

الشرح والتعليق

قوله تعالى في سورة البينة: ﴿حُنَفَاءَ﴾:

* جمعٌ حنيف، وهو المسلم الذي يتحنف عن الأديان، ويميل إلى الحق،

ولم يلتو في سلوكه: لأن الحنيف المستقيم!!

﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ أي في كتابتهم: ١ - التوراة، ٢ - والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا

الله﴾ الجملة حالية مفيدة قبح ما فعلوا أي تفرقوا بعد مجيء البينة، والحال أنهم

ما أمروا بما أمروا إلا لأجل أن يعبدوا الله مخلصين له الدين من الشرك ﴿حُنَفَاءَ﴾

مستقيمين على دين إبراهيم ودين محمد إذا جاء فكيف كفروا به؟

اهـ (الجمَل على الجلالين ٩٥٢/٤)

وقوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ...﴾ الآية:

سَبَبُ نَزُولِ الْآيَةِ:

* هذا ترغيبٌ في الهجرة؛ كما وقع لجندع بن ضمرة الليثي - رضي الله

تعالى عنه - ...

وذلك أنه لما نزل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْفَالِغَةَ ظَالِمِينَ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ [النساء : ٩٧ - ١٠٠] .

• بعث بها عليه الصلاة والسلام إلى مكة فتليت على المسلمين الذين كانوا

فيها إذ ذاك . . . !

• فسمعها رجلٌ من بني ليث، شيخٌ كبير مريض يُقال له جندعُ بنُ ضَمْرَةَ

فَقَالَ :

• والله ما أنا ممن استثنى الله عزَّ وجلَّ فإني لأجد حيلةً، ولي من المال

ما يبلغني المدينة وأبعد منها!!

• والله لا أبيتُ بمكةَ، أخرجوني!!

• فخرجوا به على سريرٍ حتَّى أتوا به التَّعْنِيمَ فأدركه الموتُ، فصَفَقَ بيمينه

على شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ هذه لك، وهذه لرسولك، أبايك على ما بايعك رسولك . . .

ثم مات!!

• فبلغ خبره أصحاب رسول الله ﷺ فَقَالُوا : لو وافى المدينة لكان أتمَّ

وأوفى أجرًا . . . !

• وضعك المشركون وَقَالُوا : ما أدرك ما طلب!!

فأنزل عزَّ وجلَّ هذه الآية .

اهـ (الجمال على الجلالين ١/ ٤٤٥)

وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمَجَّةِ : ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا...﴾ الآية :

* أي إنما شَرَعَ لكم هذه الأضاحِيَّ، والهدايا، لتذكروه عند ذَبْحِهَا؛ فإنه الخالقُ الرَازِقُ، لا يَنَالُهُ شَيْءٌ مِنْ لَحُومِهَا، ولا من دُمَائِهَا، فإنه تعالى هو الغنيُّ عَمَّا سِوَاهُ!!

* وقد كانوا في جاهليتهم إذا ذبحوا لآلهتهم، وضعوا عليها من لحوم قرابينهم، نضحوا عليها من دُمَائِهَا فَصَّالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دُمَائُهَا﴾.

* أي: لا يُرْفَعَانِ إِلَيْهِ وَلَنْ تَبْلُغَ مَرْضَاتُهُ، وَلَنْ تَقَعَ مَوْقِعَ الْقَبُولِ.
اهـ ابن كثير وأبو السعود

وقال أبو حيان في البحر :

* أراد المسلمون أن يفعلوا فعلَ المشركين من الذبح، وتشريح اللحم، منصوباً حَوْلَ الكعبةِ، وتضميخِ الكعبةِ بالدم تقرباً إلى الله فنزلت هذه الآية...!

* فَنَفْسُ الدِّمِ وَاللَّحْمِ، لَا يُرْفَعُ إِلَيْهِ؛ وَإِنَّمَا يُرْفَعُ إِلَيْهِ الْعَمَلُ الصَّالِحُ وَمِنْهُ :
* التَّصَدَّقُ بِاللَّحْمِ : فَالتَّصَدَّقُ مِنْ عَمَلِ الْبِرِّ فَيُرْفَعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَأَمَّا نَفْسُ اللَّحْمِ الْمُتَصَدَّقِ بِهِ فَلَا يُرْفَعُ!!
* وَالْمَعْنَى :

أَنَّهُ لَا يُثَبِّتُكُمْ عَلَى لَحْمٍ، إِلَّا إِذَا وَقَعَ مَوْقِعاً مِنْ وَجْهِهِ الْخَيْرِ...!
اهـ (الجمال على الجلالين ١٧٨/٢)

* فَاَلْمَوْفُوتُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَدْ ذَكَرَ أَقْوَالَ الْأَثَمَةِ فِي مَعْنَى الرِّفْعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بَأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا إِذَا كَانَ الْعَمَلُ خَالِصاً لَوَجْهِهِ، غَيْرَ مَشُوبٍ بِسَمْعَةٍ، أَوْ رِيَاءٍ، مِمَّا يُبْطِلُ الْعَمَلَ وَيُحْبِطُ الْأَجْرَ!!

* فإن الله تعالى لا يقبل الشركة في العمل: فتصحيحُ النية، وإحكامُ العمل، والإخلاصُ فيه: هو المقبولُ عندَ الله والمرفوعُ إليه!!

* فإنه سبحانه لا يقبل إلا الطيب، ولا يُرفع إليه إلا الخالص؛ اللّهُمَّ ارزقنا الإخلاص في الأقوال، والأحوال، والأعمال...!

ولهذا قال سفيان الثوري - رضي الله تعالى عنه - :

* ما عالجْتُ شيئاً أشدَّ عليَّ من نيتي، لأنها تنقلب عليَّ. اهـ.

سيأتي معك ترجمةُ سفيان رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ فترقبه.

كتبه محمد

* * *

إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ

* أخبرنا شيخنا الإمام الحافظ أبو البقاء خالد بن يوسف بن سعيد، ابن الحسن، بن المفرج، بن بكار المقدسي النابلسي الشافعي - رضي الله تعالى عنه - قال: أخبرنا أبو اليمن الكندي، أخبرنا محمد بن عبد الباقي الأنصاري، أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري، أخبرنا أبو الحسين محمد بن المظفر الحافظ، أخبرنا أبو بكر محمد بن سليمان الواسطي، حدثنا أبو نعيم عبد بن هشام الحلبي، عن ابن المبارك، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن علقمة بن وقاص الليثي، عن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:

* «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

هذا حديث متفق على صحته، مُجمَعٌ على عِظَمِ موقعه وجلالته ..

* وهو أحدُ قواعد الإيمان، وأولُ دعائمه، وأشدُّ الأركان ..

* وهو حديثُ فردٌ غريبٌ باعتبارٍ، مشهورٌ باعتبارٍ آخر، ومداره على يحيى بن سعيد الأنصاري.

قال الحافظ :

* لا يصح هذا الحديث عن النبي ﷺ إلا من جهة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - !!

* ولا عن عمر إلا من جهة علقمة !!

* ولا عن علقمة، إلا من جهة إبراهيم بن محمد التيمي!

* ولا عن محمد، إلا من جهة يحيى بن سعيد!

* وعن يحيى انتشرت روايته عن أكثر من مائتي إنسان أكثرهم

أئمة!!

ورواه الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - رحمه الله

تعالى - في صحيحه في سبعة مواضع :

* ١ - فرواه في أول كتابه .

* ٢ - ثم في الإيمان .

* ٣ - ثم في النكاح .

* ٤ - ثم في العتق .

* ٥ - ثم في الهجرة .

* ٦ - ثم في ترك الحيل .

* ٧ - ثم في النذر .

ثم إن هذا الحديث روي في الصحيح بالفاظ :

وَأَمَّا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ !!

وأما الذي وقع في أول كتاب الشهاب: الأَعْمَالُ بالنيّاتِ، وحذفَ
إنما، فقال الحافظ أبو موسى الأصبهاني: لا يصحُّ إسناده هذا.

* وأما معنى النية فهو القصدُ وهو: عزم القلب!!

* وإنما: لفظةٌ موضوعةٌ للحصر، تُثَبِّتُ المذكورَ، وتنفي

ما عداه.

فمعنى الحديث:

* لا تصحُّ الأعمالُ الشرعية إلاَّ بالنية...!

* ومن قصد بهجرته رضاء الله تعالى، ومن قصد بها الدنيا فهي

حظه ليس له غيرها.

وفي هذا الحديث:

* اشتراطُ النية في الوضوء وغيره، والغسل، والتيمم،

والصلاة، والزكاة، والصوم، والاعتكاف، والحج وغيرها.

* قال إمامنا عبدُ الله بنُ محمد بنِ إدريس الشافعي - رضي الله

تعالى عنه - :

* يدخل هذا الحديثُ في سبعين باباً من الفقه.

وقال أيضاً:

* يدخل في هذا الحديثُ ثلثُ العلم!!

وقال أبو عبد الله أحمد بن حنبل - رضي الله تعالى عنه - :

* يدخل فيه ثلثُ العلم. وكذا ذكره أيضاً غيرُهما!!

قال الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي في أول كتابه مختصر السنن :
* معنى قول الشافعي - رضي الله تعالى عنه - : يدخل فيه ثلث

العلم :

* أن كسب العبد : إنما يكون بقلبه ، ولسانه ، ونياته .

وَالنِّيَّةُ :

* أحد أقسام كسبه ، وهي أرجحها ، لأنها تكون عبادةً
بأنفرادها ، بخلاف القسمين الآخرين ، لأن القول والعمل ، يدخلهما
الفساد بالرياء ، ولا يدخل النية . . . !

مَا اسْتَحَبَّ الْعُلَمَاءُ :

* واستحب العلماء - رضي الله تعالى عنهم - أن تُسْتَفْتَحَ

المصنَّفَاتُ بهذا الحديث . . . !

* وممن ابتدأ به في أول كتابه الإمام أبو عبد الله البخاري
- رحمه الله تعالى - في أول حديثه في صحيحه الذي هو أصحُّ الكتبِ
بعد كتاب الله تعالى .

ورؤينا عن الإمام أبي سعيد عبد الرحمن بن مَهْدِي - رحمه الله

تعالى - قَالَ :

* لو صَنَّفْتُ كتاباً بدأتُ في أول كلِّ بابٍ منه بهذا الحديث !!

ورؤينا عنه أيضاً قال :

* من أراد أن يصنّف كتاباً فليبدأ بهذا الحديث !!

ورويانا عن الإمام أبي سليمان، حمّد بن محمد بن إبراهيم
الخطابي فيما قرأته في أول كتابه الإعلام في شرح صحيح البخاري قال:

* كان المتقدمون من شيوخنا يستحبون تقديم حديث:

إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ !! أمام كل شيء يُنشأ ويبتدأ من أمور الدين،
لعموم الحاجة إليه في جميع أنواعها!!

* وبلغنا عن جماعات من السلف - رضي الله تعالى عنهم -
أشياء كثيرة من نحو هذا من الاهتمام بهذا الحديث!

وهي:

أَنَّ في إسناده شيءٌ يُستحسنُ، ويُستغرب عند المحدثين، وهي:

أَنَّ رواته اجتمع فيهم ثلاثة تابعيون يروي بعضهم عن بعض وهم:

* ١ - يحيى بن سعيد الأنصاري.

* ٢ - ومحمد بن إبراهيم التيمي.

* ٣ - وعلقمة بن وقاص - رضي الله تعالى عنهم - ...!

وهذا وإن كان مُستظرفاً، فهو كثير في الأحاديث المستظرفة
الصحيحة، يجتمع ثلاثة تابعيون بعضهم عن بعض، وأربعة تابعيون
بعضهم عن بعض!!

* وقد جمعها الحافظ عبد القادر الراوي - رحمه الله تعالى -

في جزءٍ صنّقه فيها، وأنا أرويهما وقد اختصرتها في أول شرح صحيح
البخاري - رحمه الله تعالى - ، وضممت إليها ما وجدته مثلها فبلغ
مجموعها زيادة على ثلاثين حديثاً...! والله أعلم

قَوْلُهُ: عَزَمَ الْقَلْبُ!!

* أَيِ إِنَّ النِّيَّةَ تَعُودُ إِلَى الْقَصْدِ فِي الْقَلْبِ، فَهِيَ وَاجِبَةٌ فِي جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ...!

سواء كانت مالية كالزكاة، أو بدنية كالصلاة، أو مالية وبدنية كالحج، ويُشترط فيها الجزمُ ودوامه، ولا يشترط التلفُّظُ بالمنوي فلا يضر مخالفةُ اللسان: * كمن قصد الظهر بقلبه وجرى على لسانه العصر، إلّا في الإحرام بحج أو عمرة خاصة لورود ذلك عن النبي ﷺ...!

* ولا يُعتبر التلفُّظُ بها من البدع المحدثّة حيث إن بعض أهل العلم استحسّن ذلك، لما رأوا في الأمة من انصرافٍ إلى الدنيا، وإدبارٍ عن العقبي...!

* فاللسان يساعد القلب على استحضار العبادة، وما رآه المسلمون حسناً فهو حسن، ويُقاس بها غيرُ الحج على الحج، ولا يكفي نطق اللسان مع غفلة القلب فليتنبه. اهـ.

ولقد اختلف العلماء في النِّيَّةِ:

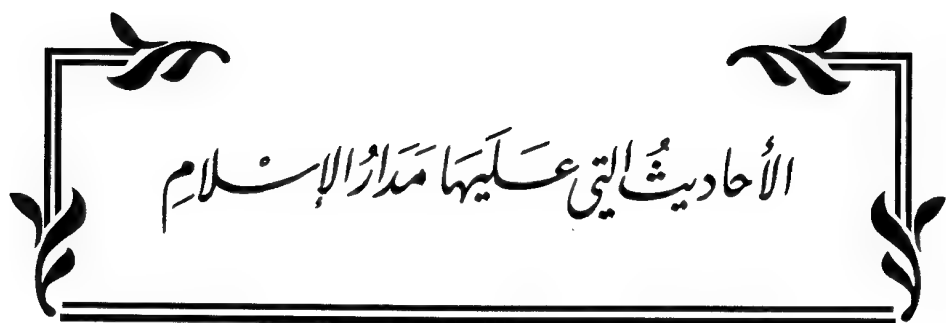
* فمنهم مَنْ عَدَّهَا ركنًا وعليه أكثرُ العلماء!!

* ومنهم مَنْ عَدَّهَا شرطاً كالإمام الغزالي وقال: هي بالشرط أشبه...!

ووجهه: أنه يُعتبر دوامها حكماً إلى آخر الصلاة فأشبهت الوضوء والاستقبال وهو قويّ.

اهـ من كفاية الأخبار ٦٣/١

* * *



الأحاديث التي عليها مدار الإسلام

* ومما ينبغي الاعتناء به بيان الأحاديث التي قيل:

إنها أصول الإسلام، وأصول الدين، أو عليها مدار الإسلام، أو مدار الفقه، والعلم، فنذكرها في هذا الموضع، لأن أحدها حديث إنما الأعمال بالنية، ولأنها مهمة فينبغي أن تُقدّم.

* وقد اختلف العلماء في عددها اختلافاً كثيراً:

* وقد اجتهد في جمعها وتبيينها الشيخ الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح - رحمه الله تعالى - ولا مزيد على تحقيقه، وإتقانه...!

* فأنا أنقل ما ذكره - رحمه الله تعالى - مختصراً، وأضّم إليه ما تيسّر مما لم يذكره في ذلك النصيحة.

إضافة الكلمة إلى قائلها

* ومن النصيحة أن تُضاف الفائدة التي تُستغرب إلى قائلها، فمن

فعل ذلك بورك له في علمه وحاله...!

* ومن أوهم ذلك فيما يأخذه من كلام غيره أنه له،

فهو جدير أن لا يُنتفع بعلمه، ولا يُبارك له في حاله... !
* ولم يزل أهل العلم والفضل على إضافة الفوائد إلى قائلها،
نسأل الله تعالى التوفيق لذلك دائماً.

* * *

الأعمال بالنيات

قال الشيخ أبو عمرو - رحمه الله تعالى - بعد أن حكى أقوال الأئمة في تعيين الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، واختلافهم في أعيانها وعددها فبلغت ستة وعشرين حديثاً:

أحدها:

* حديث: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ !...

الشرح والتعليق

الشيخ أبو عمرو، هو ابنُ الصلاح.

وقد ظهر لي بعد النظر والتدقيق، أن ثلاثة أحاديث زادت على ما ذكر الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح، فهل هذه الزيادة كانت من رأي الإمام النووي - رحمه الله تعالى - أم لا؟ والله أعلم.

أما حديث:

* «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»، فقد تقدّم الكلام عليه من الإمام النووي بما

يغني عن مزيد، انظر ص ٣٨ فما بعدها.

* * *

آلِ بَدْعٍ وَالْأُخْوَاؤُ

التَّانِي :

* عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا - قَالَتْ :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

* « مَنْ أَهْرَبَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » .

هذا حديث متفق على صحته ، رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما

وفي رواية لمسلم :

« مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا ... » .

ومعنى ردّ : مردودٌ ، كالخلق بمعنى المخلوق .

الشَّرْحُ وَالْتَّعْلِيلُ

في الحديث الصحيح :

* « شَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ بَدْعٍ ضَلَالَةٌ » .

* والمراد بأصحاب البدع فيه ، مَنْ كَانَ عَلَى خِلَافٍ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ

وَالْجَمَاعَةِ ... !

* ويدخل في المبتدعة ، كُلُّ مَنْ أَحْدَثَ فِي الْإِسْلَامِ حَدَثًا لَمْ يَشْهَدْ الشَّرْعَ

بحسنه : كالمكوس والمظالم ... والغصب بأنواعه ... واختلاف أشكاله !!

* نعم ؛ إِنْ كَانَ فِي تَلْيِينِ الْقَوْلِ لِلظَّالِمِ إِنْقَادُ مَظْلُومٍ مِنْهُ ، أَوْ حَمْلُهُ عَلَى

خَيْرٍ ، أَوْ مَعْرُوفٍ فَلَا بَأْسَ بِهِ ... وَاللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى السَّرَائِرِ ... !

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه : ٤٤].

وَفَسَّرَ بَعْضُهُمُ الْبِدْعَةَ :

فَقَالَ :

* هي ما لم يَقم دليلٌ شرعيٌّ على أنه واجبٌ ، أو مستحبٌ سواءً أُفْعِلَ في عهده ﷺ ، أو لم يُفْعَل :

* كإخراج اليهود والنصارى مِنْ جزيرة العرب ، وكذا جمع القرآن في المصاحف ، والاجتماع على قيام شهر رمضان ، وغير ذلك مما ثبت وجوبه ، أو استحبابه بدليل شرعي :

* وقول عمر - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - في التراويح :

نعمت البدعة هي . . . !

* أراد البدعة اللغوية ، وهو ما فعله على غير مثال كما في قوله سبحانه :

﴿ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف : ٩].

* وليست بدعةً شرعاً ، فإنَّ البدعةَ الشرعيةَ ضلالةٌ كما قال ﷺ .

قَالَ :

* وَمَنْ قَسَمَهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى ١ - حَسَن ، ٢ - وَغَيْرِ حَسَن !

فإنما قَسَمَ البدعةَ اللغويةَ !

* وَمَنْ قَالَ : «كُلُّ بَدْعٍ ضَلَالَةٌ» !

فمعناه البدعةُ الشرعية . . . !

* أَلَا تَرَى أَنَّ الصَّحَابَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ أَنْكَرُوا

فرضية غير الصلوات الخمس :

* كالعيدين ، وإن لم يكن فيه نهْي ، وكرهوا استلام الركنتين الشاميتين ،

والصلاة عقب السعي بين الصفا والمروة ، قياساً على الطواف . . . !

* وكذا ما تركه ﷺ مع قيام المقتضي فيكون تركه سنّة، وفعله بدعة مذمومة. اهـ من فتاوى الإمام ابن حجر ص ٢٨٠ باختصار، جزاه الله تعالى خيراً.
أقول:

* لو أدركنا نظرنا في المسلمين اليوم لرأينا العجب العجيب، ولشاهدنا أموراً تُخجل الإنسانية، وأعمالاً يندى لها جبين الحرّ المسلم:

فساداً في الأخلاق إلى أبعد حد!!

* انحطاطاً عن الفضيلة!

* تدهوراً إلى الحضيض السافل المخزي!

* انحرافاً في العقائد، والعادات والتقاليد والأزياء: في الشباب والشيوخ،

في الصغار والكبار، في النساء والرجال!

* ردّة ويا لها من ردّة، ندعي الإسلام والإسلام منا برآء!

* ندعي الإيمان، وأعمالنا عنه بمعزل، كيف نلتقي غداً برسول الله وهذا

حالتنا، ماذا نجيبه إذا سألنا عما أحدثناه؟

* فيجب أن نُعدّ للسؤال جواباً، وللجواب صواباً، فلا حول ولا قوة إلا

بالله. اللهم ردنا والمسلمين إليك ردّاً جميلاً...!!

اهـ شرح الحديث الثاني

كتبه محمد

* * *

أَحْكَامُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ

الثَّالِثُ:

* عن النعمان بن بشير - رضي الله تعالى عنهما - قال:

سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

* «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَالْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ؛ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

هذا حديث متفق على صحته، رويناه في صحيحيهما

* يُوشِكُ: بضمَّ الياء وكسر الشين المعجمة، أي: يُسرع.

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

قوله: «وعرضه»:

لأنه إذا فعل الشُّبه، جعل للسفهاء طريقاً للتطاول عليه، بالافتراء والغيبة...!

* ونسبوه إلى فعل الحرام فجعل عرضه هدفاً للتناول، والقَدَح، والطعن، والقذف، وصار سبباً لوقوعهم في الإثم. وقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَقِفَنَّ مَوَاقِفَ الثُّمِّ».

وَقَالَ عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ :

* «إياك وما يسبقُ إلى القلوب إنكارُهُ، وإن كان عندك اعتذارُهُ! فرب سامعٍ نكراً، لا تستطيع أن تُسمعه عذراً» . . . !

* وقد يتدرج إلى أن يصل إلى الحرام كالمثال الوارد في الحديث الشريف، لأنه يصل إلى حالة لا يستطيع أن يحول دون وقوع نفسه في هاوية الحرام، مهما كان قوي الإرادة، متين العزيمة، وإليه أشار الحديث :
* «لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتَقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الْجَمْلَ فَتَقْطَعُ يَدُهُ» .

أي يتدرج من البيضة إلى الجملة، إلى نصاب السرقة، فلا يصدرُ فعلٌ إلا وقد سبقته مقدماتُهُ، أو تكرر مراتٍ عديدة!!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (١١٢)

[آل عمران : ١١٢]

* يريد أنهم تدرجوا بالمعاصي إلى قتل الأنبياء .

اهـ من مصنف على الأربعين من تعليقات العوفي

* اختلف العلماء في الحلال والحرام :

فقال أبو حنيفة - رضي الله تعالى عنه - :

* الحلال : ما دل الدليل على حله .

وقال الشافعي - رضي الله تعالى عنه - :

* الحرام : ما دل الدليل على تحريمه .

اهـ شرح الحديث الثالث

كتبه محمد

* * *

جَمْعُ الْخَلْقِ

الرَّابِعُ:

* عن عبد الله بن مسعود - رضي الله تعالى عنه - قال:

حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق:

* «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتُبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ، أَوْ سَعِيدٍ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا».

رواه البخاري ومسلم في صحيحهما

قَوْلُهُ: بِكُتُبِ، بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ الْجَارَةِ.

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

قَوْلُهُ: «فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ».

* أي ظاهراً، أو صِرَافاً بعد أن كان مشوباً. قال المصنّف في شرح الأربعين

على هذا الحديث:

إِنَّ مَنْ آمَنَ وَأَخْلَصَ الْعَمَلَ، لَا يُخْتَمَ لَهُ دَائِمًا إِلَّا بِخَيْرٍ، وَإِنَّ خَاتِمَةَ السَّوِّءِ
إِنَّمَا تَكُونُ فِي حَقِّ مَنْ أَسَاءَ الْعَمَلَ، أَوْ خَلَطَهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الْمَشْهُوبِ بِنَوْعٍ مِنَ
الرِّيَاءِ وَالسَّمْعَةِ!!

وَيَرْدُّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ الْأَخْرَجَ:

* «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ».

أَيِّ فِيمَا يَظْهَرُ لَهُمْ مِنْ صِلَاحٍ ظَاهِرٍ، مَعَ فُسَادِ سِرِّيَّتِهِ وَخَبْثَتِهَا.

وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

عَنْ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ:

* **قَالَ:** كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ،

وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَسَ وَجَعَلَ يَنْكُثُ بِمِخْصَرَتِهِ ثُمَّ **قَالَ:**

* «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ».

* **فَقَالُوا:** يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَكَلَّى عَلَى كِتَابِنَا؟

فَقَالَ:

«اعْمَلُوا فَكُلُّ مِيسَرٍ لَمَّا خُلِقَ لَهُ!!»

وَفِي رَوَايَةٍ:

* **أَنَّ رَجُلًا قَالَ:** يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنْعَمَلُ فِيمَا جَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ، وَجَفَّ بِهِ

الْقَلَمُ، أَوْ شَيْءٍ نَسْتَأْنِفُهُ؟ **قَالَ:**

«بَلْ بِمَا جَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ وَجَفَّ بِهِ الْقَلَمُ».

* **قَالُوا:** فَفِيمَ الْعَمَلُ؟

* **قَالَ:** «اعْمَلُوا فَكُلُّ مِيسَرٍ لَمَّا خُلِقَ لَهُ».

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ — رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ —

قَالَ:

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ!

* أنعمل على أمرٍ قد فرغ منه ، أم على أمرٍ مؤتلف؟

قال:

* «بل على أمرٍ قد فرغ منه».

* قلت: فقيم العمل يا رسول الله؟

قال:

* «اعملوا فكلٌ ميسرٌ لما خلقَ له».

أهـ من أسباب ورود الحديث: ١١٣/١

معنى الحديث:

* اعملوا بظاهر ما أمركم ، ولا تتكلموا على ما كُتِبَ لكم من خيرٍ وشر ، فذو

السعادة ميسرٌ لعمل أهلها بحكمِ القدرِ الجاري عليه!!

* وإذا غلبت عليه مادةُ الحكم ، واستحكمت في إنسان ، فإنما تيسر له

عملُ الخُبث ، فكان مُظْهِراً للأفعالِ الخبيثة التي هي عنوانُ الشقاء ، وحُكْمُ عكسه
عَكْسُ حُكْمِهِ . . . !

تنبيه:

قال الإمام الغزالي - رحمه الله تعالى - :

* يبين بهذا الخبر أن الخلقَ مجاري قدرِ الله ومحلُّ أفعاله ، وإن كانوا هم

أيضاً من أفعاله تعالى . . . !

* وهو سببٌ لعلم الخلق بأن العلم نافع ، وعلمهم من أفعال الله .

* وهو سببٌ لحركة الأعضاء وهي أيضاً من أفعاله تعالى ؛ لكنَّ بعضَ

أفعاله مسببٌ للبعض أي : الأول شرط للثاني ، كخلق الحياة شرط لخلق العلم .

* والعلم والإرادة بمعنى ، أو لا يستعد لقبول العلم إلا ذو حياة ، ولا

لإرادة إلا ذو علم . . . !

* فيكون بعضُ أفعاله سبباً للبعض لا موجباً لغيره .

وهذا القول من الله سببٌ لوجود الاعتقاد!!

* والاعتقادُ سببٌ للخوف، والخوف سببٌ لترك الشهوات والتجافي عن دار الغرور، وهو سببُ الوصول إلى جوار الرحمن!!

* وهو مُسَبَّبُ الأسباب ومرتبها.

فمن سبق له في الأزل السعادة يُسَرَّ له الأسبابُ التي تقوده بسلاسلها إلى الجنة، ومن لا، يبعد عن سماع كلام الله ورسوله والعلماء، فإذا لم يسمع لم يعلم، وإذا لم يعلم لم يخف!!

* وإذا لم يخف لم يترك الركونَ إلى الدنيا، وإذا لم يتركه صار من حزب الشيطان وإن جهنم لموعدهم أجمعين.

اهـ من فيض القدير: ١٢/٢، وهو موضوع علمي نفيس.

اهـ شرح الحديث الرابع

كتبه محمد

* * *

ترك التريب

الخامس:

* عن الحسن بن عليٍّ - رضي الله تعالى عنهما - قال:

حفظت من رسول الله ﷺ:

* «دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ».

حديث صحيح رواه أبو عيسى الترمذي، وأبو عبد الرحمن النسائي قال أبو عيسى الترمذي: حديث صحيح.

* وقوله: يريبك، بفتح أوله وضمه لغتان؛ الفتح أشهر.

الشرح والتعليق

قوله: «ما لا يريبك»:

* أي مما تركن إليه النفس، ويطمئن إليه الفؤاد، ويستريح له القلب، لأنَّ الحسَّ ناصح للمرء، ولذا جاء في حديث وابصة:

* استفت قلبك وإن أفتاك المفتون، لأنَّ المرء أدرى بدخائل نفسه، والروح تفر من المؤذي إذا لم تتدنس بالآثام...!

* وإذا صُقلت بالتقوى لا تميل إلا إلى النافع المَرْضِي لله ولرسوله.

اهد من تحقيق العوفي

* أي اترك ما اغترض لك الشك فيه منقلباً عنه إلى ما لا شك فيه، ذكره

الطبيبي.

* فإن الصدق يُنجي، أي: فإنَّ فيه النجاة، وإن كان الإنسان يظن أن فيه الهلكة...!

* فإذا وجدت نفسك ترتأب من شيء فاتركه، فإنَّ نفس المؤمن الكامل تطمئن إلى الصدق الذي فيه النجاة من المهالك، وترتأب من الكذب...!

* فارتأبك في شيء أمانة كونه حراماً فاحذره، واطمئنأبك علامة كونه حقاً فخذ به، ذكره القاضي!!

* قال: والنفس إذا ترددت في أمر وتحيرت فيه، وزال عنها القرار، استتبغ تلك العلاقة التي بينها وبين القلب الذي هو المتعلق الأول لها، فتنتقل العلاقة إليه من تلك الهيئة أثراً فيحدث فيه خفقان واضطراب...!

* ربما يسري هذا الأثر إلى سائر القوى، فتُحسُّ بانحلال وانهدال، فإذا زال عن النفس وجدت لها قراراً وطمأنينة.

* وقيل: المعنيُّ بهذا الأمر أرباب البصائر من أهل النظر والفكرة المستقيمة، وأهل الفراسات من ذوي النفوس المرتاضة والقلوب السليمة:

* فإن نفوسهم بالطبع تصبو إلى الخير، وتنبو عن الشر، فإن الشيء يتحبَّب إلى ما يلائمه، وينفر مما يخافه، فيكون ما يُلهمُّه الصواب غالباً.

وفي رواية:

* «فإن الصدق طمأنينة»، أي يطمئن إليه القلب ويسكن، وفيه إضمار أي محل طمأنينة، أو سبب طمأنينة. وإن الكذب ريبة، أي يُقلق القلب ويضطرب.

وقال الطيبي:

* جاء هذا القول ممهداً لما تقدمه من الكلام...!

ومعناه:

* إذا وجدت نفسك ترتأب في الشيء فاتركه، فإن نفس المؤمن تطمئن إلى الصدق، وترتأب من الكذب!!

* فارتياك من الشيء مبني عن كونه مظنةً للباطل ، فاحذره !

* وطمأنيتك للشيء مشعر بحقيقته فتمسك به . . . !

* والصدق والكذب ، يُستعملان في المقال والأفعال ، وما يحق أو يبطل

من الاعتقاد . .

* وهذا مخصوصٌ بذوي النفوس الشريفة القدسية المطهرة عن دنس

الذنوب ووسخ العيوب . اهـ .

وَالْحَاصِلُ :

* أَنَّ الصِّدْقَ إِذَا مَازَجَ قَلْبَ الْكَامِلِ امْتَزَجَ نَوْرُهُ بِنُورِ الْإِيمَانِ فَاطْمَأَنَّ ،

وَانْطَفَأَ سِرَاجُ الْكَذِبِ . . . !

* فَإِنَّ الْكَذِبَ ظِلْمَةٌ ، وَالظُّلْمَةُ لَا تَمَازِجُ النُّورَ .

اهـ شرح الجامع الصغير ٥٢٨/٣ . وهو بحث علمي دقيق قلما تجده في

كتاب .

اهـ شرح الحديث الخامس

كتبه محمد

* * *

تَرَكْتُ مَا لَا يَغْنِي

السَّادِسُ :

* عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال :

قال رسول الله ﷺ :

* « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ »^(١).

حديث حسن، رواه الترمذي وابن ماجه

الشرح والتعليق

* وذلك لينصرف كلُّ إلى عمله الذي خُصَّص له، أو وافق ذوقه وقابليته!!

فإنَّ انصراف المرء إلى البحث عن كل ما لا علاقة له به يمنعه من إنتاج أيِّ عمل كان فيختل النظام، وتسود الفوضى بالأعمال...!

* لأنَّ إباحة هذا الفعل المذموم لشخص تجويزه للجميع!!

* فالشريعة الإسلامية جاءت عامة لا تستثني في أحكامها أحداً، ولا فضلَ لواحد على الثاني إلَّا بالتقوى والامثال لأمر الله تعالى، فمتى اشتغل كلُّ بما لا يعنيه فسدت الأمور، وفقد التوازن، وهذا هو أحد الأسباب التي أقعدتنا الآن وجعلتنا آلة مُسخَّرة للغير.

اهـ عن النسخة القديمة للعوفي .

اهـ شرح الحديث السادس

كتبه محمد باختصار

* * *

الْمَحَبَّةُ وَالْإِيمَانُ

السَّابِعُ :

* عن أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - :

عنه النبي ﷺ قال :

* «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

متفق على صحته

الشَّرْحُ وَالنَّعْلِقُ

* قوله: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه» إلخ :

لأن الدين لم يدع إليه شخص واحد...

أو أنه حق فرد معين :

* فالمسلمون أمام الدين كلهم بنظر واحد... !

فإذا لم يحب رفيقه :

* فإما لديناه فيكون قد رجع الدنيا على الدين... !

* وإما لدينه فيكون حسوداً طالباً لإزالة ما عليه أخوه غير راض بما

قسم الله له :

* وإن المسلمين بمثابة جسد واحد...

فعدم المحبة علامة الافتراق... !

والافتراق مقدمة المحو والهلاك... !

* فكانه أراد محو الدين بعدم محبته لأخيه، وهذا ينافي الإيمان قطعاً.

- * وذكر المصنفُ في شرح الأربعين أن الحب يشمل الكافرَ والمسلمَ . . . !
- * فيحب لأخيه الكافر ، ما يحب لنفسه من دخوله في الإسلام ، كما يحب لأخيه المسلم دوامه على الإسلام . . . !
- * ولهذا كان الدعاءُ للكافر بالهداية مستحباً . . . !
- * أو المراد من المحبة : إرادةُ الخير والمنفعة .
- والمحبة المرادة :
- * هي الدينية لا البشرية ؛
- فإن الطباع البشرية قد تكره حصولَ الخير ، وتمييزَ غيرها عنها .
- * والإنسانُ يجب عليه أن يُخالفَ الطباعَ البشرية ويدعو لأخيه ويتمنى له ما يحب لنفسه .
- اهد عن النسخة القديمة للعوفي .

اهد شرح الحديث السابع
كتبه محمد

* * *

إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ

الثَّامِنُ:

* عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال:

قال رسول الله ﷺ:

* «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَهُ الْمُرْسَلِينَ.

فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

* ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١].

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢].

* ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ، يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبُّ! يَا رَبُّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّي بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ!!».

رواه مسلم في صحيحه

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

قوله: «فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ ذَلِكَ»، وقد امتلأ جسمه من الحرام!!

* وهذا نصٌّ صريحٌ أن التقوى ليست باللباس، فليس كُلُّ مَنْ تَرَاهُ قَذْرًا، أو متقشفًا هو رجل صالح...!

* وإنما يجب أن يزنه بميزان الشرع :

فإن ظهر كاملاً فهذا هو الصالح حقاً، لبس جيّداً أو جديداً... !
وإن كان ناقصاً فهو الشقي وإن كان زيه زيّ أتقى الناس ، وأورعهم .
* فمنهم مَنْ يتخذُ الشَّعْثَ زهداً في الدنيا !

* ومنهم مَنْ يتخذُه مصيدةً للاستيلاء على قلوب الناس وأموالهم !

* ومنهم مَنْ يتخذ اللباس تحدثاً بنعمة الله وإظهاراً لها !

* ومنهم مَنْ يستعمله كبراً وغروراً .

فكلُّها تدور حول الحديث الأول :

إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ

* ولكن المقياس الحقيقي لنا هو اتباع الشرع .

اهـ للعوفي عن النسخة القديمة !

ورحم الله ابن الحاج حين قال في كتابه المدرج :

* لَيْسَ التَّصَوُّفُ لِبَسِّ الصُّوفِ تَرْقُعُهُ
وَلَا بِجَاوِزِهِ إِنْ غَنَى الْمَفْتُونَا

* وَلَا صِيَاغُهُ وَلَا رَقْصُهُ وَلَا طَرَبُهُ
وَلَا اخْتِبَاطُهُ كَانَ قَدْ صِرَتْ مَجْنُونَا

* بَلِ التَّصَوُّفُ أَنْ تَصْفَوْا بِلَا كَدٍ
وَتَتَّبِعَ الْحَقَّ وَالْقُرْآنَ وَالتَّوْبَانَا

* وَأَنْ تُرَى غَايَةً لِلَّهِ مُكْتَسِبَا
عَلَى ذُنُوبِكُمْ طَوَّلَ الدَّهْرِ مَحْزُونَا

وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِيْمَانَنَا الشَّافِعِي حَيْثُ قَالَ :

* حَسَنَةُ ثِيَابِكَ مَا اسْتَطَعْتُ فَأَنْهَى

زَيْنُ الرِّهَالِ بِهَا تُعْزُّ وَتُكْرَمُ

* وَدِعِ التَّخَشُّعَ فِي الثِّيَابِ تَوَاضَعًا

فَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّ وَتَكْتُمُ

* فَجَدِيدُ ثَوْبِكَ لَا يَضُرُّكَ بَعْدَ مَا

تَخْشَى إِلَافَهُ وَتَقِي مَا يَحْرُمُ

* وَرَيْبُ ثَوْبِكَ لَا يَزِيدُكَ رِفْعَةً

عِنْدَ إِلَافِهِ وَأَنْتَ عَبْدٌ مُجْرَمُ

اهـ شرح الحديث الثامن

كتبه محمد

* * *

لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ

التَّاسِعُ :

* حَدِيثُ : «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ».

[رواه مالك مرسلاً، ورواه الدارقطني، وجماعة
من وجوه متصلًا وهو حديث حسن]

الشَّرْحُ وَالنَّعْلِقُ

قوله : «لَا ضَرَرَ»

* أي : لا يضر الإنسان أخاه لأجل نفع نفسه .

«وَلَا ضِرَارَ»

* أي : يضر غيره بدون انتفاع فكلاهما مذمومٌ ، لأن الشريعة لم تُجَوِّزْ لك
منفعةً تضر فيها غيرك . . .

وقال في النهاية :

* لَا ضَرَرَ ، أي : لا يضر الرجل أخاه ، فينقصه شيئاً من حقه .

* وَلَا ضِرَارَ ، أي : لا يُجَازِيهِ عَلَى إِضْرَارِهِ بِإِدْخَالِ الضَّرَرِ عَلَيْهِ .

اهـ باختصار .

والى الأخير الإشارة بقوله تعالى :

* ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٢١) .

[فصلت : ٣٤]

و «ضِرَارَ» بكسر أوله من ضره ، وضارّه بمعنًى وهو خلافُ النفع ، كذا قاله
الجوهري .

* فالجمعُ بينهما للتأكيد، والمشهور أن بينهما فرقاً...!

ثم قيل:

* الأول: إلحاقُ مفسدةٍ بالغير مطلقاً...!

* والثاني: إلحاقُ مفسدةٍ بالغير على وجه المقابلة أي: كلُّ منهما يقصد

ضرراً صاحبه...!

وقال ابن حبيب:

* الضررُ عند أهل العربية: الاسم، والضرار: الفعل...!

* فمعنى الأول: لا تُدخلُ على أخيك ضرراً لم يُدخله على نفسه...!

* ومعنى الثاني: لا يُضارَّ أحدٌ بأحد... فهي أبلغ في الضرر!!

وقيل: الضرر أن يُدخل على غيره ضرراً بما يتتبع هو به...!

* والضرار: أن يُدخل على غيره ضرراً بما لا منفعة له به، كمن منع ما

لا يضره ويتضرر به الممنوع...

وقيل:

* الأول: ما لك فيه منفعةٌ وعلى جاره مضرة...!

* والثاني: ما لا فيه منفعةٌ لك وعلى جارك فيه مضرة، وهو مجرد تحكم

بلا دليل، وإن قال غير واحد إن هذا وجهٌ حسنٌ المعنى في الحديث...!

وفي رواية:

* «ولا إضرار» من أضرَّ به إضراراً إذا ألحق به ضرراً...!

وقال ابن الصلاح:

* وهي على السنة كثير من الفقهاء والمحدثين ولا صحة لها!!

* ولذا أنكرها آخرون، وانتصر لها بعضهم بأنها جاءت في بعض روايات

ابن ماجه والدارقطني وفي بعض نسخ الموطأ!!

قَالَ :

وقد أثبتتها بعضهم وقال : يقال ضَرٌّ وأضرَّ بمعنى أي : بمعنى واحد . . . !

وظاهر الحديث :

* تحريم سائر أنواع الضرر إلا للدليل ، لأن النكرة في سياق النفي تعم ، إلا في نحو لا رجل في الدار بالرفع ، لأنك تقول : بل رجلان ، ولا تقول ذلك مع الفتح . . . !

* فكل ما جاء في تحريم الظلم من الآيات والأحاديث دليل على تحريم الضرر لأنه نوع من الظلم . . . !

* فعلم أن معنى الحديث ما مر من نفي سائر أنواع الضرر والمفاسد شرعاً ، إلا ما خصه الدليل . . .

* وأن المصالح تُراعى إثباتاً ، والمفاسد تُراعى نفيًا ، لأن الضرر هو المفسدة ، فإذا نفاها الشرع لزم إثبات النفع الذي هو المصلحة ، لأنهما نقيضان لا واسطة بينهما . وقدره :

* مَنْ ضَارَّ ضَارَّ اللَّهُ بِهِ ، وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ . . .

وفي رواية :

* لَعِنَ مَنْ ضَارَّ مُسْلِمًا ، أَوْ مَآكِرَهُ . . . !

اهـ من الفتح المبين باختصار ص ٢٣٧ . وهو بحث علمي نفيس .

اهـ شرح الحديث التاسع
كتبه محمد

* * *

الدِّينُ النَّصِيحَةُ

الْعَاشِرُ :

عن تميم الداري - رضي الله تعالى عنه - :
أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ :
« الدِّينُ النَّصِيحَةُ » .

قلنا: لمن؟

قال:

* ١ - «لِلَّهِ .

* ٢ - ولرسوله .

* ٣ - ولأئمة المسلمين وعامتهم» . . . !

رواه مسلم

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

فأما النصيحة لله :

* فالإخلاص في العبادة، ونفي الشريك، وترك الإلحاد، وتنزيهه تعالى
عن كل نقص وعيب مع القيام بالطاعة، والحثُّ عليها، واجتناب المعاصي،
وزجر الغير عنها، والحثُّ في الله والبغضُ في الله .

وأما النصيحة لرسوله :

* فهي تصديقه، والإيمانُ بما جاء به، وبثُّ دعوته، وإحياء سنته، وقمعُ

البدع التي أحدثت بعده، والتخلق بأخلاقه ﷺ والتأدب بآدابه، والحب لآله وأصحابه صلوات الله عليهم أجمعين.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين:

* فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، ونهيهم عن المنكر، وتذكيرهم به، وإعلامهم بما غفلوا عنه، وأن لا يَغَرَّهم بالثناء عليهم كذباً وزوراً، فمن مدحك بما ليس فيك، ذمك بما ليس فيك.

* وقد ذكرت في كتابي «الحب الخالد» في الطبعة السابعة ص ٢٢١، بأنه لا يجوز الخروج على الحاكم بالسلاح، ولو كان منحرفاً، وذكرت موقف الحسن البصري أمام الحجاج المتفق على ظلمه، وموقف الشيخ سعيد النوري أمام أتاتورك!

وهو موضوع اجتماعي حسّاس ينبغي أن نقف عليه بفهم ودقة، ونُفهمه غيرنا من ولد وصاحب، حقناً للدماء، وحفاظاً على البلاد...! اسمعوا وأطيعوا ولو تأمر عليكم عبدٌ حبشي...!
والأ ندمنا ولات ساعة مندم.

اه شرح الحديث العاشر
كتبه محمد

* * *

الأمر والنهي

الحادي عشر:

* عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - :

أنه سمع النبي ﷺ يقول:

* « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم؛ فإنما هلك الذين من قبلكم بكثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم ».

متفق على صحته

الشرح والتعليق

قوله: بكثرة مسائلهم، لأنها تسبب الخلاف، وتورث النزاع...

* وقد وقع ما حذر منه الرسول ﷺ، فلقد بلغ من المسائل أن صارت الخيالات البعيدة عن العقل تدون بالكتب، وتمضي الأوقات الكثيرة لدرسها، والتحقيق عنها، وهي مستحيلة الوقوع عادة!!

* وقد بلغ من الاختلاف أن المسلمين يكفر بعضهم بعضاً، ويتعصبون على بعضهم، وليتهم فعلوا هذا التعصب ووجهوا قوتهم نحو الكفار الذين استغلوا هذا الاختلاف فامتلكوا البلاد، واستعبدوا العباد، فإن الله وإنا إليه راجعون.

اه شرح الحديث الحادي عشر

كتبه محمد

* * *

الزُّهْدُ

الثَّانِي عَشَرَ:

* عن سهل بن سعد - رضي الله تعالى عنه - قال :

* جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال :

* يا رسول الله دلّني على عملٍ إذا عملته أحبّني الله، وأحبّني الناس !

فقال :

* ١- « اِزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ »

* ٢- « وَارْزُقْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ »

حديث حسن رواه ابن ماجه

الشَّرْحُ وَالنَّعْلِقُ

قوله : اِزْهَدْ فِي الدُّنْيَا ، ليس المراد منه أن يترك كلّ عملٍ ، ويعتزل العالم ؛ بل القصد أن يُخرج حبَّ الدنيا من قلبه ، مؤدياً ما عليه من الحقوق :

* لا يبخل ولا يُسرف ، فإن الاقتصاد والاعتدال هو الذي أثنى الله في كتابه على مَنْ عمل به :

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۝١٧﴾

[الفرقان : ٦٧]

اختلاف الناس في الزهد:

فمنهم من قال:

* الزُّهْدُ في الحرام، لأنَّ الحلالَ مباحٌ من قِبَلِ الله تعالى، فإذا أنعم الله سبحانه على عبدٍ بمالٍ من حلالٍ، وتعبَّده بالشكر عليه فتركه باختياره، لا يُقَدِّمُ على إمساكه بحقٍ إلَّا بإذنه.

ومنهم من قال:

* الزُّهْدُ في الحرام واجبٌ، وفي الحلال: فضيلة، فإنَّ إقلالَ المالِ – والعبدُ صابرٌ على حاله، راضٍ بما قسمَ اللَّهُ له قانعٌ بما يُعطيه – أتمُّ من توسُّعه وتَبَسُّطه في الدنيا، وأنَّ الله تعالى زَهَّدَ الخلقَ في الدنيا بقوله: ﴿قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾ [النساء: ٧٧].

ومنهم من قال:

* إن أنفق ماله في الطاعة، وعلم من حاله الصبر، وترك التعرض لما نهاه عنه في حال العسر، فحينئذ يكون زهده في المال الحلال أتمَّ.

ومنهم من قال:

* ينبغي للعبد ألا يختار ترك الحلال بتكلفه، ولا طلب الفضول مما لا يحتاج إليه، ويراعي القسمة:

* فإن رزقه الله – سبحانه وتعالى – مالاً من حلال شكره، وإن وفقه الله تعالى على حدِّ الكفاف لم يتكلف في طلب ما هو فضول المال!!

* فالصبرُ أحسنُ بصاحب الفقر، والشكرُ أليقُ بصاحب المال!!

وتكلموا في معنى الزهد: فكلُّ نطق عن فهمه، وأشار إلى حده:

قال سفيان الثوري:

الزُّهْدُ في الدنيا: قَصْرُ الأملِ، ليس بأكل الغليظ، ولا بلبس العباءة.

* ترقب ترجمة هذا الإمام العظيم في ص ١٧٧ من هذا الكتاب.

وَقِيلَ الزَّهْدُ: يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿لَيْكُنْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

فالزَّاهد:

* لا يفرحُ بموجود في الدنيا، ولا يتأسفُ على مفقود منها:

* وقال يحيى بن معاذ: الزهد يورث السخاء بالملك!!

* وقال ابن خفيف: وجودُ الراحة في الخروج عن الملك!!

* وقال الجنيد: الزهد خلو القلب عما حلت منه اليد!!

وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى - :

الزُّهْدُ:

عبارةٌ عن الرغبة في حظوظ النفس كلّها إلى ما هو خير منها، علماً بأن المتروك حقير بالإضافة إلى المأخوذ.

واعلم :

* أنه قد يظن الظان، أن تارك الدنيا زاهدٌ، وليس كذلك، فإنَّ تركَ المال، وإظهارَ الخشونة، سهلٌ على من أحبَّ المدحَ بالزهد؛ بل لا بد من الزهد في حظوظ النفس!! وله ثلاث علامات :

* ١ - الأوّل: ألا يفرحَ بموجود ولا يحزنَ على مفقود!

* ٢ - الثّانية: أن يستويَ عنده ذائقه ومادحُه!

* ٣ - الثّالثة: أن يكون أنسه بالله تعالى، والغالبُ على قلبه حلاوة الطاعة.

اه شرح الحديث الثاني عشر

كتبه محمد عن مصادر مختلفة

* * *

مَتَى يُسْتَحَلُّ الدَّمُ ؟

الثَّلَاثُ عَشَرَ :

* عن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

* « لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِأَحَدِي ثَلَاثَ :

* ١ - الثَّيْبُ الزَّانِ !

* ٢ - وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ !

* ٣ - وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمَفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ . . . !

متفق على صحته

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيلُ

* هكذا هو في النسخ « الزان » من غير ياء بعد النون، وهي لغة صحيحة .

قرىء بها في السبع كما في قوله تعالى : ﴿ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد : ٩] ، وغيره .

والأشهرُ في اللغة إثباتُ الياء في كل هذه .

وفي الحديث :

* إثباتُ قتلِ الزاني المحصن ، والمرادُ رجمُهُ بالحجارة حتَّى يموتَ .

وهذا بإجماع المسلمين . . .

واعلم أن ارتكاب الكبائر، لا يسلب الإيمان، ولا يُحبط الطاعات :
 * إذ لو كانت محبطةً لذلك، للزم أن لا يبقى لبعض العصاة طاعة...
 والقائل بالإحباط، يُحيل دخوله الجنة.

قال الإمام السبكي :

* والأحاديث الدالة على دخول مَنْ مات غيرَ مشركٍ الجنة، بلغت عددَ التواتر!!

وهي قاصمة لظهور المعتزلة القائلين بخلود أهل الكبائر في النار.
 وأول الحدود :

* الزنا وهو من أكبر الكبائر بعد القتل لقوله تعالى :

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ عَنْهَا كَافِينَ﴾

ولإجماع أهل الملل على تحريمه، فلم يحلَّ في ملة قطُّ، ولهذا كان حده
 أشدَّ الحدود في الجملة...!

* ويجلد الزَّاني غير المحصن مائة جلدة، ويُغَرَّبَ عاماً عن بلده.

فالجلد ثبت في القرآن في قوله تعالى :

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾.

فائدة :

ما الحكمة في مشروعية القصاص؟

أقول :

* ١ - شرع الله القصاصَ حفظاً للأنفس :

* ٢ - وشرع قمع الردة وقاتل المرتدين حفظاً للدين!

* ٣ - وشرع حد الزنا حفظاً للأنساب!

* ٤ - وشرع حد القذف حفظاً للعرض!

- * ٥ - وشرع حدُّ السرقةِ حفظاً للأموال!
- * ٦ - وشرع حد شربِ المسكر حفظاً للعقل!

وبيان ذلك :

إذا علم القاتل أنه إذا قُتِلَ قُتِلَ، انكف عن القتل فكان ذلك سبباً لحفظ النفس.

وهكذا يُقال في الباقي !!

* فهذه الحدود العظيمة شُرِعت لمصالح الناس خاصةً وعامةً، وفيها حياةٌ للبشر، واستقرار، وأمنٌ وأمان.

لَمَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ :

* والنفسُ بالنفس .

فالمرادُ به القصاصُ بشرطه .

وقد يستدل به أصحابُ أبي حنيفة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وجمهور العلماء على خلافه، منهم مالك والشافعي والليث وأحمد... !

وَأَمَّا قَوْلُهُ :

* والتارك لدينه المفارق للجماعة :

فهو عامٌ في كل مرتد عن الإسلام بأيِّ رَدَّةٍ كانت .

* فيجب قتله إن لم يرجع إلى الإسلام... !

قال العلماء :

* ويتناول أيضاً كلَّ خارجٍ عن الجماعة ببدعة، أو بَغْيٍ أو غيرهما، وكذا الخوارج وغيرهم ممن أحدثوا حدثاً مخالفاً لقواعد الإسلام، واللَّهُ أَعْلَمُ .

واعلم أن هذا عامٌ يُخصُّ منه الصائلُ ونحوه، فيباح قتله في الدفع .

* وقد يجاب عن هذا بأنه داخل في المفارق للجماعة، أو يكون المراد لا يحل تعمدُ قتله قصداً إلا في الثلاثة، والله أعلم .

اهـ من شرح مسلم للمؤلف - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - ١٦٤/١١

وقد تناولت موضوعَ الردة في كتابي الصحوة القريبة تناولاً واسعاً وبينت أحكامها وأنواعها وأقسامها بشكل مفصّل وموضّحٍ ثبتني الله وأحبّابي بالقول الثابت .

اهـ شرح الحديث الثالث عشر
كتبه محمد

* * *

متى يُقَاتِلُ النَّاسُ؟

الرَّابِعَ عَشَرَ:

* عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - :

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

* «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ، حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى».

متفق على صحته

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيلُ

قوله: «إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»:

* يعني أَنَّ مَنْ تَرَكَ حَقًّا مِنْ حَقُوقِ الْإِسْلَامِ لَيْسَ لَهُ حَقٌّ فِي اسْتِعْمَالِ الْعِصْمَةِ، وَقَدْ يؤولُ الْأَمْرُ إِلَى سَفْكَ دَمِهِ إِذَا كَانَ فِيهِ ضَرَرٌّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ!! تَأْدِيبًا وَتَعْزِيرًا، وَهَذَا يَعُودُ أَمْرُهُ إِلَى الْحَاكِمِ الْمُسْلِمِ...!

* وَلَا عِبْرَةَ بِمَا تُكْنِهُ الضَّمَائِرُ وَتُخْفِيهِ الْأَفْتِدَةُ، فَإِنَّ حِسَابَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

فكلمة التوحيد:

* هي التي خلق الله - سبحانه وتعالى - الخلق لها وهي: العبارة الدالة على الإسلام:

* فكل مَنْ تَلَفَّظَ بها من الإقرار بالرسالة المحمدية فمسلمٌ، وظاهره، بل صريحه أنَّ قائلها مسلم، وإن كان مقلِّداً...!

قال الإمام النووي — رَضِيَ اللهُ عَنْهُ — مؤلف هذا الكتاب:
* وهو مذهبُ المحققين، فإذا فعلوها: أثرها أي: أثر إذا على إنَّ مع أنَّ إنَّ المقام لها، لأنَّ فعلهم متوقَّع في المستقبل، لأنَّه علم إجابة بعضهم فغلبهم لشرفهم، أو تفاؤلاً نحو غفر الله لك...!

عصموا:

* حفظوا مني دماءهم وأموالهم أي منعوها إذ العصمة: المنعة...!

والاعتصام:

* الاستمسكُ، فلا يحل سفكُ دمائهم، ولا أخذُ أموالهم إلاَّ بحقها، أي الدماء والأموال هي معصومة، إلاَّ عن حقٍ يجب فيها:

* كَقَوْدٍ، وَرِدَّةٍ، وَحَدٍّ، وترك صلاة، وزكاة، وحقَّ آدميٍّ...!

وَحَقُّهَا:

* ما تبعها من الأفعال، والأقوال الواجبة التي لا يتم الإسلام إلاَّ بها:

فالمتلَفُظ بكلمة التوحيد يطالب بهذه الفروض...!

وقول أبي حنيفة:

* إنَّ تارك الصلاة كسلاً لا يُقتل لظاهر هذا الحديث؛ ولخبر: لا يحل دمُ

امرئٍ مسلمٍ، ولأنَّها أمانة بينه وبين الله تعالى، ولأنَّها عبادة تُقضى وتؤدى:

كصوم، وزكاة، وحج، ولأنَّ الاختلاف شبهةٌ تُدْرَأُ بها الحدودُ.

وقد أجاب العلماء على هذا.

اهـ من فيض القدير ١٨٨/٢ باختصار، وهو موضوع علمي نفيس.

اهـ شرح الحديث الرابع عشر

كتبه محمد

* * *

أَرْكَانُ الْإِسْلَامِ

الخَامِسَ عَشَرَ :

* عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - قال :

قال رسول الله ﷺ :

«بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ :

* ١ - شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ !

* ٢ - وإِقَامِ الصَّلَاةِ !

* ٣ - وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ !

* ٤ - والحُجِّ !

* ٥ - وصَوْمِ رَمَضَانَ . . . !

متفق عليه

الشرح والتعليق

قوله : «بني الإسلام على خمس» :

* لا أدري ماذا نقول عن شخص يدعي الإسلام ولم يعمل من هذا البناء شيئاً؟

* وهل هو إلا مستهزئٌ بالإسلام يريد استغلال الإسلام، والاستفادة منه، بدعوى لا بيّنة له عليها!

* وما أحسنَ مناسبةَ هذا الحديثِ بما وراءه وهو قولُه ﷺ: «لو يُعطى الناس بدعواهم لادعى... إلخ»^(١).

* فإنَّ هذا يُوافقُ عصرنا حيث إن كثيرين ممن يدعون الإسلام، وأن لهم فيه قدماً راسخة، لم يصدر عنهم شيءٌ من الأركان غير دعوى الشهادة فحسب.

* وقد يجوز أن تكون من الشهادة التي ذكرها الله بقوله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

* فلا بدَّ من البيئة على دعوى الإسلام، وهي العملُ بأركانه، والسعيُ خلفَ مصلحة المسلمين.

اهـ عن النسخة القديمة للعوفي

ولقد صدر لنا - والحمد لله - كتابٌ جديد عنوانه: الإسلام وأركانه الأربعة، تحدثنا عنها بشكل مفصل ومفيد والحمد لله...

اهـ شرح الحديث الخامس عشر

كتبه محمد

* * *

(١) اقرأه في ص ٨٥ على مهل.

الْبَيِّنَةُ وَالْيَمِينُ

الستّاس عَشَرَ :

* عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - :

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :

«لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ، لَادَّعَى رَجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ، وَدِمَاءَهُمْ، لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ».

حديث حسن رواه البيهقي بهذا اللفظ،
وبعضه في الصحيحين

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

* لا يتمكن المدَّعى عليه : مِنْ صَوْنِ دَمِهِ، وَمَالِهِ !

* وَوَجْهُ الْمُلَازِمَةِ فِي هَذَا الْقِيَاسِ الشَّرْطِي :

أَنَّ الدَّعْوَى بِمَجْرَدِهَا إِذَا قُبِلَتْ، فَلَا فَرْقَ فِيهَا بَيْنَ الدِّمَاءِ، وَالْأَمْوَالِ
وغيرهما...

وَبَطْلَانُ اللَّازِمِ ظَاهِرٌ، لِأَنَّهُ ظَلَمٌ...

* وَقَدَّمَ الدِّمَاءَ لِأَنَّهَا أَعْظَمُ خَطَرًا، وَلَكِنْ عَلَى الْمُدَّعِي عَلَيْهِ ذِكْرُ الْيَمِينِ
فَقَطْ، لِأَنَّهُ الْحُجَّةُ فِي الدَّعْوَى آخِرًا...

* وَإِلَّا فَعَلَى الْمُدَّعِي الْبَيِّنَةُ لَخَبَرِ الْبَيْهَقِيِّ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ : «الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي
وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ»... !

* **فقوله:** لكن، إلخ... بيانٌ لوجه الحكمة في كونه لا يُعطى بمجرد دعواه، لأنه لو أُعطيَ بمجردَها لم يمكن المدعى عليه صون ماله كما تقرر.

* وفيه حجة لمذهب الشافعي من توجه اليمين على كل من ادَّعى عليه بحق مطلقاً...

* **المدعي:** هو مَنْ يدَّعي أمراً خفياً يُخالف الظاهر، أو ما لو ترك لترك^(١).

* **والمدعى عليه:** عكسه. فصدق يمينه لقوة جانبه...!

وقد يكون كلٌّ من المتنازعين مدَّعيًا، ومدَّعى عليه كما في التحالف.

* **واليمين على مَنْ أنكر.**

* **لأن الأصل** براءة ذمته عما طُلب منه، وهو متمسك به.

لكن لما أمكن أن يكون قد شغلها بما طُلب منه، دفع الاحتمال عن نفسه باليمين!!

ثم الحالف:

* هو كل من توجهت عليه دعوى؛ لو أنكر مضمونها لزمته اليمين ما لم تجرَّ إلى فساد...

أه باختصار من فيض القدير للإمام المناوي، وفتح المبين لابن حجر.

أه شرح الحديث السادس عشر

كتبه محمد

* * *

(١) المعنى: لو ترك حقه لترك، أي تركه المدعى عليه أو الحاكم.

الْبِرُّ وَالْإِثْمُ

السَّابِعُ عَشَرَ:

* عن وابصة بن معبد - رضي الله تعالى عنه - أتى رسول الله ﷺ،
فقال له:

«جئت تسأل عن البرِّ والإثم؟».

قال: قلت: نعم.

قال: «اُتِفْتُ قَلْبَكَ؟».

البرُّ:

* ما اطمأنت إليه النَّفْسُ، واطمأنَّ إليه الْقَلْبُ.

والإثم:

* مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ
وَأَفْتَوْكَ».

وفي رواية:

«وإنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ».

حديث حسن،

رواه أحمد بن حنبل والدارمي وغيرهما

* وفي صحيح مسلم من رواية النوّاس بن سَمْعَانَ - رضي الله تعالى عنه - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

* «الْبِرُّ: حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطْلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ».

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

الْبِرُّ:

* كلمة جامعة لخصال الخير: كالصَّلة، والرَّافَةِ، والصَّدَقِ، والطَّاعَةِ لله تعالى!...

وَالْإِثْمُ:

* هو الذنبُ على اختلاف أنواعه، وفعلٌ ما حرَّم الله: مِنْ تَرْكِ وَاجِبٍ، أو فعل حرام!...

وهما مِنْ جوامِعِ كَلِمِ الرِّسُولِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

* وذلك أَنَّ الْبِرَّ يَدْخُلُ تَحْتَهُ: الْوَاجِبُ، وَالْمَنْدُوبُ، وَالْمَبَاحُ!!

* وَيَدْخُلُ فِي الْإِثْمِ: الْحَرَامُ، وَالْمَكْرُوهُ.

وَكُلٌّ مِنْهُمَا مَعْرُوفٌ غَيْرٌ مَجْهُولٌ!...

وَمِنْ أَسْمَى صِفَاتِ الْبِرِّ وَأَحْسَنُهَا:

* التَّخَلُّقُ بِالْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ؛ وَالتَّحَلِّيُ بِمَكَارِمِ الصِّفَاتِ الْمَرْضِيَّةِ؛ مَعَ كَفِّ

الْأَذَى عَنِ النَّاسِ، وَبَذْلُ النَّدَى وَالْمَعْرُوفِ لَهُمْ!!

* وَإِذَا اتَّصَفَ إِنْسَانٌ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْجَلِيلَةِ، ارْتَفَعَ قَدْرُهُ، وَزَكَّتْ رَوْحُهُ،

وَحَسُنَ حَالُهُ!!

* وقد أثبت عز وجل أن البر يتناول كثيراً من صفات الخير ويشملها مع انحصار كل من الإيمان، والصدق، والتقوى.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى
وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّامِعِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

* فهذه الآية من أجمع الآيات وأشملها، فهي الجامعة المانعة . . . !

وفي إخبار الرسول عليه الصلاة والسلام، عن البر بحسن الخلق :

إشارة عظيمة، ودليل قاطع، على أن مكارم الأخلاق، ثمرة الدين !!

* إنما بُعث عليه الصلاة والسلام متمماً لمكارم الأخلاق .

* فَمَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الْخَلْقِ زَادَكَ فِي الْإِيمَانِ . . . !

* وإذا أراد الإنسان أن يصلَ لدرجة الأبرار، عليه أن يجتهدَ في الطاعات،
والأعمال الصالحة، حتى يذوق حلاوة الإيمان، وحتى يُشرقَ في قلبه نورُ
الإخلاص . . . !

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

* إِنَّ الدِّينَ كُلَّهُ فِي حَسَنِ الْخَلْقِ، فصاحبه يتفوق على الصائم القائم .

والإثم : ما حاك في النفس :

معناه: اختلج وتردد، ولم تطمئن النفس إلى فعله بأن أثر فيها ورسخ،
وكرهت أن يطلع عليه الناس !!

فَيَعْرِفُ الْإِثْمَ بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ :

* ١ - الْأَوَّلُ :

أَنْ يَجِدَ الْإِنْسَانَ فِي نَفْسِهِ عِنْدَ صَدُورِهِ مِنْهُ ثِقَلًا ، وَاضْطِرَابًا ، وَقَلَقًا !!

* ٢ - الثَّانِي :

أَنْ يَكْرَهُ إِطْلَاعَ النَّاسِ عَلَيْهِ أَثْنَاءَ التَّبَاسُّهِ بِهِ لِسُوءِ قُبْحِهِ . . . !

فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَرَاجِعَ قَلْبَهُ إِذَا أَرَادَ الْإِقْدَامَ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ ؛ فَإِنْ اطمَأْنَنَ إِلَيْهِ النَّفْسُ فَعَلَهُ وَإِلَّا تَرَكَهُ !!

* فَعَلَيْهِ إِذَا أَنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ ، إِذَا أَرَادَ عَمَلًا ، أَوْ أَقْدَمَ عَلَى أَمْرٍ ؛ فَإِنْ الْفُؤَادُ يَسْكُنُ عَلَى الْحَلَالِ ، وَلَا يَسْكُنُ عَلَى الْحَرَامِ ، وَهَذَا فِي حَقِّ مَنْ تَنَوَّرَ قَلْبُهُ ، وَأُلْهِمَ الصَّوَابُ . . . !

* وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ : ^{أَبُو} سَبَّاحُ الْكِرْمَانِ

* مَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنِ الْحَرَامِ ، وَكَفَّتْ نَفْسُهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَعَمَّرَ بَاطِنَهُ بِالْمِرَاقَبَةِ لِلَّهِ تَعَالَى ، وَتَعَوَّدَ أَكْلَ الْحَلَالِ ، لَمْ تُخْطِئْ فِرَاسَتُهُ . . . !
وَالْبَرُّ :

* بِالْكَسْرِ أَيْ الْفِعْلُ الْمَرْضِي الَّذِي هُوَ تَرْكِىةُ النَّفْسِ ، كَالْبَرِّ فِي تَغْذِيَةِ الْبَدَنِ بِالضَّمِّ هُوَ الْقَمْحُ ، وَبِالْفَتْحِ ضِدُّ الْبَحْرِ وَمُقَابِلُهُ . . . !
* وَقَوْلُهُ الْبَرُّ :

أَيُّ مَعْظَمِهِ ، فَالْحَصْرُ : مَجَازِي . وَضَدُهُ : الْفُجُورُ وَالْإِثْمُ ، وَلِذَا قَابِلُهُ بِهِ . . . !

وَهُوَ بِهَذَا الْمَعْنَى : عِبَارَةٌ عَمَّا اقْتَضَاهُ الشَّارِعُ وَجُوبًا أَوْ نَدْبًا . . . !

وَالِإِثْمُ :

مَا يُنْهَى عَنْهُ .

* وَتَارَةً يُقَابِلُ الْبَرُّ بِالْعُقُوقِ ، فَيَكُونُ هُوَ الْإِحْسَانُ ، كَمَا أَنَّ الْعُقُوقَ عِبَارَةٌ

عن الإساءة!! من بَرِرتُ فلاناً بالكسر أبرّه برّاً فأنا برٌّ وبارٌّ به، وجمعُ الأول أبرار،
والثاني بَرَرَة.

حسنُ الخلق:

* أي التخلُّقُ معَ الخَلْقِ والخالق. والمرادُ هنا المعروفُ وهو: طلاقة
الوجه، وكفُّ الأذى، وبذلُ الندى، وأن يُحبَّ للناس ما يحبُّ لنفسه...!

اهد من فيض القدير باختصار
كتبه محمد

ومن ثمَّ قال العلماء:

البرّ يكون:

* ١ - بمعنى الصلّة!

* ٢ - وبمعنى الصدق!

* ٣ - وبمعنى اللطفِ والمبرّة، وحسنِ العشرة، والصحبة، ولينِ
الجانب، واحتمالِ الأذى...!

* ٤ - وبمعنى الطاعةِ بسائر أنواعها...!

والإثم:

أي الذنبُ، على اختلاف أنواعه، وتباين صفاته...!

ما حاك:

بحاء مهملةٍ وتخفيفِ الكافِ من حاك يحيك...!

* ومنه قولهم: ضربته فما حاك فيه السيفُ أي أثّر، وما يحيك كلامك في
فلان أي يؤثر، وما تحيك الفأسُ في هذه الشجرة...!

وكرهتُ أن يطلعَ الناسُ عليه:

* أي وجوههم وأماثلهم الذي يُستحي منهم...!

والمرادُ هنا بالكراهة :

الدينيةِ الخارمة، أي للمروءة.

* فخرجت العاديةُ، كمن يكره أن يُرى آكلًا لحياء أو بخل!!

* وغيرُ الخارمةِ، كمن يكره أن يركبَ بينَ مشاةٍ لتواضع أو نحوه، فإنه

لو رُئي كذلك لم يبال...!

* وقد استفيد من هذا السياق، أن للإثم علامتين.

* وهذا الحديث هو من جوامع كلمه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بل من

أوجزها.

* إذ البرُّ: كلمةٌ جامعةٌ لجميع أفعال الخير، وخصال المعروف.

قال ابن عمر _ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا _ :

البرُّ:

* أمرٌ هينٌ، وجه طلقٌ، ولسانٌ لينٌ!!

والإثم:

* كلمةٌ جامعةٌ لجميع أفعال الشرِّ والقبايحِ كبيرها وصغيرها.

اهـ من الفتح المبين باختصار

اهـ شرح الحديث السابع عشر

كتبه محمد

* * *

الإِحْسَانُ وَالتَّحْسِينُ

الثَّامِنَ عَشَرَ :

* عن شدَّادِ بْنِ أَوْسٍ - رضي الله تعالى عنه - :
عنه رسول الله ﷺ قال :

* «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ، وَلِيُحَدِّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلِيُرْحُ ذَبِيحَتَهُ».

رواه مسلم

والقِتلة والذَّبْحَةُ بكسر أولهما.

الِشَّرْحُ وَالتَّعْلِيلُ

الإِحْسَانَات :

* مصدرُ أَحْسَنَ إِذَا أَتَى بِالْحَسَنِ وَهُوَ : مَا حَسَّنَهُ الشَّرْعُ لَا الْعَقْلُ خِلَافاً
لِلْمَعْتَزَةِ كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي الْأَصُول !!

* والمرادُ به هنا : تَحْسِينُ الْأَعْمَالِ الْمَشْرُوعَةِ ، لَا مَجْرَدُ الْإِنْعَامِ عَلَى
الْغَيْرِ :

* لِأَنَّ الْأَوَّلَ أَعْمُ نَفْعاً ، وَأَكْثَرُ فَائِدَةً ، لِأَنَّ الْإِحْسَانَ فِي الْفِعْلِ يَعُودُ مِنْهُ نَفْعٌ
عَلَيْهِ ، وَعَلَى غَيْرِهِ ، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ . . . !

* دَخَلَ فِي هَذِهِ الْكَلِيَةِ : النَّبَاتُ ، وَالْحَيَوَانُ ، آدَمِيًّا ، وَغَيْرَ آدَمِيٍّ . . . !

فالإحسانُ إلى النبات :

* بسقيه ، وإزالةِ الأشواك ، والأحجار المؤخرة لسرعة النمو ، فالإحسان إلى النبات ، هو إحسانٌ للإنسان والحيوان .
أما الإحسانُ إلى الناس :

* فبنصحبهم ، وتعليمهم ، وإرشادهم لطريق الهداية !
والإحسان إلى الملائكة :

* بإحسان عشرتهم بأن لا يُفعلَ بحضرة الحفظة ما يكرهون : من فعلٍ حرام ، أو تلفظٍ بقبیح ، أو أكل شيء كرهه !
والإحسان إلى الجن :

* بأن يُدخلهم بسلامه ، ويَشمَلهم بتحيته كلما أراد أن يتحلل من الصلاة ، فإنه يُسن للمصلي أن ينوي به من ملائكة ، ومؤمني إنسٍ وجنٍّ . . . !
* وهكذا يتوزع الإحسان كلاً على حسبه .
فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة :

* هي بكسر القاف بمعنى الهيئة والحالة ، وبالفتح : المرة والوحدة .
كما قال صاحب الخلاصة :

وَفَعَلَةٌ لِمَرَّةٍ كَجَلَسَةٍ
وَفَعَلَةٌ لِهَيْئَةٍ كَجَلَسَةٍ

* وأفاد الأمرُ الوجوبَ لكل قتلٍ جائزٍ ومشروع ذبحاً كان ، أو حداً من الحدود ، أو قوداً :

فيكون بآلة غير كآلة ، وطريقة سريعة الإجهاز ، مع قصد عدم التعذيب ،
ما عدا طريقَ القصاصِ يُطلب المماثلة فيها . . . !

وإذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبْحَةَ:

* بأن يَرَفُقَ بالبهيمة فلا يَصْرَعُهَا بعنف ولا غلظة، ولا يجرها إلى موضع الذبح جزأً عنيفاً!! كما يصنعه الأجلاف . . . !

* وألاً يَحْدُ آلة الذبح أَمَامَهَا، وألاً يذبحها أَمَامَ أَخِيهَا، كما يفعل بعضُ الجهلة من الجزارين!!

* وَيَعْرِضُ عليها الماء، ويذكرُ اللَّهَ تعالى عند الذبح!!
وهذا الأدب يُؤخذ من عَجَزِ الحديث، وهو قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:
* «وَلْيُحْدِ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرْخِ ذَبِيحَتَهُ».

فصلواتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ:
* يَا مَنْ أَحْسَنْتَ وَعَلَّمْتَ وَأَذَبْتَ . . . !

وقدَّمْتَ للمجموعة البشرية كلَّ رفقٍ وإنسانية.

* فجزاك الله عن أمتك خيرَ جزاء. اهـ^(١).

اهـ شرح الحديث الثامن عشر
كتبه محمد

* * *

(١) أقول:

* هذه الآداب ينبغي أن تُراعَى من القائمين على هذا — ولا سيما الجزارون — . . . !
* فالرحمة لا تتزع إلا من شقي، والراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء . . . !

* فهذه المدرسة الإنسانية، والجامعة المحمدية التي قدمها لنا النبي الأمي والتي تفوقت على جميع الجامعات وعلت جميع الدراسات، فصلواتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ!! كلما ذكرك ذاكر، وغفل عن ذكرك غافل . . . !

اهـ محمد

سَمَاءُ الْإِيمَانِ

التَّاسِعَ عَشَرَ :

عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - :

عنه رسول الله ﷺ قال :

* «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ !

* وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ !

* وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ .»

متفق على صحته

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

قوله : فليقل خيراً أو ليصمت !!

قال الشافعي - رحمه الله - :

معنى الحديث :

إذا أراد أن يتكلم ، فليفكر :

* فإن ظهر أنه لا ضررَ عليه تكلم !

* وإن ظهر أن فيه ضرراً ، أو شكَّ فيه أمسك . . . !!

ولذا قال القشيري - رحمه الله تعالى - :

* السكوتُ في وقته صفةُ الرجالِ ، كما أنَّ النطقَ في موضعه منْ أشرف

الخصالِ . . . !

وقال الدقاق - رحمه الله تعالى - :

* مَنْ سَكَتَ عن الحق، فهو شيطانٌ أخرسٌ . اهـ .

ذكر عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث أموراً ثلاثة يقتضيها الإيمان بالله

تعالى واليوم الآخر :

* ١ - أولاً : النطق بالخير أو السكوت !

* ٢ - ثانياً : إكرام الضيف !

* ٣ - ثالثاً : إكرام الجار !

فمن آمن بكل ذلك، طَمَعَ في الثواب بالمسارعة إلى الخيرات، وكفَّ نفسه

عن القبائح والسيئات . . . !

أما قول الخير أو الصمت :

* فسعادة الإنسان وشقاؤه في طرف لسانه . . . !

فإن حبسَ لسانه عن الخير، جلبَ عليه النوائبَ، وجرَّ إليه المصائبَ،

وأرداه في هوةٍ سحيقة . . . !

وقد أمرنا عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث الشريف بأحد أمرين :

* ١ - إما قول الخير !

* ٢ - وإما الصمت !

فمن لم يتيسر له الإحسان في القول، والنفع به، فليُمسِكْ لسانه، فإن ذلك

أسلمُ له . . . !

ولهذا قال بعض الحكماء :

* ما جعل الله للإنسان لساناً وأذنين، إلا ليكونَ ما يسمعُ أكثرَ مما يقول .

* فاللسانُ في الإنسان، هو هذه الآلةُ الصغيرةُ في حَجْمِها، الخطيرةُ في

أثرِها !!

* وهو هذا العضو الدقيق الرقيق، ولكنه يكاد أن يكون نصف الإنسان!

وإذا هيا الله تبارك وتعالى للإنسان التوفيق في استعمال لسانه في المعروف والإحسان، فقد ساق إليه خيراً كثيراً.

وَأَمَّا الْجَارُ :

* فلفظ عام يشمل المسلم وغير المسلم، والصالح وغير الصالح، والصديق وغير الصديق، والأقرب داراً والأبعد...!

وللجار مراتب بعضها أعلى من بعض :

المسلم، القريب، الصالح، الصديق : أولى ممن لم تكن فيه هذه الصفات :

إذ الجيران ثلاثة : جبار له حق واحد، وجبار له حقان، وجبار له ثلاثة

حقوق!!

* ١ - فالجار الذي له حق واحد هو : الكافر!

* ٢ - والجار الذي له حقان هو : المسلم!

* ٣ - والجار الذي له ثلاثة حقوق هو : المسلم القريب!

وَأَمَّا إِكْرَامُ الضَّيْفِ :

* يكون بحسن استقباله بوجه باش، طليق، ويظهر له الفرح والسرور

بحضوره عنده!!

* ويقدم له خيراً ما عنده من الطعام، والشراب، وسائر أنواع الراحة!!

سواء كان الضيف غنياً أم فقيراً!!

* وإذا كان ذا سعة، مدَّ إليه يد المعونة، والمساعدة بشيء من المال!!

* فالضيف يدخل بالرحمة والرزق، ويخرج وقد غفر لصاحب المنزل.

* وحكي أنه كان لعبد الله بن المبارك فرس فجاء ضيف فذبحه له،

فخاصمته زوجته فطلقها!!

فإذا برجل قد جاء فقال له : إن لي بنتاً جميلةً . . . !

* فزوجه إياها ، وأرسل معها عشرةً من الخيل .

فرأى عبدُ الله في منامه قائلاً يقول له :

إنك طَلَقْتَ لأجلنا عجوزاً ، فقد زَوَّجناك بكرةً ، وذبحتَ لأجلنا فرساً ،

اهـ شرح الحديث التاسع عشر

فقد أعطيناك عشرةً . . . !

كتبه محمد

* * *

مَاضِ الْأُغْضَبِ

أَلْعِشْرُونَ :

* عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - أَنَّ رجلاً قال للنبي ﷺ :
أَوْصِنِي !

قَالَ : « لَا تَغْضَبْ ! » .

* فَرَدَّدَ مراراً !

قَالَ : « لَا تَغْضَبْ » .

رواه البخاري في صحيحه

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيلُ

قَوْلُهُ : « لَا تَغْضَبْ ! » .

* لِأَنَّ الغَضَبَ نوعٌ من أنواع الجنون ، فيصدر عن الإنسان في حالة تهيجه
ما لا يرضاه في حال السكينة !!

* فلقد يخرب في تلك اللحظة ما عمَّره في السنين الطوال ، لِأَنَّ التَّخْرِيبَ
أَسْهَلُ مِنَ التَّعْمِيرِ !!

* ولما كان مقصودُ الشارعِ المحافظةَ على الأعمالِ الصالحة كالحث
عليها ، كرر الوصايةَ بقوله ﷺ :

« لَا تَغْضَبْ » :

* لِتَسْتَطِيعَ حَفْظَ ما بنيتَه من الأعمال ، وإلاَّ فإنك تبقى محفوفاً بالخطر ،
محاطاً به من كل جانب . . . !

* لا تدري متى يتقوض ذلك البناء!

اهـ باختصار من تحقيق العوفي عن النسخة القديمة

قال في الفتح المبين:

* يحتمل أنه أراد أن يعمل بالأسباب التي تُوجب حسنَ الخلق:

١- من الكرم، ٢- والسخاء، ٣- والحلم، ٤- والحياء،
٥- والتواضع، ٦- والاحتمال، ٧- وكفُّ الأذى، ٨- والصفح،
٩- والعفو، ١٠- وكظم الغيظ، ١١- والطلاقة، ١٢- والبشر، ١٣- وسائر
الأخلاقِ الحسنة الجميلة!

* فَإِنَّ النَّفْسَ إِذَا تَخَلَّتْ بِهِذِهِ الْأَخْلَاقِ، وَصَارَتْ لَهَا عَادَةً، اندفع عنها
الغضبُ عندَ حصولِ أسبابه!!

* أو أنه أراد ألا يعمل بمقتضى الغضبِ إذا حصل؛ بل يُجاهد نفسه على
ترك تنفيذه والعمل بما يأمر به!

* فإنه إذا ملك الإنسانَ كان في أسرِهِ، وتحت أمرِهِ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ اللَّهُ
تعالى:

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ
لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

* فَمَنْ لَمْ يَمِثَلْ بِمَا يَأْمُرُهُ بِهِ غَضَبُهُ، وَجَاهَدَ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ اندفع عنه شرُّ
غضبه، وحفظ من آثاره وإلّا وقع في هُوَّةٍ سحيقةٍ...

* وربما سكن ذلك وذهب عاجلاً؛ فكأنه لم يغضب، وإلى هذه الإشارة
بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧].

* ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [١٢٥].
[آل عمران: ١٣٤].

وأخرج الشيخان :

* « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » .

وكانه لم يقنع بقوله : « لا تَغْضَبْ » :

فطلب وصية أبلغ منها وأنفع ، فلم يزد عليه الصلوة والسلام عليها ،
وأعادها له حيث قال له ثانياً ، وثالثاً :

* « لا تَغْضَبْ » ، تنبيهاً له بتكرارها على عظيم نفعها !!

* ويحتمل أنه عليه الصلوة والسلام علم من هذا الرجل كثرة الغضب ،

فخصه بهذه الوصية الصغيرة المبني ، العظيمة المعنى . . . !

وفي رواية :

* قال : يا رسول الله ! أوصني ولا تكثر علي . أو قال : مُرني بأمر وأقلله

كي أعقله ؟ قال : « لا تَغْضَبْ » .

وفي رواية أخرى :

* علّمني شيئاً أعيش به في الناس ولا تكثر علي ! قال : « لا تَغْضَبْ » !!

وفي رواية أخرى :

* قلت : يا رسول الله ، أوصني ! قال : « لا تَغْضَبْ » ، ففكرت حين قال

النبي ﷺ ما قال ؛ فإذا الغضب يجمع الشر كله . . .

ومن ثم قال جعفر بن محمد - رضي الله تعالى عنه - :

* الغضب مفتاح كل شر . . . !

وقيل لابن المبارك :

* إجمع لنا حسن الخلق في كلمة . . . !

* قال : ترك الغضب .

اهـ شرح الحديث العشرين

كتبه محمد

* * *

الْأَحْكَامُ وَالْحُدُودُ

الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ :

عن أبي ثعلبة - رضي الله تعالى عنه - عن رسول الله ﷺ قال :
* «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُوداً
فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَتَهَكَّوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ
غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا».

رواه الدارقطني بإسناد حسن

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

* كان أبو ثعلبة - رضي الله تعالى عنه - ممن بايع تحت الشجرة، وضرب
له ﷺ بسهمه يوم خيبر، وأرسله إلى قومه فأسلموا. نزل الشام، ومات أول إمرة
معاوية - رضي الله عنهما - ... !

وقوله : «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ» !

الفرض في اللغة :

* القطع والتقدير، وفي الاصطلاح :

* ما يُثَابُ عَلَى فعله، ويُعَاقَبُ عَلَى تركه ... !

* وفرض بمعنى أوجب وحثم العمل بها، ويدخل الركن، والواجب،
وفرائض الأعيان، والكفايات على اختلاف أنواعها وتبيان صفاتها.

* فنهانا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ نَضِيعَ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ، أَوْ نَتَهَاوَنَ بِتَرْكِهَا
فنأثم ونخسر خسارة الأبد ... !

* والحنفية: فرّقوا بين الواجب والفرض!!

فالأول ما ثبت بدليل ظني، والثاني ما ثبت بدليل قطعي...!

* والشافعية: لم يفرقوا بين الواجب والفرض والركن إلا في الحج.

وحدّ حدوداً، جمعُ حدٍّ!!

وهو لغة:

* الحاجزُ بين الشيئين!

وشرعاً:

* عقوبةٌ مقدّرةٌ من الشارع تزجر عن المعصية...!

* أي: جعل لكم حواجز، وزواجر مقدّسة، تحجزكم وتزجركم عمّا لا يرضاه، وتقطع الفوضى من دابرها...!

* فدخلتِ الحدودُ بجميع أنواعها: كالسرقة، والخمر، والقذف، التي في إقامتها حياةُ البشر، واستتبابُ الأمن، واستقرارُ الناس ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩].

والأ سادت الفوضى، واختل الأمن...!

فالزيادة في الحدود، والنقصُ تعود إلى اجتهاد الحاكم:

* جَلَدَ عمر - رضي الله عنه - ثمانين في الخمر، واقتصر أبو بكر على

أربعين وهكذا الاجتهاد له حكمه في الإسلام...!

ويصح حملُ الحدودِ هنا على الوقوف عند الأمر والنواهي! ومنه:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩].

* فلا تتجاوزوا ما حدّ لكم بمخالفة المأمور، وارتكاب المحظور.

* وحرّم أشياء فلا تنتهكوها، أي: لا تتناولوها ولا تقربوها، فيحرّم

ارتكابها كما يحرم القربان منها!!

وذلك كشهادة الزور، وأكل مال اليتيم، والربا!!

* غير نسيان لأحكامها، لأن الله لا يضل ولا ينسى!!..!!

* فلا تبحثوا عنها، أي فلا تستكشفوا عن أحوالها، ولا تسألوا عنها، فإن أعظم المسلمين في المسلمين جُرمًا من سأل عن شيء لم يُحرّم، فحُرّم لأجل مسألته، وهذه حكمة عظيمة، قلّ من يتنبه لها...!

اهـ من الفتح المبين باختصار
كتبه محمد وهو بحث علمي نفيس

* * *

التَّائِبُونَ

التَّائِبُونَ وَالْعِشْرُونَ :

* عن أبي ذر ومعاذ - رضي الله تعالى عنهما - :

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ :

* « اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَتَحَرَّهَا ، وَخَالِ

النَّاسَ بِخُلُقِهِ حَسَنٍ » !

رواه الترمذي وقال : حديث حسن ، وفي بعض نسخه المعتمدة : حديث حسن صحيح

الشرح والتعليق

* هذا الحديث من جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام ، وهو حديث عظيم

قد اشتمل على ثلاثة أحكام :

* ١ - حق الله !

* ٢ - وحق المكلف !

* ٣ - وحق العباد !

أَمَّا حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى :

فحيثما كنت فاتقه ، فإنه ناظرٌ إليك ، وراقبٌ عليك !!

وَأَمَّا حَقُّ الْمَكْلُفِ :

إذا وقع في ذنب ، فيبادر إلى التوبة والاستغفار ، السيئة تمحوها الحسنه !!

وَأَمَّا حَقُّ الْعِبَادِ :

فهو معاشرتهم بخلق حسن ؛ وأن يلقاهم بوجه طليق وثغر باسم ... !

وَمَعْنَى هَذَا:

* امثل أيها المكلف! أوامر الله، واجتنب نواهيه في كل مكان، وفي كل

زمان وأوان!!

* فإنه معك أينما كنت، وناظر إليك أينما توجهت، ومطلع عليك أينما

رحلت فهو معنا - والحمد لله - أينما كنا . . . !

وَمَعْنَى التَّقْوَى:

* هي امثال أوامر الله، واجتناب ما نهى عنه!!

وفسر التقوى الإمام علي كرم الله وجهه بقوله:

* ١ - هي الخوف من الجليل .

* ٢ - والعمل بالتنزيل .

* ٣ - والقناعة بالقليل .

* ٤ - والاستعداد ليوم الرحيل . . . !

* وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

* معناه: أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

* لا مُعِينَ إِلَّا اللَّهُ، ولا دَلِيلَ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ، ولا زاد إِلَّا التقوى!!

وَحَقِيقَةُ التَّقْوَى:

* متوقفة على العلم بأحكام الدين؛ إذ الجاهل لا يعرف كيف يتقي الله

عز وجلَّ لجهله الأحكام أمراً ونهياً، فالعلم هو الأساس لبناء المثل الكامل

للمؤمن الذي يريد التقوى .

والخلق الحسن:

* ملكة نفسانية، تحمل صاحبها على فعل الجميل، وتجنب القبيح، مع

طلاقة الوجه، وكفّ الأذى، وبذل المعروف، والعفو عن الزالّين من غير عتاب،
ويقبل عذر المعتذرين، وحينئذ تجتمع القلوب، وتتفق العلانية.

وقال الجنيد - رحمه الله تعالى - :

أربع ترفع العبدَ أعالي الدرجات وإن قلَّ عمله وعلمه :

* ١ - الحلم !!

* ٢ - والتواضع !!

* ٣ - والسخاء ..

* ٤ - وحسنُ الخلق.

من أُعطيَ خلقاً حسناً، وزوجةً سالحة، فقد أُعطيَ خيرَي الدنيا
والآخرة ...

وقيل لذي النون المصري : مَنْ أَكْثَرُ النَّاسِ هَمًّا؟

قال : أَسْوَأُهُمْ خُلُقًا ... !

اهـ شرح الحديث
كتبه محمد

* * *

حَدِيثُ مُعَاذِ الْعَظِيمِ الْعَمَلُ الَّذِي يُدْخِلُ الْجَنَّةَ وَيُنْجِي مِنَ النَّارِ

الثَّلَاثُ وَالْعِشْرُونَ :

عن معاذ - رضي الله تعالى عنه - قال :

* قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ ، وَيُبَاعِدُنِي

مِنَ النَّارِ !

* قَالَ :

« لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ :

* ١ - تَعَبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا !

* ٢ - وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ !

* ٣ - وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ !

* ٤ - وَتَصُومُ رَمَضَانَ !

* ٥ - وَتَحُجُّ الْبَيْتَ !

ثُمَّ قَالَ : « أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؟

* ١ - الصَّوْمُ جُتَّةٌ !

* ٢ - وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ !

* ٣ - وصلاة الرجل في جوف الليل - ثم تلا: ﴿ تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

* ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ ١ - بِرَأْسِ الْأَمْرِ ٢ - وَعَمُودِهِ ٣ - وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟».

* قُلْتُ: بلى يا رسول الله!

* قَالَ: «١ - رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، ٢ - وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، ٣ - وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ».

* ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟

* قُلْتُ: بلى يا رسول الله!

* قَالَ: «فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا!».

فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟

* فَقَالَ: «تَكَلَّمْتُ أَمْرًا، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ».

رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

قوله: «وذروة سنامه: الجهاد»، فإن ترك الجهاد فهو دليل العجز، والاستسلام للعدو، فيبقى الإسلام بيتاً لا سقف له يحميه! أي إنه لا يصلح للاستعمال، ولا تحصل الفائدة المطلوبة منه، فالجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة... وهذا الحكم كاد أن يتعطل!!

ومهما مُنَحَتْ حريةُ العبادةِ من غير المسلمين ، فإنها مقيدةٌ باستحصال أمرٍ
عدوِّ تلك العبادةِ ، فأَيُّ خيرٍ يُرَجَى منها يا تُرى؟ فليتنبّه لهذا!!

* فما أَلَدَّ هذه الجملةُ - وهي من جوامع كلمه ﷺ - !!
ذروة السنام : أعلاه ، وهي بضم الدال وكسر ها .

وقوله : «كفَّ عليك هذا» :

لأنَّ اللسانَ ترجمانُ القلبِ ، فيجوز أن تتكلم بما لا تعتقده فتُعاملَ بموجب
ما تكلمت !!

* ولا يفيدُكَ سرُّ المعاذير ، وإن أفادتكَ في عدم إقامة الحد ، فلا تفيدُكَ
من الشبهة التي أصبحت لا تُفارقُكَ ، ولا تدري كيف التخلُّصُ منها !!

وقوله : «حصائدُ الستهم» :

لأنَّ الله منحَ الإنسانَ نعمةً عظيمةً وهي أن التصورَ القلبيَّ ومجردَ الهمِّ
لا يؤاخذُ عليه !!

* فمتى تكلمَ فقد كُتِبَ به عليه ، وعرضَ نفسه للمسؤولية التي لولا لسانُه
لكانَ منها ناجياً وبرئاً . اهـ .

وقوله : «يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلمُ به؟» :

* استفهامٌ استنبات وتعجبٍ واستغرابٍ !!

* فقال : «تكلتُك أمك» :

أي فقدتُك أمك ، لفقدك إدراكَ المؤاخذهِ بذلك مع ظهورها !!

* وهذا مما غلبَ جريانه على الستهم في المحاورات ، للتحريض على
الشيء والتهيج إليه من غير إرادة حقيقة معناه من الدعاء على المخاطب بموت .

* و «هل» :

استفهام إنكاري بمعنى النفي أي : ما يكُب - بضم الكاف - الناس - أي
أكثرهم - أي يُلقِيهم في النار على وجوههم . . . !

* «أو قال على مناخرهم إلا حصائدُ السُّتهم»:

أي ما تكلمت به من الإثم، حصائدُ: جمعُ حصيدةٍ بمعنى محصودةٍ، شبه ما تكسبه الألسنة من الكلام الحرام بحصائد الزرع، بجامع الكسب والجمع، وشبه اللسان في تكلمه بذلك بحدِّ المنجل الذي يحصد به الناسُ الزرعَ، ففيه استعارة بالكناية من حيث تشبيه ذلك الكلام بالزرع المحصود واللسان بالمنجل!!

والحصر في ذلك إضافي:

* إذ من الناس مَنْ يكبه في النار عمله لا كلامه؛ لكن ذلك خُرْجٌ مَخْرَجُ المبالغة في تعظيم جرائم اللسان!!

ك «الحج عرفة»، أي معظمه، كما أن معظم أسباب النار الكلام!

وك «الدِّين النصيحة»!!

وقد عقد الإمام الغزالي كتاباً لآفات اللسان وبيان خطره **فَقَالَ**:

* اِعلم أن خطر اللسان عظيمٌ، ولا نَجاةَ منه إلا بالنطق بالخير «لا يستقيم إيمانُ العبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه».

وكان ابن مسعود - **رضي الله عنه** - يقول:

* يا لسانُ قل خيراً تغنم، واسكت عن شرٍّ تسلم من قبل أن تندم!!

وذكر - **رحمه الله تعالى** - آفات اللسان وما يجرُّ من ويلات **قَائِلًا**:

* **فمنها** الخوضُ في الباطل، وهو الكلام في المعاصي!!

* كحكاية أحوال النساء، ومجالس الخمر، ومقاماتِ الفساق، وتكبرِ الجبابة، ومراسمهم المذمومة، وأحوالهم المكروهة، مما لا يحل الخوض فيه.

* **ومنّها** التشدُّق وتكلفُ السجعِ والفصاحة، والتصنعُ فيه، فإنَّه من التكلف الممقوت...!

* ومقصودُ الكلام التفهيمُ للغرض وما وراء ذلك تصنعٌ مذمومٌ!

* ومنَها الفحشُ والسب وبذاءةُ اللسانِ، وهو مذموم ومنهي عنه ومصدره
الخبث واللؤم!!

* وقد أطال الشيخ - رحمه الله - في ذكر الآفات، وبسطها بسطاً
واضحاً، وعدَّ الأخطارَ التي تعتري اللسانَ فتكون سبباً لهلاك الإنسان وحتفه حتَّى
أوصلها إلى عشرين آفةً. راجع الإحياء تقف على الداء والدواء.

اهـ شرح الحديث

كتبه محمد

* * *

الموعظة الموشرة

الرابع والعشرون :

* عن العرباض بن سارية - رضي الله تعالى عنه - قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة : وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون فقلنا : يا رسول الله ! كأنها موعظة مودّع فأوصنا ! .

* قال : «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبدٌ ، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين ، المهتدين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ! وإياكم ومحدثات الأمور ! فإن كل بدعة ضلالة » .

رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيلُ

وقد ذكرنا في صفحة (١٠٧) معنى التقوى ولنذكر الآن فوائدها فنقول :

* ١ - منها :

الحفظ والحراسة من الأعداء ، لقوله تعالى :

﴿ وَإِنْ تَصِيرُوا أَتَقْوُوا لَا يَصُرْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

* ٢ - ومنها :

إصلاح العمل وغفران الذنوب ، لقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

* ٣ - ومنها :

المحبة، لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ٧].

* ٤ - ومنها :

الإكرام، لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ ﴾ [الحجرات : ١٣].

* ٥ - ومنها :

البشارة عند الموت، لقوله تعالى :

﴿ آيَاتُ أُولِيَاءِ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الزمر : ٢٣] الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿ ٢٤ ﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ ٢٥ ﴾ [يونس : ٦٢ - ٦٤].

* ٦ - ومنها :

النجاة من النار، لقوله تعالى :

﴿ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ﴾ [مريم : ٧٢].

* ٧ - ومنها :

الخلود في الجنة، لقوله تعالى :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣].

* ٨ - ومنها :

النجاة من الشدائد وحصول الرزق الحلال، لقوله تعالى :

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿ ٢ ﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢، ٣].

قال أكثر المفسرين :

* هذه الآية نزلت في عوف بن مالك الأشجعي - رضي الله تعالى عنه - ؛
وذلك أن المشركين أسروا ابناً له ، فأتى رسول الله ﷺ وشكى إليه الفاقة ، وأخبره
بأسر ولده ، وجزع الأم !!

* قال عوف : فما تأمرنا ؟

فقال عليه الصلاة والسلام :

* «أتى الله واصبر ، وأمرك وإياها أن تستكثر من قول لا حول ولا قوة
إلا بالله» !!

فعاد لبيته وقال لامرأته : إن رسول الله ﷺ أمرني وإياك أن نستكثر من قول :
لا حول ولا قوة إلا بالله !!

ف قالت : نعم ما أمرنا به !!

* فجعلوا يقولان ذلك ، فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها إلى
أبيه ، وهي أربعة آلاف شاة ! فنزلت الآية ...

* ورحم الله ابن الوردى حيث قال في لامبته :

* إني لله فنقوى الله ما

جاءت قلب امرئ إني وصل

* ليس من يقطع طرقاتاً بطل

إنما من يتو الله البطل

اه شرح الحديث

كتبه محمد

* * *

حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا ^(١)

الْخَامِسُ وَالْعَشْرُونَ :

* روي أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - قَالَ : كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ :

* « يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ : أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، إِحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، وَإِذَا سَأَلَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ .

رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح

* وفي رواية غير الترمذي :

* أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرِّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيَصِيبِكَ ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَفِي آخِرِهِ : وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَالْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا .

(١) انظر ترجمة ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في كتابي سمير المؤمنين ط الثانية عشرة ، ص ١٠٧ فهي ترجمة رائعة .

قوله:

فاسأل الله، لأنَّ عِزَّةَ الإسلام تأبى الذلَّةَ، والخنوعَ لغير الخالق الذي له

المنة!!

فإن سؤال شخصٍ مثلك يسوقك إلى الخمول، واعتبارِ المسؤول:

* ١ — إما أعلى من البشرية وهذا يُخالف التوحيدَ الصَّرف!

* ٢ — وإما أنه في مرتبة الإنسانية فيكون السائلُ أخطأ قدرًا من الإنسانِ مع أنه تعالى خلقه بشراً سويًّا.

قوله:

فاستعن بالله أي: من حيث اعتقادك النفع، والضَّرَّ، لا المساعدةَ في

الأعمال، فقد حثَّ عليها تعالى بقوله: ﴿وَتَعَاوُذُوا عَلَى الْيَرِّ وَالْقَوَى﴾ [المائدة: ٢].

وقوله — في رواية الترمذي —:

«النصر مع الصبر» إلخ قاعدة من قواعد الدين، أغفلها معظمُ الناس وهي:

عدمُ إعطاءِ فرصة لحصول اليأس إلى القلوب، فالمسلمون يجب أن يكون لهم عزم شديد في حال الكرب، لا يقل عن وقت الفرَج، وفي حال الهزيمة، لا يقل عن زمن النصر، وأن تكون نُصِبَ أعينهم آية: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٥١].

﴿إِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمُ الْقَلِيلُونَ﴾.

اهـ من تحقيق النسخة القديمة للعوفي

كتبه محمد

* * *

الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ

الْعَشْرُونَ وَالْعَشْرُونَ :

* حديث ابن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - في الإيمان بالقدر، وبيان الإيمان، والإسلام، والإحسان، وبيان علامات يوم القيامة...!!

* * *

* فهذه الأحاديث التي ذكرها الشيخ أبو عمرو بن الصلاح

- رحمه الله تعالى -

ومما في معناها :

أحدها وهو : السابع والعشرون الآتي ^(١).

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

حديث ابن عمر عن أبيه هو كما ورد في صحيح مسلم :

عن عمر رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ :

بينما نحن جلوس عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذات يوم، إذ طَلَعَ علينا رجلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثَّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حتى جلس إلى النبي ﷺ

* فأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ،

(١) يأتي في ص ١٢٥ وهو عن الاستقامة.

أخبرني عن الإسلام!! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :
* الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ،

١ - وتقيم الصلاة ،

٢ - وتؤتي الزكاة ،

٣ - وتصوم رمضان ،

٤ - وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً .

قَالَ : صدقت .

فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيَصَدِّقُهُ !!

قَالَ : فأخبرني عن الإيمان!!

قَالَ : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، وتؤمن
بالقدر خيره وشره .

قَالَ : صدقت .

قَالَ : فأخبرني عن الإحسان!!

قَالَ : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

قَالَ : فأخبرني عن الساعة!!

قَالَ : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل .

قَالَ : فأخبرني عن أماراتها!!

قَالَ : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون

في البنيان . . . !

ثُمَّ انْطَلَقَ ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ : يَا عُمَرُ ، أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلُ؟

قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

* قَالَ : فإنه جبريلُ أناكم يعلمكم دينكم .

رواه مسلم

أقول: هذا الحديث العظيم الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه، لا يحتاج إلى شرح وبيان، لأن ما أجمله عليه الصّلاة والسّلام من أركان الإسلام وواجباته، وأركان الإيمان ومفرداته، قد تناوله العلماء الأعلام: قديماً وحديثاً، شرحاً وتفصيلاً...!

وعرّف الإحسان تعريفاً واضحاً ليس عليه غبارٌ، ثم كشف لنا في تلك الزيادة عن علامة من علامات الساعة، التي شوهدت بالأعيان من تناطح السحاب في البنيان، وهذا نبأ عظيم ليس كان بالحسبان، حيث قامت الحفاة من رعاء الشاة في هذا البناء المخيف حيث نافسوا في قصورهم صروح الفراعنة...!

ثم أعطانا جبريل عليه السّلام درساً علمياً!! حيث زار تلك الحلقة العلمية التي يرأسها رسول الله ﷺ باسم متعلّم ومسترشد فشرع يسأل ويُصدق، وهذا أسلوب بلاغي عظيم لتلقّي العلم وتفقهه...!

وقد ظهر لي كتاب — والحمد لله — عنوانه: «الإسلام وأركانه الأربعة» فيرجع إليه في ذلك... لمن أراد...!

* * *

هذا ما تيسّر من الكلام على الأحاديث السابقة، والتي ذكرها الشيخ ابن الصلاح رحمه الله، ثم يذكر الإمام النووي أحاديث أخرى في معنى السابقة، ويبدأها بحديث الاستقامة الآتي ذكره.

* * *

أَحَادِيثُ مُتَسلسِلَةٍ

أَحَادِيثُ مُتَسَلِّسَةٍ الْإِسْتِقَامَةِ

السَّابِعُ وَالْعَشْرُونَ :

* عن سفيان بن عبد الله - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ - قال قلت :
يا رسول الله ! قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك !
* قال : « قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمَّ » .

رواه مسلم

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

على عمل الطاعات ، والانتهاء عن جميع المخالفات ؛ إذ لا تنأتى الاستقامة
مَعَ شَيْءٍ مِنَ الْاِعْوَجَاجِ فَإِنَّهَا ضِدُّهُ . . . !

* وهاتان الجملتان منترعتان من قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الدِّينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ .

[فصلت : ٣٠]

* أي آمنوا بالله ووحدوه مَعَ ظُهُور أَلُوهِيَّتِهِ وَتَرْبِيَّتِهِ لَهُمْ ، ثُمَّ اسْتَقَامُوا
واعتدلوا على ذلك ، وعلى طاعته اعتقاداً ، أو قولاً ، وفعلاً :

* وداوموا على ذلك إلى أن يتوفاهم عليه . . . !

ويؤيد ذلك قول عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - :

استقاموا والله على طاعته ، لم يروغوا وروغان الثعالب . . . !

* وقال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - :

استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله؛ وكذا قاله جماعة آخرون.

* وقال أبو بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - :

لم يُشركوا بالله شيئاً ولم يلتفتوا إلى إلهٍ غيره...!

فقول الصديق :

* محمولٌ على مراعاة الأصول في التوحيد!!

وقول عمر :

* محمولٌ على ترك طلب التأويل، والقيام بشرط العهود!!

وقال ابن عطاء الله :

* استقاموا على انفراد القلب بالله...!

وقال أبو علي الجوزجاني :

كن صاحب الاستقامة، لا طالب الكرامة، فإنَّ نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربُّك عز وجل يُطالبك بالاستقامة!!

* واعلم أن الاستقامة تُوجب الكرامة!!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿وَالَّذِينَ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن: ١٦].

* لم يقل: سقيناهم؛ بل قال: أسقيناهم. يُقَالُ: أسقيته إذا جعلت له سقياً

فهو يُشير إلى الدوام...!

الْإِسْتِقَامَةُ :

* درجةٌ بها كمالُ الأمور وتمامُها، وبوجودها حصولُ الخيراتِ ونظامُها،

وَمَنْ لم يكن مستقيماً في حالته ضاع سعيه، وخاب جهده.

* ونقل أنه لا يُطبقها إلا الأكابر، لأنها الخروجُ عن المألوفات، ومفارقةُ
الرسوم والعادات، والقيامُ بينَ يدي الله تعالى على حقيقة الصدق:

* ولعزتها أخبر عليه الصلاة والسلام أن الناس لن يُطبقوها!!

فقد أخرج أحمد:

* استقيموا ولن تُطبقوا... .

اهـ من الرسالة القشيرية والفتح المبين
كتبه محمد

* * *

التَّحِيَّاتُ

الثَّامِنُ وَالْعَشْرُونَ :

* عن أبي مسعود البصري عقبة بن عمر - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :
* « إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا سَأَلَتْ » .

رواه البخاري في صحيحه

الشَّرْحُ وَالنَّعْيُ

قوله :

إذا لم تستح ، أي من الله ولا رسوله ، فلا تبالِ بارتكاب أيِّ عمل شئت .
* وهذا أمرٌ للتهديد الشديد ، فإنَّ مصيرك إلينا ، وسوف ترى ما قدمته من العمل . . . !
﴿ إِنَّمَا إِنْ تَكُ مِنْكَ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ﴾ [لقمان : ١٦] .

* أي فإنك ستُجازى عليه ، فهو أمرٌ تهديدٍ وهو وعيد لمن ترك الحياء !
ومعناه : أن عدمَ الحياءِ يُوجبُ الاستهتارَ والانهماكَ في هتك الأستار !
* فعُلم أن الحياءَ مِنْ أَشْرَفِ الْخِصَالِ ، وَأَكْمَلِ الْأَحْوَالِ ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ ﷺ :
« الْحَيَاءُ خَيْرٌ مِنْهُ ، الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ فِي الْإِلَاحِ » .
* وجاء أنه ﷺ كان أشدَّ حياءً من البكر في خِذْرَها . . . !
* وَصَحَّ أَنَّ الْحَيَاءَ شَعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ . . . !

الحياء المذموم

- * وإن من الحياء الطبيعي ما يُذمّ شرعاً. كالحياء المانع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع وجود شروطه، فإن هذا جبن لا حياء!
- * ومثله الحياء في العلم المانع من سؤاله عن مهمات المسائل في الدين إذا أشكلت عليه!

* وَمِنْ ثَمَّ قَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا - : نِعَمَ النِّسَاءِ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ لَمْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَسْأَلْنَ عَنْ أَمْرِ دِينِهِنَّ . . . !
وفي الحديث:

- * إن ديننا هذا لا يصلح لمستحي - أي حياء مذموماً - ولا متكبر . . . !

« ح د ه »

- * ثم الحياء بالمد انقباض وخشية يجدها الإنسان من نفسه عندما يُطْلَعُ منه على قبيح . . . !

سئل الجنيد - رحمه الله تعالى - عن الحياء؟

فَقَالَ:

- * رُؤْيُ الْآلَاءِ، ورؤية التقصير، فيتولد من بينهما حالة تسمى: الحياء.
- وعن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن نبي الله ﷺ قال ذات يوم لأصحابه:
- * استحيوا من الله حقَّ الحياء!

قالوا: إنا نستحي يا نبي الله!

قَالَ: «ليس ذلك، ولكن من استحيا من الله حقَّ الحياء!

* ١ - فليحفظ الرأس وما وعى!

* ٢ - وليحفظ البطن وما حوى!

* ٣ - وليذكر الموت والبلى!

وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ اللَّهِ
حَقَّ الْحَيَاءِ».

وقال بعضُ الحكماء :

* أحيوا الحياءَ بمجالسة مَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ . . . !

وقال ابنُ عطاء :

* العِلْمُ الْأَكْبَرُ : الْهَيْبَةُ وَالْحَيَاءُ ، فَإِذَا ذَهَبَتِ الْهَيْبَةُ وَالْحَيَاءُ لَمْ يَبْقَ فِيهِ خَيْرٌ .

اهـ من الرسالة القشيرية باختصار

كتبه محمد

* * *

حَدِيثُ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

التَّاسِعُ وَالْعَشْرُونَ :

* عن جابر - رضي الله تعالى عنه - قال أن رجلاً : سأل

النبي ﷺ فقال :

* «أرأيت إذا صليت الصلوات الخمس المكتوبات، وصُمتُ رَمَضَانَ، وَحَلَلْتُ الْحَلَالَ، وَحَرَمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئاً أَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ : نَعَمْ» . . .

رواه مسلم

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

شَرْهِيْدُ أَحْمَدَ

والد جابر اسمه عبدُ الله، شهد العقبة مع السبعين، وشهد بدرًا، واستشهد بأحد ولما بلغ جابرًا موته أقبل فإذا هو بين يدي النبي ﷺ مُسَجًى :

قال جابر :

* فتناولت الثوبَ عن وجهه، وأصحابُ رسولِ الله ﷺ ينهوني كراهية أن أرى ما به من المثلة، ورسولُ الله ﷺ لا ينهاني !

* فلما رُفِعَ قال رسولُ الله ﷺ :

* «ما زالت الملائكةُ حافةً بأجنحتها حتى رُفِعَ» .

* ثم لقيني بعدَ أيام فقال لي : أي بني ! ألا أبشرك؟

إنَّ الله عزَّ وجلَّ أحيا أباك فقال : تمنَّ !

فَقَالَ :

* أَتَمْنَى يَا رَبِّ أَنْ تُعِيدَ رُوحِي وَتَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا حَتَّى أُقْتَلَ مَرَّةً

أُخْرَى... !

* قَالَ : إِنِّي قَضَيْتُ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ... !

قَوْلُهُ : «أَنْ رَجَلًا» :

هُوَ النِّعْمَانُ بْنُ قَوْقَلٍ — بِقَافَيْنِ مَفْتُوحَتَيْنِ — سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ :

* أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَاتِ الْخَمْسَ [مِنْ كَتَبَ بِمَعْنَى فَرَضَ وَأَوْجَبَ]

وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحَلَلْتُ الْحَلَالَ، وَحَرَمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئاً
[مِنَ التَّطَوُّعَاتِ وَالنَّوَافِلِ وَالْمُنْدُوبَاتِ] !!

وَلَمْ يَذْكُرِ الزَّكَاةَ وَالْحَجَّ، لِعَدَمِ فَرَضِيَّتِهِمَا إِذْ ذَاكَ، أَوْ لِكَوْنِهِ لَمْ يُخَاطَبَ بِهِمَا

لِعَدَمِ اسْتَطَاعَتِهِ] !!

* أَذْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ غَيْرِ عِقَابٍ سَابِقٍ؟

* قَالَ : «نَعَمْ تَدْخُلُهَا كَذَلِكَ» .

* فِيهِ جَوَازُ تَرْكِ التَّطَوُّعَاتِ رَأْساً وَإِنْ تَمَالاً عَلَيْهِ أَهْلُ الْبَلَدِ فَلَا يِقَاتِلُونَ،

وَمَنْ قَالَ يِقَاتِلُونَ، يَحْتَاجُ لِدَلِيلٍ؟

وَكَوْنُهُ ﷺ :

كَانَ إِذَا سَمِعَ الْأَذَانَ فِي بَلَدٍ لَمْ يُغِرْ عَلَيْهِ، وَإِلَّا أَغَارَ لَا يَدُلُّ لَذَلِكَ، لِأَنَّ

الْأَذَانَ إِذْ ذَاكَ كَانَ عَلَامةً عَلَى الْإِسْلَامِ، عَلَى أَنَّهُ جَرَى لَنَا فِيهِ قَوْلُ شَهِيرٍ بِأَنَّهُ فَرَضَ

كَفَايَةً !!

* فَلَوْ سُلِّمَ أَنَّ الْقِتَالَ كَانَ عَلَى تَرْكِهِ لَمْ يَكُنْ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى الْقِتَالِ عَلَى تَرْكِ

السَّنَةِ الْمُتَّفَقِ عَلَى كَوْنِهَا سَنَةً .

* نَعَمْ؛ فِي تَرْكِ التَّطَوُّعَاتِ الَّتِي شَرَعَتْ لِجَبْرِ نَقْصِ الْفَرَائِضِ، وَالزِّيَادَةِ

المتقرب بها إلى الله تعالى حَتَّى يُحِبَّ فاعْلُهَا، فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمعُ به . . . الحديث القدسي المشهور .

* تفويثُ ربحها العظيم، وثوابها الجسيم، وإسقاطُ للمروءة، وردُّ للشهادة، لأن مداومة تركها يدل على نوع من التهاون بالدين .

[تفويثُ : مبتدأ مؤخر وفي ترك خبر مقدم].

* وإن جابراً راوي هذا الحديث، كان من أصغر الصحابة سنّاً!

وكان من ساداتهم وفضلائهم، المتحفين بحبِّ رسول الله ﷺ .

* عَمِيَ في آخر عمره!!

توفي بالمدينة المنورة سنة ثلاثٍ وسبعين عن أربعٍ وتسعين سنة .

* رُوي عنه ألفٌ وخمسمائة وأربعون حديثاً . . . !

كتبه محمد

* * *

الاِخْلَاصُ وَقَوْلُ الْأُمِّتِ فِيهِ

الإِخْلَاصُ وَقَوْلُ الْأُئِمَّةِ فِيهِ

وَأَمَّا الْإِخْلَاصُ :

دَلِيلُهُ
قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى :

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ الآية

[البينة : ٥]

ورَوَيْنَا عَنْ حذيفة بن اليمان - رضي الله تعالى عنه - قال :

* سألتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عن الإِخْلَاصِ ما هو؟ فقال :

* «سألتُ جبريلَ عن الإِخْلَاصِ ما هو؟ فقال :

* سألتُ ربَّ العِزَّةِ عن الإِخْلَاصِ ما هو؟ فقال :

سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِي أَوْدَعْتُهُ قَلْبَ مَنْ أَحَبُّ مِنْ عِبَادِي .

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيلُ

قال الإمام الغزالي - رحمه الله تعالى - :

* واعلم أن كل شيء يُتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه وخلص

عنه، سُمِّيَ خالِصاً ويُسمى الفعلُ المَصْفَى المَخْلَصُ إخْلَاصاً...

وَالِإِضْهَافُ :

* يُضَادُهُ الْإِشْرَاكُ، فَمَنْ لَيْسَ مُخْلِصاً فَهُوَ مُشْرِكٌ، إِلَّا أَنَّ الشَّرْكَ دَرَجَاتٌ،

وقد جرى العرف على تخصيص اسم الإخلاص، بتجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب...!

فإذا امتزج قصد التقرب بباعث آخر من رياء أو غيره من حظوظ النفس، فقد خرج عن الإخلاص:

ومثاله:

- * ١ - أن يصوم لينتفع بالحماية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب!
- * ٢ - أو يحج ليصح مزاجه بحركة السفر، أو يتخلص من عدو له!
- * ٣ - أو يصلي بالليل لغرض دنيوي!
- * ٤ - أو يتعلم العلم، أو يخدم العلماء والصوفية لذلك!
- * ٥ - أو يعود مريضاً ليعاد!
- * ٦ - أو يُشيع جنازة لتُشيع جنازة أهله!
- * ٧ - أو يفعل شيئاً من ذلك ليُعرف بالخير ويذكر به، ويُنظر إليه بعين الصلاح والوقار!!

* فمهما كان باعته التقرب إلى الله تعالى، ولكن إن أضاف إليه خطوة من هذه الخطوات، حتى صار العمل أخف عليه بسبب هذه الأمور، فقد خرج عمله عن حد الإخلاص الكامل، وخرج عن أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى، وتطرق إليه الشرك الخفي أي: من حيث لا يشعر...!

وبالجملة:

- * كلُّ حظٍّ من حظوظ الدنيا تستريح إلى النفس، ويميل إلى القلب - قلَّ أم كثر - إذا تطرق إلى العمل تكدر به صفوه، وزال به إخلاصه!!
- * فإن الخالص من العمل هو الذي لا باعث عليه إلا طلب القرب من الله تعالى!!

* وهذا لا يُتصور إلّا من محبّ لله، لم يبقَ لحبّ الدنيا في قلبه قرارٌ، ولذا كان علاجُ الإخلاصِ كسرَ حظوظِ النفس، وقطعَ الطمع عن الدنيا، والتجرّدَ للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب، فإذا ذاك يتيسر الإخلاص!!

* وكم من أعمالٍ يتعب الإنسانُ فيها، ويظنُّ أنها خالصةٌ لوجه الله، ويكون فيها مغروراً، لأنّه لا يرى وجه الآفة فيها!!

* فليكن العبدُ شديدَ التفقّدِ والمراقبةِ لهذه الدقائق، وإلّا التحق بأتباع الشياطين وهو لا يشعر. اهـ.

أقول:

* وهو كلام نفيسٌ في تحرير النية في كل عمل يعملهُ، أو حديثٌ يتحدّث به، أو كتابة يكتبها، بأن يُريدَ بذلك وجهَ اللّهِ تعالى لا غير... .

كتبه محمد

* * *

أَقْوَالٌ فِي الْإِسْلَامِ

لِلْإِمَامِ الْقَشِيرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

وروينا عن الأستاذ الإمام أبي القاسم القشيري - رحمه الله
تعالى - قال :

* الْإِسْلَامُ : إفراؤُ الحقِّ في الطاعة بالقصد، وهو يُريد بطاعته
التقربَ إلى الله تعالى دونَ شيءٍ آخرَ من التصنع لمخلوق، واكتسابِ
مَحْمَدٍ عند الناس، أو منحةٍ مدحٍ من الخلق، أو معنًى من المعاني
سوى التقربِ إلى الله تعالى...
قال : ويصح أن يُقال :

الْإِسْلَامُ : التوقي عن ملاحظة الأشخاص... !

الْمَشْرِحُ وَالْمُغْلِقُ

الْقَشِيرِيُّ :

* هو الإمامُ الزاهدُ القدوةُ، الأستاذُ أبو القاسم عبدُ الكريم بنُ هَوَازِنَ بنِ
عبدِ الملك القَشِيرِيِّ الخراساني النيسابوري، الشافعي، الصوفي، المفسر،
«صاحبُ الرسالة» المشهورة المشهودة... .

* ولد سنةَ خمسٍ وسبعين وثلاثمائة. وتعلم الفروسيَّةَ والعملَ بالسلاح
حتى برع في ذلك !!

* ثم تعلم الكتابةَ والعربيةَ وجوّد، ثم سمع الحديثَ من أبي الحسين
الخفاف !

- * وتفقه على أبي بكر الطوسي وأبي إسحاق الإسفرائيني، وتقدم في الأصول والفروع، وصحب العارف أبا علي الدقاق وتزوج بابنته . . .
- * صنف «التفسير الكبير»، و«الرسالة» في رجال الطريقة، وحج مع الجويني والبيهقي.
- * ولزم المجاهدات حتى صار عديم النظير في السلوك جامعاً بين الشريعة والحقيقة.
- * توفي سنة خمس وستين وأربعمائة بعد أن عاش تسعين سنة.
- مصادر الترجمة:
- * تاريخ بغداد: ٨٣/١١، طبقات السبكي: ١٥٣/٥، طبقات الأولياء: ٢٥٧، سير أعلام النبلاء: ٢٢٧/١٨.

* * *

أَبِي عَالِي الدَّقَاقِ

ورؤينا عن الأستاذ أبي علي الدقاق - رحمه الله تعالى - قال:

* الإِفْهَامُ: التوقي عن ملاحظة الخلق!

* وَالصَّوْمُ: التنقي عن مطالعة النفس!

فالْمَخْلَصُ: لا رياء له، وَالصَّادِقُ: لا إعجاب له...!

الشَّرْحُ وَالْعَلِيْقُ

أَبُو عَلِي الدَّقَاقِ:

* هو الإمام الزاهد العارف شيخُ الصوفية الحسنُ بنُ علي النيسابوري الشافعي، لسانُ وقته وإمامُ عصره!

* كان فارهاً في العلم، متوسطاً في الحلم، محمودَ السيرة، مجهودَ السريرة، جُنَيْدِي الطريقة. الفارَةُ: الحاذق!

* أخذ مذهبَ الشافعي عن القفال والحصري وغيرهما، وبرع في الأصول وفي الفقه والعربية حتَّى شُدَّتْ إليه الرحالُ في ذلك...!

* ثم أخذ في العمل، وسلك طريقَ التَصَوُّف، وأخذ عن النصراباذي، وعنه القشيري صاحب الرسالة!

له كرامات ظاهرة، وتوفي سنة ست وأربعمائة.

مصادر الترجمة:

* تبين كذب المفتري: ٢٢٦، البداية والنهاية ١٢/١٣، شذرات الذهب ٣/١٨٠، طبقات السبكي: ٣٢٩/٤.

* * *

لِلسُّوسِيِّ

ورؤينا عن أبي يعقوب السوسي - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ :
* متى شهدوا في إخلاصهم الإخلاص ، احتاج إخلاصهم إلى
إخلاص... !

* * *

لِذِي النُّونِ

ورؤينا عن السيد الجليل ذي النون - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ :
* ثلاثٌ من علامات الإخلاص :

- * ١ - استواء المدح والذم من العامة !
- * ٢ - ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال !
- * ٣ - واقتضاء ثواب العمل في الآخرة... !

الشَّرْحُ وَالْتَّعْلِيلُ

زوالنَّونِ المَصْرِيّ :

- * هو شيخ الديار المصرية ، الإمام الزاهد ثوبان بن إبراهيم أبو الفيض :
- * ولد في أواخر أيام المنصور ، وروى العلم عن مالك والليث وابن لهيعة
والخواص وغيرهم... !

قال ابن يونس :

- * كان عالماً فصيحاً حكيماً... !

قال السلمي:

* ذو النون أولُ من تكلم ببلدته في ترتيب الأحوال، ومقامات الأولياء!
* رُمِيَ بالزندقة فطلبه المتوكل وسأله عن اعتقاده فرضي أمره، وولع به،
وأحبه، وكان يُفضله على الزهاد...!

* ولما مات أظلت الطير جنازته فاحترمه الناس بعد قبره.

* توفي سنة خمس وأربعين ومائتين بالجيزة.

مصادر الترجمة:

* حلية الأولياء: ٣٣١/٩، تاريخ بغداد: ٣٩٣/٨، طبقات الصوفية:
١٥، الرسالة القشيرية: ٢١١، السير: ٥٣٢/١١.

* * *

لِلْمَغْرِبِ

وعن أبي عثمان المغربي - رحمه الله تعالى - قال :
* اِرْخَاصُ : نِسْيَانُ رُؤْيَا الْخَلْقِ بِدَوَامِ النَّظَرِ إِلَى الْخَالِقِ .

* * *

لِلْمَرْعَشِيِّ

وعن حذيفة المرعشي - رحمه الله تعالى - قال :
* اِرْخَاصُ : أَنْ تَسْتَوِيَ أَعْمَالُ الْعَبْدِ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ .

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

حُزْنِيَّةُ الْمَرْعَشِيِّ :

* هو حذيفة بن قتادة ، أحدُ الأولياء ، صاحب سفيان الثوري وروى عنه .

من أقواله :

* - أعظمُ المصائبِ قساوةُ القلب !

* - جماعُ الخيرِ في حرفين : ١ - حِلُّ الْكِبْرَةِ ، ٢ - وإخلاصُ

العمل لله !

مصادر الترجمة :

* حلية الأولياء : ٢٦٧ / ٨ ، صفة الصفوة : ٢٦٨ / ٤ ، السير : ٢٨٣ / ٩ .

* * *

لِلْفُضَيْلِ

وعن السيد الجليل فضيل بن عياض - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - قَالَ:

- * تركُ العملِ لأجلِ الناسِ رياء!
- * والعملُ لأجلِ الناسِ شرك!
- * وَالْإِهْلَاصُ: أَنْ يَعَافِكَ اللَّهُ مِنْهُمَا...

* * *

لِلشُّتْرِيِّ^(١)

وعن السيّد الجليل أبي محمد سهل بن عبد الله الشُّتْرِي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - أَنَّهُ:

- سئل عن أي شيء أشدُّ على النفس؟ قَالَ:
- * الْإِهْلَاصُ، لِأَنَّهُ شَيْءٌ لَيْسَ لَهَا فِيهِ نَصِيبٌ...

* * *

لِابْنِ الْحُسَيْنِ

وعن يوسف بن الحسين - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - قَالَ:

- * أَعَزُّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا: الْإِهْلَاصُ...

* * *

(١) انظر ترجمته في ص ٣٧٠ من هذا الكتاب. وهي ترجمة رائعة.

لِلْمَغْرِبِيِّ أَيْضًا

وعن أبي عثمان المغربي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - قَالَ:

* ١ - إخلاصُ العوام: ما لا يكون للنفس فيه حظٌّ!

* ٢ - وإخلاصُ الخواص: ما يجري عليهم لا بهم، فتبدو

منهم الطاعاتُ وهم عنها بمعزِلٍ، ولا تقع لهم عليها رؤيةٌ، ولا لهم عليها اعتداد!!

* * *

لِمَكْحُولٍ

ورويانا عن السيد الجليل الإمام التابعي مكحول - رَضِيَ اللهُ

تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ:

* ما أخلص عبدٌ قطُّ أربعينَ يوماً، إلَّا ظهرت ينابيع الحكمةِ من

قلبه ولسانه...!

* * *

لِلنُّسْتَرِيِّ أَيْضًا

ورويانا عن سهل النُّسْتَرِيِّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - قَالَ:

* مَنْ زهد في الدنيا أربعينَ يوماً، صادقاً من قلبه، مخلصاً في

ذلك، ظهرت له الكرامات، وَمَنْ لم يظهر له، فإنه عُدِمَ الصدقُ في

زهده...!

فقل لسهل :

* كيف تظهر له الكرامات؟ قال :

* يأخذ ما يشاء كما يشاء من حيث يشاء!!

قال سهل المستري - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - :

* نَظَرَ الْأَكْيَاسُ فِي تَفْسِيرِ الْإِضْطِرَاصِ ، فلم يجدوا غيرَ هذا :

* أن تكون حركته وسكونه في سره وعلايته لله تعالى وحده ،

لا يُمازجه شيءٌ لا نفسٌ ولا هوى ولا دنيا!!

* * *

لِسَرِيِّ السَّقَطِيِّ

وقال السري - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - :

الِإِضْطِرَاصِ :

* لا تعملُ للناس شيئاً ، ولا تترك لهم شيئاً ، ولا تعطي لهم

شيئاً ، ولا تكشف لهم شيئاً .

الشَّرْحُ وَالْتَّعْلِيلُ

أقول :

* هذه مجموعة عظيمة ، واسعة الأرجاء ، كثيرة المعاني ، قد جمعها

المؤلف - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - في كتابه هذا .

* ورتبها لك هذا الترتيب الحسن ، ليسهل تناولها على القارئ : فينتقل

من حكمة إلى حكمة ، ومن روضة إلى روضة ، ومن حديقة غناء ، إلى حديقة

فيحاء!!

* فيزن قوله بأقوال هؤلاء السادة البهاليل، وأعماله بأعمالهم، وأحواله

بأحوالهم!!

فهذه صورة صحيحة بعيدة عن الغش، بعيدة عن الزيف، بعيدة عن التشدق، بعيدة
عن التكلف!!

* فاجعلها مرآة لك، وأدم النظر فيها، ليظهر انعكاسُ الصور فيك فتعود إلى الله
صادقاً، وتنب إلى مخلصاً!!

* فهذه مدرسة من أروع المدارس الإيمانية، وجامعة من أجمع الجوامع
الإسلامية، فاجتهد فيها في أيام قصار لأيام طوال، وادع لي بحسن الختام.

اهـ محمد

* * *

الصَّدَق

وَأَمَّا الصَّدَقُ :

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى

* ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١٩)

[التوبة : ١١٩]

ورؤينا عن الأستاذ القشيري - رحمه الله تعالى - قال: الصدقُ عمادُ الأمرِ، وبه تمامه، وفيه نظامه. قال: وأقلُّ الصدقِ استواء السر والعلانية.

ورؤينا عن سهل - رحمه الله تعالى - قال :

* لا يَشْمُ رائحة الصدقِ عبدٌ داهنَ نفسه وغيره!!

ورؤينا عن ذي النون قال :

* الصدقُ سيفُ الله، ما وُضِعَ على شيءٍ إلا قطعَه!!

ورؤينا عن السيد الجليل الإمام العارف الحارث المحاسبي - رحمه الله تعالى - قال :

* الصادقُ هو الذي لا يُبالي لو خرج كلُّ قَدْرٍ له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه، ولا يحب اطلاعَ الناسِ على مَثاقيلٍ من حُسن عمله...

* ولا يكره أن يطلع الناس على السيئ من عمله، فإن كراهته دليل على أنه يحب الزيادة عندهم، وليس هذا من إخلاص الصديقين!!

وقيل:

إِذَا طَلَبْتَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الصَّدَقَةَ أَعْطَاكَ مَرَّةً تُبْصِرُ فِيهَا كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَجَائِبِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وروينا عن السيد الجليل أبي القاسم الجنيد - رضي الله تعالى عنه - قال:

* الصادق يتقلب في اليوم أربعين مرة!!

* والمرائي يثبت على حالة واحدة أربعين سنة!!

قلت:

* معناه أن الصادق يدور مع الحق كيف كان، فإذا رأى الفضل الشرعي في أمر عمل به، وإن خالف ما كانت عليه عادته...!

* وإذا عرض أهم منه في الشرع، ولا يمكن الجمع بينهما، انتقل إلى الأفضل!!

* ولا يزال هكذا، وربما كان في اليوم الواحد على مائة حال، أو ألف وأكثر على حسب تمكنه في المعارف، وظهور الدقائق له واللطائف.

وأما المرائي:

* فيلزم حالة واحدة بحيث لو عرض له أمر مهم يرجحه الشرع عليها في بعض الأحوال، لم يأت بهذا المهم!!

* بل يُحافظ على حالته، لأنه يُرائي بعبادته وحاله المخلوقين فيخاف — من التغير — ذهاب محبتهم إياه فيحافظ على بقائها... !
والصَّادِقُ:

* يُريد بعبادته وجهَ اللَّهِ تعالى، فحيث رجَّح الشرعُ حالاً صار إليه، ولا يُعرج على المخلوقين.

الشرح والتعليق

قال الإمام الغزالي — رضي الله تعالى عنه — : والصدق درجات :

١ — الأولى :

* صدق اللسان، وحقَّ على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلم إلا بالصدق...

وكمالُ صدقِ القول، الاحترازُ عن المعارض، فقد قيل: في المعارض مندوحة عن الكذب وذلك، لأنها تقوم مقامَ الكذب، إلا أن ذلك مما تمس إليه الحاجة، والضرورة تقدر بقدرها...

٢ — الثانية :

* الصدق في النية والإرادة، ويرجع ذلك إلى الإخلاص وهو: أن لا يكون له باعث في الحركات، والسكنات، إلا الله تعالى، فإن مازجه شوبٌ من حظوظ النفس بطل صدق النية...

٣ — الثالثة :

* صدق العزم وصو: العزم فيه بقوة، والصادق فيه: هو الذي تُصادق عزمته في الخيرات كلها، قوةً تامة، ليس فيها ميلٌ، ولا ضعف، ولا تردد؛ بل تسخو نفسه أبدأ بالعزم المصمم الجازم على الخيرات، كمن يقول:
* إن رزقني الله مالاً تصدقتُ بشطره، وإن أعطاني الله ولايةً عدلتُ فيها،

ولم أعصِ اللَّهَ تعالى بظلم، وميل إلى خلق. فصدق هذه العزيمة: هو سخاء نفسه بما نوى . . .

٤ - الرابعة :

* الصدق في الوفاء بالعزم، فإن النفس قد تسخو بالعزم في الحال؛ إذ لا مشقة في الوعد والعزم، والمثونة فيه خفيفة، فإذا حقت الحقائق، وحصل التمكن، وهاجت الشهوات، لم يتفق الوفاء بالعزم، وهذا يضاد الصدق فيه، فافهم.

ولذلك قال الله تعالى :

﴿ رِجَالٌ صدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

٥ - الخامسة :

* الصدق في الأعمال وصو:

أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة، على أمر في باطنه، لا يتصف هو به!!

* فمن وقف على هيئة الخشوع في صلاته، لأنه يرائي غيره؛ ولكنه في الباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته فهو كاذب بلسان الحال في عمله غير صادق فيه . . .

فالصدق فيه :

* هو استواء السريرة والعلانية، بأن يكون باطنه مثل ظاهره، أو خيراً من ظاهره: انظر ص ١٨٤ من هذا الكتاب، فاللَّهُ أسأل أن ينظمننا في سلك الصادقين من الأحباب، ممن صدقوا اللَّهَ فصدقهم. اهـ.

وقد قال الله تعالى :

﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾؛ لأن الجليس له تأثير في الخير والشر!!

والطبعُ سَرَّاقٌ . وشأنُ المرءِ : تقليدُ مَنْ يخالطُ كثيراً ولو من حيث لا يشعر .

قال طرفة :

* عنه المروء لا تسألَ وَاسألَ عنه قَرينَه

فجُلُّ قَرينٍ بالمُقارِبِ يَقْتَدِي

* فالصدقُ شيءٌ يسلكه مَنْ يريد تهذيبَ النفسِ بمخالطةِ الكامل ، لتسري

طباعُه وعوايذه الحسنه فيه . اهـ .

* * *

فَصْلٌ: فِي إِحْضَارِ النَّسِيَةِ

اعلم !!

* أنه ينبغي لمن أراد شيئاً من الطاعات وإن قلَّ، أن يُحضِرَ

النِّيَّةَ !!!

وصو:

أن يقصدَ بعمله رضا الله عزَّ وجلَّ، وتكونَ نيَّتهُ حالَ العملِ . . . !

ويدخل في هذا جميعُ العباداتِ :

- * ١ - من الصلاة، ٢ - والصوم، ٣ - والوضوء،
- ٤ - والتميم، ٥ - والاعتكاف، ٦ - والحج، ٧ - والزكاة،
- ٨ - والصدقة، ٩ - وقضاء الحوائج، ١٠ - وعيادة المريض،
- ١١ - واتباع الجنائز، ١٢ - وابتداء السلام، ١٣ - وردّه،
- ١٤ - وتشميتِ العاطس، ١٥ - وإنكار المنكر، ١٦ - والأمر
- بالمعروف، ١٧ - وإجابة الدعوة، ١٨ - وحضور مجالس العلم
- والأذكار، ١٩ - وزيارة الأخيار، ٢٠ - والنفقة على الأهل والضيف،
- ٢١ - وإكرام أهل الود، ٢٢ - وذوي الأرحام، ٢٣ - ومذاكرة العلم،
- ٢٤ - والمناظرة فيه، ٢٥ - وتكراره، ٢٦ - وتدريسه،
- ٢٧ - وتعليمه، ٢٨ - ومطالعتَه، ٢٩ - وكتابته، ٣٠ - وتصنيفه،
- ٣١ - والفتاوى، وكذلك ما أشبه هذه الأعمال حتَّى ينبغي له :

* إذا أكل، أو شرب، أو نام، يقصد بذلك التقوي على طاعة الله، أو راحة البدن لينشط للطاعة!!

* وكذلك إذا أراد جماع زوجته، يقصد إيصالها حقها، وتحصل ولد صالح، يعبد الله تعالى، وإعفاف نفسه، وصيانتها من التطلع إلى حرام، والفكر فيه...!

* فَمَنْ حُرِمَ النِّيَّةَ فِي هَذِهِ الْأَعْمَالِ، فَقَدْ حُرِمَ خَيْرًا عَظِيمًا كَثِيرًا، وَمَنْ وُفِّقَ لَهَا، فَقَدْ أُعْطِيَ فَضْلًا جَسِيمًا...!

فنسأل الله الكريم التوفيق لذلك وسائر وجوه الخير.

* ودلائل هذه القواعد ما قدمناه من قوله ﷺ:

« إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَّا نَوَيْتُ ».

* * *

أَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ فِي النِّيَّةِ !!

قال العلماء من أهل اللغة والأصول والفقه:

* «إنما» للحصر تُفيد تحصيل المذكور ونفي ما سواه، وقد

قدمنا هذا في أول الباب^(١).

وقد قالوا:

* إنه قيل لأبي يحيى حبيب بن أبي ثابت التابعي، مفتي أهل

الكوفة، والمعوّل عليه عندهم — رحمه الله — : حدثنا عن أشقّ شيء؟

(١) ص ٣٨.

* قَالَ : مجيء النية .

وعن سفيان الثوري — رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى — قَالَ :

* مَا عَالَجْتُ شَيْئاً أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نِيَّتِي !!

وعن يزيد بن هارون — رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى — : مَا عَزَّتِ النِّيَّةُ فِي الْحَدِيثِ إِلَّا لَشَرِّهَا .

وعن ابن عباس — رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا — قَالَ :

* إِنَّمَا يُحْفَظُ الرَّجُلُ عَلَى قَدْرِ نِيَّتِهِ . . . !

وعن غيره : إِنَّمَا يُعْطَى النَّاسُ عَلَى قَدْرِ نِيَاتِهِمْ . . . !

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

قوله : «مجيء النية» :

أي استحضرها قبل العمل ، وإحكام الإخلاص فيها .

وقوله : مَا عَالَجْتُ شَيْئاً . . . إلخ :

يريد الإخلاص ، وتصفية الأعمال من الشوائب التي تلوث العمل أو تؤخره :

* فهو يسعى ليكون عمله خالصاً لوجه الله الكريم !

وإلا لو كان المراد من النية مجرد القصد ، لكان من أيسر ما يكون !

* وإنك لو دَقَّقْتَ ما بحثه السلف الصالح من أنهم يعانون مشقَّاتٍ لتصحيح

النية لا تجد سببه إلا أنهم يُريدون أن تكون أعمالهم غيرَ مقرونة بشيء من

النقائص . . . !

* فيطبقون الباطن على الظاهر ليستوي السرُّ والعلانية ، فيحوزوا القبولَ

عند الله تعالى .
أحد من تحقيق النسخة القديمة . كتبه محمد

* * *

مَوْقِفُ الشَّافِعِيِّ فِي ذَلِكَ

وعن الإمام عبد الله محمد بن إدريس الشافعي بالإسناد الصحيح أنه قال :

* وددتُ أن الخلق تعلّموا هذا على أن لا يُنسب إليَّ حرفٌ منه . . . !

قال الشافعي أيضاً :

* ما ناظرتُ أحداً قطُّ على الغلبة ؛ ووددتُ إذا ناظرتُ أحداً أن يظهر الحقُّ على يديه . . . !

وقال أيضاً :

مَا كَلَّمْتُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا أُحِبِّبْتُ أَنْ يُرَفِّقَ وَبُعَاثُ ، وَكَوْنَهُ عَلَيْهِ رِعَايَةٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَحِفْظٌ .

* * *

قَوْلُ أَبِي يُوسُفَ فِي ذَلِكَ

وقال الإمام أبو يوسف صاحبُ أبي حنيفة - رحمه الله تعالى - :

* أريدوا بعلمكم الله تعالى ؛ فإنني لم أجلس في مجلس قطُّ :

أنوي فيه أن أتواضع ، إلّا لم أقم حتى أعلوهم . . . !

ولم أجلس مجلساً قطُّ أنوي فيه أن أعلوهم ، إلّا لم أقم حتى أفتضح .

أبو يوسف القاضي :

* هو الإمام المجتهد العلامة، المحدث قاضي القضاة أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - .

* ولد سنة ثلاث عشرة ومائة . . . !

* صحب الإمام أبي حنيفة ولزمه سبع عشرة سنة وتفقه به، وهو أنبل تلامذته وأعلمهم، وحدث عن عطاء بن السائب والأعمش . . . !

* حدث عنه يحيى بن معين، والإمام أحمد بن حنبل - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ -
أجمعين - .

قال الإمام أحمد :

* كان أميلَ إلى المحدثين من أبي حنيفة ومحمد .

وقال ابن معين :

* ما رأيتُ في أصحاب الرأي أثبتَ في الحديث، ولا أحفظ ولا أصح رواية من أبي يوسف . توفي سنة ١٨٢ هـ .

مصادر الترجمة :

* التاريخ الكبير للبخاري : ٣٩٧/٨ ، تاريخ بغداد : ٢٤٢/١٤ ، السير :

٥٣٥/٨ .

وقوله : أريدوا بعلمكم الله تعالى :

* أي اقصدوا بعلمكم وجه الله تعالى . . . !

فقد قال الإمام الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - :

* طلبنا العلمَ لغير الله، فأبى إلا أن يكونَ إلاً لله .

* * *

فَصْلٌ: كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ !!

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن رسول الله ﷺ قال:

* «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ: فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً!!

* وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضَعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ».

* وَثَبِتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ يَقْصِدُونَ الْكُفَّةَ:

«يُخَسَفُ بِأُولِهِمْ وَآخِرُهُمْ».

فَقَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا - : يَا رَسُولَ اللَّهِ!! كَيْفَ يُخَسَفُ بِأُولِهِمْ وَآخِرُهُمْ! وَفِيهِمْ أَشْرَافٌ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟
فَقَالَ ﷺ: «يُخَسَفُ بِأُولِهِمْ وَآخِرُهُمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ».

الشَّرْحُ وَالنَّعْيُ

تمام الحديث مع بعض شرحه:

* إِنْ اللَّهُ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ أَي: أَمْرَ الْحِفْظَةِ بِكِتَابَتِهَا، أَوْ كَتَبَهَا فِي عِلْمِهِ عَلَى وَفْقِ الْوَاقِعِ مِنْهُمَا!!

* ثُمَّ بَيْنَ ذَلِكَ لِلْكَتْبَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَتَّى عَرَفُوهُ، وَاسْتَغْنَوْا بِهِ عَنْ أَنْ يَسْتَفْسِرُوا فِي كُلِّ وَقْتٍ كَيْفَ يَكْتُبُونَهُ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى شَرَعَ لَهُمْ مَا يَعْمَلُونَ بِحِسْبِهِ...!

* وبالغ في رحمة هذه الأمة، حيث أخلف عليها قَصَرَ أعمارها بتضعيف أعمالها...!

* فمن همَّ بحسنة أي أرادها، وترجع عنده فعلها وعقد عزمه عليها، فلم يعملها لأمر عاقه عنها كتبها الله عنده حسنة أي: كاملة...!

* هذه عندية شرف ومكانة، لتزهره تعالى عن عندية المكان:
لان الهم بالحسنة سبب إلى عملها، وسبب الخير خير، فالهم بها خير...
وفي رواية لمسلم:

* إذا تحدثت عبدي بأن يعمل حسنةً، فإنا أكتبها له حسنة كاملة لا نقص فيها.

* وإن نشأت عن مجرد الهم، سواء كان الترك لمانع أم لا...!

قيل: ما لم يقصد الإعراض عنها جملة، وإلا لم تكتب...!

* وإطلاع الملك على فعل القلب بإطلاع الله تعالى، أو بأن يخلق له علماً يُدرك به ذلك، أو بأن يجد لهم ريحاً طيبة أي: تظهر على كواهلهم...!

* واستفيد من ذكر الحسنة هنا، والمضاعفة فيما يأتي، اختصاص المضاعفة بمن عمل دون مَنْ نوى، فهما في الأصل سواء، وإن اختص العامل بالتضعيف...!

* وإن همَّ بها فعلمها كتبها الله تعالى عنده عشر حسنات، لأنه أخرجها من الهم إلى ديوان العمل:

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَالٍهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] إلى سبعمائة ضعف.

على حسب ما اقترن بها من إخلاص النية، وإيقاعها في محالها التي هي بها أولى وأحرى إلى أضعاف كثيرة والله يضاعف لمن يشاء أو بدون عد ولا حصر...!

* وإن همَّ بسيئة فلم يعملها بأن ترك فعلها أو التلطف بها لوجهه تعالى لا لنحو حياء، أو خوفٍ ذي شوكة، أو عجز، أو رياء؛ بل قيل:

* إنه يَأْتِمُ حينئذٍ؛ لأنَّ تقديمَ خوفِ المخلوق على خوفِ الله تعالى محرمٌ، وكذلك الرياء، لأنَّ رجوعه عن العزم عليها خيرٌ أيَّ خير!! فجوزي في مقابلته بحسنة، وأُكِّدَتْ بقوله: كاملة...!

* وإن همَّ بها فعملها كتبت له سيئة واحدة، ولم تضاعف عليه، لقوله
بُجَّانَه:

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُخْرِجُ إِلَّا مِثْلَهَا﴾.

اهد من فيض القدير، والفتح المبين باختصار

وهو تقسيم حسنٌ مفيد، فاشكر الله تعالى وقل: هل من مزيد.

كتبه محمد
غفر له

* * *

الهجرة

وثبت في الصحيحين عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما -
أن رسول الله ﷺ قال :

* « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » .

قلت :

اختلف أصحابنا وغيرهم من العلماء ، في معنى لا هجرة بعد
الفتح .

* فقيل : معناه لا هجرة من مكة إذ صارت دار إسلام . . . !

* وقيل : لا هجرة بعد الفتح كاملة الفضل . . . !

* وأما الهجرة من دار الكفار اليوم :

* فواجبة وجوباً متأكداً على مَنْ قدر عليها !

إذا لم يقدر من إظهار دين الإسلام هنا .

* فإن قدر استُحب ولا يجب .

والله تعالى أعلم

الشرح والتعليق

وفي رواية : « ولا هجرة بعد فتح مكة » .

* أي لأنها صارت دار إسلام ، وإنما تكون الهجرة من دار الحرب . . . !

* فهذه معجزة له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ !!

* فإنه إخبار بإنها تبقى دارَ إسلام، ولا يتصور منها هجرة... إلى

ما شاء الله... وهذا أملنا!!

* أو لا هجرة واجبة من مكة إلى المدينة بعد الفتح كما كانت قبله

لمصيرها دارَ إسلام، واستغناء المسلمين عن ذلك؛ إذ كان معظم الخوف من

أهله... وقد زال...!

* فالمراد لا هجرة بعد الفتح لمن لم يكن هاجر قبله...!

أما الهجرة من بلاد الكفر:

* فباقية إلى يوم القيامة! أو الهجرة من عملائهم فالحكم واحد، والطابع

واحد!!

وأما الهجرة المندوبة:

* وهي الهجرة من أرض يُهَجَّر فيها المعروف، وَيَشِيع فيها المنكر، أو من

أرض أصاب فيها ذنباً فهي باقية...!

وفي رواية البخاري أيضاً كرواية بستان العارفين: «لا هجرة بعد

الفتح».

قال ابن حجر:

* أي فتح مكة، أو أعم إشارة إلى أن حكم غير مكة في ذلك حكمها، فلا

تجب في بلدة فتحها المسلمون...!

أما قبل فتح البلد، فَمَنْ به من المسلمين:

* ١ - إما قادرٌ على الهجرة لا يمكنه إظهار دينه، وأداء واجبه!

فالهجرة منه واجبة!!

* ٢ - وإما قادر، لكنه يمكنه إظهار ذلك وأداؤه!

فيندب لتكثير المسلمين ومعرفتهم والراحة من رؤية المنكر...!

* ٣ - وإما عاجز، لنحو مرض!

فله الإقامة، وتكلفُ الخروج!!

وفي الحديث :

* إشارة تربوية، وذلك أنه قد مرَّ في حديث أنَّ الجهاد قسمان :

١ - أكبر.

٢ - وأصغر.

فالأصغر : جهاد العدو...!

والأكبر : جهاد النفس وهواها...!

* حينئذ فيلزم في الهجرة أن تكون قسمان :

١ - كبرى.

٢ - وصغرى.

* فالصغرى : ما ذكر...!

* والكبرى : هجرة النفس من مألوفها، وشهواتها، وردّها إلى الله تعالى

في كل حال... حتى تكتمل وتنفطم عنها...!

* ولا يقدر على هذه الهجرة إلاَّ أهلُ الهمم السنيّة، والمقاصد

العلية!!

* ومن كان ضعيفاً لا يقدر على هذه الهجرة، فلا يُهمَلُ نفسه بالكلية!

* فإنه علامةُ الخسران، وليأخذ نفسه بالرفق والسياسة في الجهاد

والهجرة.

اهـ. فيض القدير : ٤٣٨/٦ وهو كلام نفيس.

فإذا لم يقدر على الهجرة من دار الكفر:

* يكفي عند ذلك الإنكار بالقلب، والبعد عن المنحرفين ما أمكن مع
تذكير الغافلين سرًا، والدعاء للجميع، لأن الخطر قد أحاط بالمسلمين
المستهدفين من كل جانب!!

فليسعك بيتك، وابك على خطيئتك...!

فالهجرة لها أحكامها، نفيًا وإثباتًا، ولها باب خاص في الفقه
الإسلامي...!

كتبه محمد عفي عنه

* * *

فصل فيه
مَوَاعِظُ لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ وَالْعَارِفِينَ

فصل فيه مَوَاعِظُ لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ وَالْعَارِفِينَ أَبُو مَيْسَرَةَ الْمُؤْمِنِينَ

ورؤينا عن السيد الجليل أبي ميسرة عمر بن شرحبيل التابعي
الكوفي الهمداني - بإسكان الميم وبالبدال المهملة - رضي الله تعالى
عنه - أنه :

* كان إذا أخذ عطاءه تصدق منه .

* فإذا جاء إلى أهله فعده وجدوه سواء .

فقال لابن أخيه :

* ألا تفعلون مثل هذا؟

فقالوا :

* لو علمنا أنه لا ينقص لفعلنا!!

قال أبو ميسرة :

إِنِّي لَسْتُ أَشْرِطُ هَذَا عَلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ .

* * *

الإمام الشافعي

وقال إمامنا أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي - رَحِمَهُ اللَّهُ -
تعالى - :

خير الدنيا والآخرة في خمس خصال :

- * ١ - غنى النفس !
- * ٢ - وكف الأذى !
- * ٣ - وكسب الحلال !
- * ٤ - ولباس التقوى !
- * ٥ - والثقة بالله عز وجل على كل حال . . . !

* * *

حماد بن سلمة

مَا أَمَرَ دَحْمَانُ:

ورؤينا عن السيد الجليل حماد بن سلمة - رحمه الله تعالى -
وكان يُعَدُّ من الأبدال قال:

* مَنْ طَلَبَ الْحَدِيثَ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى مُكْرِبِهِ .

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

قوله: مُكْرِبِهِ:

* لأن العلم شبيه بالأسد الغضنفر، والحديث الذي هو لب العلم يقال له:

* الضرغامُ الفاتك من السباع!!

ولا يمكن الاستيلاء على هذا الأسد؛ إلا بمعونة الله تعالى...!

* وتمهيدُ وصولها إلى العبد أن يتقي اللّه، ويُخلص النية، حتى يستطيع

أن يركب الأسد، أو يجعله تحت قهره وسلطانة...

* ومع هذا فإنه لو غلبه يحتاج أيضاً إلى المراقبة الشديدة، لأن إغفال

الأسد وإهماله يساعده على نقض الاستسلام، فيفتك بصاحبه فيقتله!!

* وهذا ما أراده حماد بن سلمة - رحمه الله - من أن الحديث يمكر بطلابه

إذا كان لغير الله تعالى. اهـ من تحقيق النسخة القديمة. كتبه محمد. وسيأتي معك

قريباً ص ١٩١ ترجمة هذا البطل العظيم فترقبه!!

* * *

أحمد بن أبي الحواري

وقال أحمد بن أبي الحواري السيد الجليل في كتاب الزهد الذي

صنّفه :

* وسترى ما أنقل من النفائس - وإن شاء الله تعالى - ولم يصل
إليّ الآن إسناده ولكن عندي منه نسخة جيدةٌ محققةٌ متقنةٌ، ذكر لي
بعضُ أهل العلم والخبرة أنها بخط الدارقطني - رحمه الله تعالى - .

قال أحمد :

* حدثنا إسحاق بن خلف قال : حدثنا حفص بن غياث قال :
كان عبد الرحمن بن الأسود - رضي الله تعالى عنه - لا يأكل الخبز إلا
بنية ...

* قلت لإسحاق : وأيّ شيء النية في أكل الخبز ؟

* قال : كان يأكل ؛ فإذا ثقل عن الصلاة خفف ليخف بها ، فإذا
خف ضعف فأكل ليقوى ، فكان أكله لها وتركه لها ... !

* قلت : معنى يخف : أي ينشط وتسهل عليه ويلتذ بها .

وأحمد بن الحواري يقال بفتح الراء وبكسرهما أشهر ، والفتح
سمعه مرات من شيخنا الحافظ أبي البقاء يحكيه عن أهل الإتيقان وعن
بعضهم .

والله تعالى أعلم

وقال أحمد بن أبي الحواري :

* سمعتُ أبا سليمانَ يعني الداراني - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى - يقول :

* عاملوا الله بقلوبكم، وصفُّوها، وهذِّبوها، ولا تُخفوا شيئاً من

الأعمال الظاهرة...

والداراني^٣ :

* يُقَالُ: بالنون بعد الألف الثانية،

* وَيُقَالُ: بهمزة بدل النون، وهو بالنون أشهرُ وأكثرُ استعمالاً

والهمزة أقرب إلى الأصل وهو:

* منسوبٌ إلى داريا القرية الكبيرة، النفيسة بجانب دمشق.

* وكان أبو سليمانَ من كبار العارفين، وأصحابِ الكرامات

الظاهرة، والأحوال الباهرة، والحكم المتظاهرة.

واسمه: عبدُ الرحمن بنُ أحمدَ بنِ عطية!!

* وسيمر بك - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى - جُمْلُ ما أنقله عنه من

النفائس!!

* وهو أحدُ متأخري بلادنا دمشق وما حولها - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى

عنه - .

قال:

* ما أدركَ مَنْ أدركَ بكثرة صلاةٍ، ولا صومٍ؛ ولكن بسخاء

النفس، وسلامةِ الصدر، والنصحِ للأمة...!

وقال إمامنا الشافعي - رضي الله تعالى عنه - :

* مَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بِالْخَيْرِ فَلْيُحْسِنِ الظَّنَّ
بِالنَّاسِ .

الشَّرْحُ وَالنَّعْلِقُ

أحمد بن أبي الحواري :

* هو من أهل دمشق، صحب أبا سليمان الداراني وغيره، مات سنة ثلاثين
ومائتين .

وكان الجنيذ يقول :

* أحمد بن أبي الحواري ريحانة الشام .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول :

سمعت أبا أحمد الحافظ يقول :

سمعت سعيد بن عبد العزيز الحلبي يقول :

سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول :

* مَنْ عَمَلَ عَمَلًا بَلَا اتِّبَاعَ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَبَاطِلٌ عَمَلُهُ . . .

وبهذا الإسناد يقول :

* من نظر إلى الدنيا نَظَرَ إِرَادَةٍ وَحُبِّ لَهَا ، أَخْرَجَ اللَّهُ نَوْرَ الْيَقِينِ وَالزَّهْدِ مِنْ

قلبه .

وبهذا الإسناد قال أحمد بن أبي الحواري :

* أَفْضَلُ الْبُكَاءِ ، بُكَاءُ الْعَبْدِ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ أَوْقَاتِهِ عَلَى غَيْرِ الْمَوَافَقَةِ !!

وقال أحمد :

* مَا ابْتَلَى اللَّهُ عَبْدًا بِشَيْءٍ ، أَشَدَّ مِنَ الْغَفْلَةِ وَالْقَسْوَةِ .

اهـ من الرسالة القشيرية

أقول:

* رضي الله عنك يا سيدي يا أحمد! فأنت - حقاً كما وصفك إمام الطائفتين - ريحانة أهل الشام؛ بل ريحانة الدنيا!!

* فهذه كلماتُ الصديقِ قد لاح النورُ بين ثناياها قد نبعث من معين خالص، وقلبٍ طاهر!!

* وهذه كلماتُ الإيمان، التي تُعبرُ عمّا تحملُ بين جوانحك من علم وحكمة!!

فإنَّ مَنْ أخلصَ لله تعالى أربعين يوماً، تفجرت ينباعُ الحكمةِ من قلبه على لسانه، فأحيا القلوبَ الميتة، وردَّ العقولَ الشاردة، والنفوسَ المتمردة. فنفعنا الله بك، وبأمثالك من الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه!!!

كتبه محمد عفي عنه

أما داريا:

* فهي قريةٌ كبيرةٌ مشهورة من قرى دمشق المعروفة!

والنسبة إليها داراني على غير قياس، وبها قبر أبي سليمان الداراني...

وهو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الزاهد. ويقال: أصله من واسط...

وروى عن الربيع بن صبيح وأهل العراق، وروى عنه صاحبه أحمد بن أبي الحواري، والقاسم الجوعي وغيرهما.

وتوفي بدارياً سنة ٢٣٥هـ وقبره بها معروف يزار.

اهـ من معجم البلدان: ٤٣١/٢

أقول: وقد أكرمني الله تعالى وزوجتي بزيارته.

أَمَّا قَوْلُهُ: فليحسن الظن بالناس:

فقد ورد:

* إياكم والظنَّ فَإِنَّ الظنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ !!

وَلَأَنَّ سَوْءَ الظَّنِّ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ قَلْبٍ خَبِيثٍ، وَصَاحِبُهُ يُخْشَى عَلَيْهِ سَوْءُ

الْخَاتِمَةِ.

* اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنْ كُلِّ وَصْفٍ يَبَاعِدُنَا عَنْهُ مَسَاهِدَتَكَ وَمَحَبَّتَكَ !!

* * *

سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ

أخبرنا شيخنا الإمام أبو البقاء بقراءتي عليه قال : أخبرنا الحافظُ
عبد الغني إجازةً، أخبرنا أبو طاهر السلفي، أخبرنا أبو محمد
عبد الرحمن بن أحمد الدوني قال :

سمعتُ أبا الحسن عليَّ بنَ محمد الأسد آبادي، أخبرنا عليّ بنُ
الحسين بن عليّ، أخبرنا أبو منصور يحيى بن أحمد المروزي قال :
سمعتُ أبا طاهر محمد بنَ الحسين بن ميمون يقول : سمعتُ أبا موسى
هارون بن موسى يقول : قال أبو حاتم محمد بن إدريس :

سمعتُ أبا قبيصة يقول :

رأيت سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ فِي الْمَنَامِ فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ ؟

فَقَالَ :

تَظَرُّتُ إِلَى زَيْتٍ كَفَامًا فَقَالَ لِي

هَئِنَا ضَائِي عَنْكَ يَا ابْنَ سَعِيدٍ

لَقَدْ كُنْتُ قَوَّامًا إِذَا أَظْلَمَ الدُّجَى

بِعَبْرَةِ مُشْتَاوِهِ وَقَلْبِ عَمِيدٍ

فَدَوَّنَكَ فَأَخْبَرْتُ قَضِيرَ رَدَّةٍ

وَرُزِّنِي فَإِنِّي مِنْكَ غَيْرُ بَعِيدٍ

ضَبَطَ بَعْضُ الْأَسْمَاءِ :

قلتُ : السَّلَفِي بكسر السين المهملة وفتح اللام ، منسوب إلى
جدّه يقال له : سلفه .

* كان هذا الجد مشقوقَ الشفة فلُقِّبَ بالفارسية سِه لَفَة بكسر
السين وفتح اللام أو ذو ثلاث شفاه ثم عرِّبَت فقليل سلفه .
* وكان أبو طاهر السَّلَفِي أحدَ حفاظ عصره .

وأما الدوني :

* بضم الدال وإسكان الواو ، فمنسوب إلى الدون : قرية
بخراسان من أعمال الدينور . . . !

وأما الأسد آبادي :

* فمنسوب لأسد آباد بُليدَة على مرحلة من همذان إذا توجهت
إلى العراق . . . !

وأما الثوري :

* فمنسوب إلى بني ثور بن عبد مناف ، بن أدين ، بن
طابخة ، بن إلياس ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان . . . !

شرِّحَ الطُّمَاتِ :

وأما قوله : نظرتُ إلى ربي كفاحاً ؛ فهو بكسر الكاف !!

* ومعناه : معاينة من غير حِجاب ولا رسول .

* وقوله: إذا أظلم الدجى هو الظلام وقوله: عميد أي محبٌ صادقُ الحب لله...!

قال أهل اللغة: العميدُ القلبُ الذي هزّه العشق.

الشَّيْخُ وَالنَّعْلِيُّ

* ولد سفيان سنة ٩٧ في الكوفة، ونشأ فيها في أسرة صالحة تقية عالمة...!

عاش أوّل حياته فيها ثم خرج منها سنة ١٤٤ هـ هرباً من أبي جعفر المنصور الذي راوده على تسلم القضاء!!

* وكان قد قضى في الكوفة ٤٨ عاماً، وسكن في المدينة المنورة ومكة المكرمة، ثم انتقل إلى البصرة ومات فيها...!

* وكانت أمه امرأة صالحة تقول له:

يا بني اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي فكانت - رحمها الله - تعمل وتقدم له لبتفرغ للعلم...!

* وكانت تتخوله بالموعظة والنصيحة، قالت له مرة كما روى الإمام أحمد:

يا بني إذا كتبت عشرة أحرف، فانظر هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك، وحلمك، ووقارك؟ فإن لم تر ذلك فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك!!

* وكانت وفاته في شعبان سنة ١٦١ هـ عن ٦٥ سنة تقريباً.

وحدث عثمان بن زائدة قال:

* رأيت في النوم كأنني دخلت الجنة، فإذا سفيان يطير من شجرة إلى شجرة

وهو يقول:

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ

[القصص: ٨٣]

لِلْمُنْقِصِينَ ﴿٨٣﴾

وَمَهْ وَصَايَاهُ :

* يَا أُخِي !!

عليك بالكسب الطيب ! وما تكسب بيدك ، وإياك وأوساخ الناس أن تأكله
أو تلبسه ، فإن تناولت من الناس شيئاً قطعت لسانك !!

* يَا أُخِي !!

جوعٌ وقليلُ العبادة ، خيرٌ مِنْ أَنْ تشيعَ من أوساخ الناس وكثير من العبادة !!

* يَا أُخِي !!

إِيَّاكَ أَنْ تكسبَ خبيثاً فتتفقَه في طاعة الله ، فَإِنَّ تركَه فريضةٌ من الله واجبةٌ ،
وأنه سبحانه طيبٌ لا يقبل إلا طيباً !!

* أَرَأَيْتَ رجلاً أصابَ ثوبه بولٌ ، ثم أراد أن يُطهرَه فغسله ببول !!

* أترى كان ذلك يُطهره ؟ وهل عمل أحد ذنباً فمحاها بذنب ؟

وَمَهْ وَصَايَاهُ :

* أكرموا الناسَ على قدر تقواهم ، وتذلّلوا عندَ أهلِ الطاعة ، وتعزّزوا عندَ

أهل المعصية !!

* واعلموا أن القراءة لا تحلو إلا بالزهد في الدنيا . . . !

اهـ من مصادر مختلفة

وكتبُ القومِ والتاريخُ فائضةٌ وغنيةٌ من ذكريات هذا البطلِ المغوار ، والعالمِ

المفضال !!

* وممن كتب في حياته الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني جزاه الله خيراً .

والدوني :

هو أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن الحسين بن عبد الرحمن بن علي

ابن أحمد بن إسحاق الدوني الصوفي الزاهد .

قال أبو زكريا:

* وكان من بيت الزهد والستر والعبادة، مولده في سنة ٤٢٧هـ، ومات سنة ٥٠١هـ، وروى الكثير وسمع كتباً كثيرة.

اهـ معجم البلدان

قوله نظرت إلى ربي:

أقول:

* هذه الرؤية قلبية كما تكون لكثير من الأولياء بكشف الحجب عن النفس المرضية، حتى تكون كالعيان!!

* ولا يجوز أن تُفسر بالبصرية، لأنها من المستحيلات في الدنيا، ولم تقع لغير نبينا محمد عليه الصّلاة والسّلام على خلاف في ذلك. اللّهُمَّ امنحنا فهماً صحيحاً، وقلباً فسيحاً حتّى نفهم كلام أحبابك!!!

انظر في ص ٣٥٥ من هذا الكتاب،

فقد تعرّض المصنف لهذا الموضوع. اهـ.

كتبه محمد عفي عنه

* * *

يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ

* أخبرنا شيخنا: الإمام الحافظ أبو البقاء - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -
أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن معالي، أخبرنا القاضي أبو بكر
الخطيب، أخبرنا أبو الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس، أخبرنا
محمد بن أحمد الوراق قال: سمعت عبد الله بن سهل الرازي يقول:
سمعت يحيى بن معاذ الرازي - رضي الله تعالى عنه - يقول:

* كَمِ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ مَنَعُوتٍ ، وَسَاكِتٍ مَرْهُومٍ !!

يقول هذا: أستغفر الله، وقلبه فاجر، وهذا ساكت، وقلبه ذاك !!

* * *

أَبُو الْحَسَنِ الْوَاعِظِ

وبالإسناد إلى الخطيب قال: حدثنا أبو الحسن الواعظ قال:

* مَنْ خَرَجَ إِلَى الْعِلْمِ يُرِيدُ الْعَمَلَ بِهِ نَفَعَهُ قَلِيلُ الْعِلْمِ ... !

وهذا الإسناد قال أبو عبد الله بن عطاء: العلمُ موقوفٌ على

العملِ به .

قلتُ: يعني العلمَ النافعَ المطلوبَ، كما قال إمامنا الشافعي

- رضي الله تعالى عنه - :

* لَيْسَ الْعِلْمُ مَا حَفِظَ ... إِنَّمَا الْعِلْمُ مَا نَفَعَ .

يحيى بن معاذ الرازي:

* الإمام الواعظ، من كبار المشايخ، له كلام جيّد، ومواعظ مشهورة،

حدّث عن علي بن محمد الطنافسي، وعنه أحمد بن محمد البذشي . . . !

من أقواله:

الدرجات سبع:

* ١ - التوبة!

* ٢ - ثم الزهد!

* ٣ - ثم الرّضى!

* ٤ - ثم الخوف!

* ٥ - ثم الشوق!

* ٦ - ثم المحبة!

* ٧ - ثم المعرفة!

توفي في أواخر المائتين . . . !

مصادر الترجمة:

* طبقات الصوفية للسلمي: ١٠٧، حلية الأولياء: ٥١/١٠، والسير:

١٥/١٣.

* * *

النجوعيُّ

* وأخبرنا شيخنا أبو البقاء، أخبرنا أبو محمد، أخبرنا أبو بكر،
أخبرنا الخطيب، أخبرنا ابنُ محمود الصوفي، أخبرنا عبدُ الوهاب بنُ
الحسن الكلابي، حدثنا سعيدُ بنُ عبد العزيز الحلبي قال: سمعتُ
قاسماً الجوعي - رضي الله تعالى عنه - يقول:
«المرءُ الورعُ».

* فأفضلُ العبادة: مكابدةُ الليل، وأفضلُ طريقِ الجنة: سلامةُ
الصدر...

* قلتُ: الجوعي بضم الجيم وإسكان الواو.
وقال الإمام الحافظ أبو سعيد السمعاني في كتاب الأنساب:
* قاسم الجوعي هذا: له كرامات! منسوب إلى الجوع...
* قال: ولعله كان يبقى جائعاً كثيراً...

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

قاسم الجوعي:
* هو الإمام القدوة الوليُّ المحدث، أبو عبد الملك القاسمُ بنُ عثمان
العبديِّ الدمشقي شيخ الصوفية!!
* المعروف بالجوعي، نُسِبَ إلى الجوع...
وكان عابداً أهل الشام!!

* صَحِبَ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي الْحَوَّارِ، وَأَبَا سَلِيمَانَ الدَّارَانِي، وَسَمِعَ سَفِيَّانَ
ابْنَ عَيْنَةَ!!

* حَدَّثَ عَنْهُ أَبُو حَاتِمٍ وَقَالَ: صَدُوقٌ كَانَ فَاضِلًا، مِنْ مُحَدِّثِي دِمَشْقَ،
زَاهِدَ الْوَقْتِ بِدِمَشْقَ...!

* وَكَانَ الزَّهَادَ فِي وَقْتِهِ: السَّرِيِّ السَّقَطِي بِبَغْدَادَ، وَذُو النُّونِ بِمِصْرَ...!
تُوفِيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتِينَ.

مصادر الترجمة:

* طَبَقَاتُ الصُّوفِيَّةِ: ٩٨، حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ ٣٢٢/٩، طَبَقَاتُ الْأَوْلِيَاءِ: ٢٨٠،
وَالسِّر: ٧٧/١٢.

أَقُولُ:

* وَالْوَرَعُ: هُوَ تَرْكُ الشَّبَهَاتِ، وَالزَّهْدُ: هُوَ تَرْكُ الْحَلَالِ الْمَوْجُودِ...!
هَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الزَّهْدِ وَالْوَرَعِ.

* * *

الزَّقَاقُ

* وأخبرنا شيخنا أبو البقاء: أخبرنا أبو محمد: أخبرنا أبو بكر:
أخبرنا الخطيب: أخبرنا أحمد بن الحسين ابن السماك قال:
* سمعتُ أبا بكر الزَّقَاقُ - رضي الله تعالى عنه - يقول:
بُنيَ أمرنا هذا على أربع:

- * ١ - لا نأكلُ إلَّا عن فاقة!
 - * ٢ - ولا ننامُ إلَّا عن غلبة!
 - * ٣ - ولا نسكُتُ إلَّا عن خيفة!
 - * ٤ - ولا نتكلَّمُ إلَّا عن وجد...!
- قلتُ:

* الدقي بضم الدال وكسر القاف المشددة، وهو من كبار
الصوفية وأهل المعارف والكرامات. توفي سنة ستين وثلاثمائة...
وأما الزَّقَاقُ:

* ففتح الزاي، وتشديد القاف، قال السمعاني:
هو نسبة إلى الزَّق وعمله وبيعه...!
* كان أبو بكر الزَّقَاقُ هذا من كبار الصوفية أصحاب الكرامات
الظاهرات، والمعارف المتظاهرات، وبهذا الإسناد إلى الزَّقَاقُ قال:

* كُلُّ أَحَدٍ يُنْسَبُ إِلَى نَسَبٍ، إِلَّا الْفُقَرَاءَ، فَإِنَّهُمْ يُنْسَبُونَ إِلَى اللَّهِ
عز وجل!!

* وَكُلُّ حَسَبٍ وَنَسَبٍ يَنْقَطِعُ، إِلَّا حَسَبَهُمْ، فَإِنْ نَسَبَهُمُ الصَّدَقُ،
وَحَسَبَهُمُ الْفَقْرُ...!

* وَبَلَّغْنَا عَنِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - فِيمَا رَوَاهُ
الْبَيْهَقِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِإِسْنَادِهِ عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ!!
* وَقِيلَ ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ: قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْهُ - :

* يَا أَبَا مُوسَى! لَوْ اجْتَهِدْتَ كُلَّ الْجُهْدِ عَلَى أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ
كُلَّهُمْ، فَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَأَخْلَصْ عَمَلَكَ وَنَيْتَكَ لِلَّهِ
عز وجل!!

الشَّرْحُ وَالْتَّعْلِيلُ

قوله: «إِلَّا عَنْ خِيفَةٍ»:

* أَيِ إِذَا شَرَعَ فِي الْكَلَامِ، وَلَا يُبَالِي مِنْ غَضَبِ الْمَخَاطَبِ أَوْ رِضَائِهِ!!
فَيَصْدَعُ بِالْحَقِّ وَلَا يَسْكُتُ، إِلَّا إِذَا خَافَ عَلَى مُخَاطَبِهِ مَنْ أَنْ يَضِلَّ أَوْ
يَزِيغَ...!

* أَوْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَتَسَلَّطَ عَلَيْهَا الرِّيَاءُ وَالْعَجْبُ فَيَصِيبَهُ فِي الْمَرَضِ
أَكْثَرُ مِمَّا أَرَادَ بِهِ مُعَالَجَةُ غَيْرِهِ...!

* وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْخِيفَةِ، كَيْ لَا تَغَرَّ الْمَرْءَ نَفْسُهُ فَيَنْدَفِعَ بِسَرْدِ الْأَقْوَالِ،
وَيَكُونُ هُوَ كَبَشَ الْفِدَاءِ، كَالشَّمْعِ يُضْيِئُ عَلَى غَيْرِهِ وَيَحْتَرِقُ هُوَ، إِذْ يَجُوزُ أَلَّا
يَصْدُقَ الْمَثَلُ فَلَا يَنْفَعُ وَعْظُهُ، وَتَكُونُ كَصَبِيحَةٍ فِي وَادٍ، أَوْ نَفْخَةٍ فِي رَمَادٍ.

وقوله :

«لا يتكلم إلا عن وجد» :

* بحيث يضطر للكلام، فيجعلُه من قبيل العلاج، لا يزيد على القدر

اللازم!!

فالمراد من الوجد :

* أن يتحقق بما يقول، فلا يكون مقلداً لغيره في الخطاب؛ بل يفهم القول

ويعلمُه ليستطيع التعبير عنه، ويكون أبلغ في التأثير على النفوس . . . !

اهـ من تحقيق النسخة القديمة

والزق :

* السَّقاء، وجمع القلَّة أزقاق، والكثرة: زِقَاق كذئاب وهو: وعاء من

جلد يوضع فيه الماء ونحوه من السوائل. انظر: مختار الصحاح.

وانظر ص ٣٣ فقد تكلم المؤلف - رحمه الله تعالى - عن الإخلاص بشكل

مفصلٍ جليٍّ، وتناوله من جميع أطرافه، تناولاً جيداً، مع ذكر الحكايات الواضحة،

والأدلة المقنعة، مع ذكر تعريفه، وحده وشروطه وعلاماته . . . !

* * *

المغربي

وأخبرنا شيخنا أبو البقاء: أخبرنا أبو محمد، أخبرنا أبو بكر:
أخبرنا الخطيب: أخبرنا أحمد بن الحسين الواعظ قال: سمعتُ أبا بكر
الطرُسوسي يقول:

* سمعتُ أبا بكر بن شيبان يقول: سمعتُ أبا عبد الله المغربي .
يقول:

صوفي بلا صديق:

* الرُّوزْجار أحسنُّ منه .

قلتُ: هو براء مضمومة، ثم واو ساكنة، ثم زاي، ثم جيم، ثم
ألف ثم راء، وهو الذي يعمل في الطين بالمجرفة ونحوها .

الشَّرحُ والتَّعليقُ

طرسوس:

كلمة عجمية رومية، وهي: مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد

الروم...!

* وعلى طرسوس سوران، وخنق واسع، ولها ستة أبواب، ويشقها نهر

البردان .

* وبها قبرُ المرحوم عبد الله بن الرشيد، جاءها غازياً فأدركته منيته

فمات...!

فقال الشاعر:

* هل رأيتَ النجومَ أغثتَ عن المأ
مونٍ في عزِّ ملكه المأسوسي؟
* غادروه بعِصَّتِي طرسوسي
مثلَ ما غادروا أباه بطوسي

وما زالت مَوْطناً للصالحين، والزهاد يقصدونها، لأنها من ثغور
المسلمين، ثم لم تزل مع المسلمين في أحسن حال. وخرج منها جماعة من أهل
الفضل إلى أن كان سنة ٣٥٤.

أهـ من معجم البلدان ٢٨/٤
كتبه محمد

وقوله: الروزجار أحسن منه:

* أفضلُ التفضيل على غير بابه، لأن الذي يعمل بالمجرفة ينفع الناس في
الدنيا، وإن أخلص في عمله نفع في الآخرة أيضاً...!

أما الصوفي بلا صدق:

* فإنه لا حُسنَ فيه أصلاً، لأنه بعيدٌ عن الآخرة، ولا فائدةَ فيه للناس،
لأنه نعمةٌ وبلاءٌ عليهم!!

* وإنما هو صيَّاد، مُهييءٌ شبكته، وناصبٌ شراكه، ليوقعَ بها الناسَ، فهو
لم يكسب ديناً ولا دنيا، خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

* وفي حديث عبد الله بن جراد قال: يا نبي الله! هل يكذبُ المؤمن؟

قال: لا... ثم أتبعها ﷺ بقول الله تعالى:

* ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ

الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]. رواه ابن عبد البر في التمهيد.

أهـ من تحقيق النسخة القديمة

* * *

حماد بن سلمة

رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

ورؤينا بأسانيد متعددة، عن مقاتل بن صالح الخراساني قال:
* دخلت على حماد بن سلمة - رضي الله تعالى عنه - فإذا ليس
في البيت إلا حصيرٌ، وهو جالس عليه، ومُصحفٌ يقرأ فيه، وجراب فيه
علمه، ومطهرة يتوضأ فيها!!

فبينما أنا عنده، إذ دق دأق الباب!!

* فقال: يا صبيّة اخرجي فانظري! مَنْ هذا؟

* قالت: هذا رسول محمد بن سليمان!!

قال: قولِي له يدخل وحده، فدخل وسلم، وناولَه كتاباً.

* فقال: اقرأه، فإذا فيه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

من محمد بن سليمان إلى حماد بن سلمة...!

أما بعد:

* فصَبَّحَكَ اللهُ بما صَبَّحَ به أوليائه، وأهل طاعته، وقعت مسألة

فإننا نسألك فيها؟ فائتنا!

* فقال: يا صبيّة هلمي بالدّواة!! ثم قال: اكتب في ظهر الكتاب! .

أما بعد:

* فأنْتَ صَبَّحَكَ اللهُ بما صَبَّحَ به أوليائه، وأهل طاعته، أدركنا

العلماء وهم لا يأتون أحداً، فإن وَقَعَتْ مسألة فائتنا! فتسألنا عما بدا لك، وإن أتيتني فلا تأتني إلاَّ وحدك ولا تأتني بخيلك ورجلك، فلا أنصحك، ولا أنصح نفسي، والسلام...!

* فيينا أنا عنده جالس! إذ دَقَّ دَقُّ الباب...!

فَقَالَ: يا صبيّة! أخرجي فانظري! مَنْ هذا؟

* فقالت: محمد بن سليمان...!

قَالَ: قولي له يدخل وحده!!

قَالَ: فدخل فسلم ثم جلس بين يديه!!

* فَقَالَ: ما لي إذا نظرتُ إليك امتلأتُ رعباً؟

* فقال حماد: سمعتُ ثابتاً يعني البُناني يقول: سمعت أنس بن

مالك - رضي الله عنه - يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«العالمُ إذا أراد بعلمه وجهَ الله هابه كلُّ شيءٍ، وإذا أراد أنْ يُكثِرَ به

الكنوز، هاب من كل شيء»...!

فَقَالَ: ما تقول يرحمك الله في رجل له ابنان، وهو عن أحدهما

أرضي، فأراد أن يجعل له في حياته ثلثي ماله؟

* فَقَالَ: لا! ويرحمك الله فإني سمعت ثابتاً البُناني يقول:

سمعت أنس بن مالك يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«إنَّ الله عزَّ وجلَّ إذا أراد أن يُعَذِّبَ عبداً بماله وفقه عند موته لوصية

جائرة»...

* قَالَ: فحاجة؟

- * قَالَ: هَاتِ!! مَا لَمْ تَكُن رِزِيَّةً فِي دِينِ!!
- * قَالَ: أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ تَسْتَعِينُ بِهَا عَلَيَّ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ!!
- * قَالَ: أَرَدَدَهَا عَلَيَّ مَنْ ظَلَمْتَهُ بِهَا!!
- * قَالَ: وَاللَّهِ مَا أُعْطَيْتَكَ إِلَّا مَا وَرِثْتَهُ!!
- * قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا، أَزْوَها عَنِّي! زَوَى اللَّهُ عَنكَ أَوْزَارَكَ!
- * قَالَ: فَغَيْرَ هَذَا؟
- * قَالَ: هَاتِ مَا لَمْ يَكُن رِزِيَّةً فِي دِينِ اللَّهِ!!
- * قَالَ: تَأْخُذْهَا فَتَقْسِمُهَا!!
- * قَالَ: فَلَعَلِّي إِنْ عَدَلْتُ فِي قِسْمَتِهَا أَنْ يَقُولَ بَعْضُ مَنْ لَمْ يُرْزَقْ مِنْهَا، إِنَّهُ لَمْ يَعْدِلْ فِي قِسْمَتِهَا فَيَأْتِمُ، أَزْوَها عَنِّي زَوَى اللَّهُ عَنكَ أَوْزَارَكَ!.

قلت [القائل هو الإمام النووي]:

- * مَا أَحْسَنَ هَذِهِ الْحِكَايَةَ! وَمَا أَحْسَنَ فَوَائِدَهَا! وَمَا جَمَعَتْ مِنَ النَّفَائِسِ وَالْتَنْبِيهِ عَلَى قَوَاعِدَ مُهِمَّةٍ!! وَهِيَ بَارِزَةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى التَّنْصِيصِ عَلَيْهَا...!

- * وَلَكِنْ فِيهَا أَحْرَفٌ مِنَ اللَّغَةِ نَضَبُطُهَا، وَإِنْ كَانَتْ مَعْرُوفَةً صَيَانَةً

لَهَا...!

- * فَقَوْلُهُ وَمَصْحَفٌ يَقْرَأُ:

يُقَالُ: مَصْحَفٌ بَضْمُ الْمِيمِ، وَكُسْرُهَا، وَفَتْحُهَا ثَلَاثُ لُغَاتٍ الضَّمُّ

أَفْصَحُ.

* وقد أَوْضَحَتْهَا وَبَيَّنْتُ أُصُولَهَا وَاشْتِقَاقَهَا فِي كِتَابِ تَهْذِيبِ
الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ .

* وَقَوْلُهُ جَرَابُ :

بِكْسَرِ الْجِيمِ وَفَتْحِهَا لُغْتَانِ .

وَالْمِطْهَرَةُ : هِيَ كَالِإِبْرِيْقِ وَالرُّكُوءِ وَغَيْرَهُمَا مِمَّا يَتَطَهَّرُ بِهِ .

* وَقَوْلُهُ هَلْمِي :

* بِمَعْنَى أَعْطِنِي ، وَهَذِهِ إِحْدَى اللَّغَتَيْنِ . . . !

* وَالْأُخْرَى هَلُمَّ لِلرَّجُلِ ، وَالْمَرْأَةِ وَالْمِثْنَى ، وَالْمَجْمُوعِ ، وَهِيَ

أَفْصَحُ ، وَبِهَا جَاءَ الْقُرْآنُ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٥٠] وَ ﴿ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ [الأحزاب: ١٨] .

وَقَوْلُهُ هَاتِ :

هُوَ بِكْسَرِ التَّاءِ بِلَا خِلَافٍ .

مُرُوءِيَّتُهُ فِي النَّوْمِ

* أَخْبَرَنَا شَيْخُنَا الْحَافِظُ أَبُو الْبَقَاءِ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ ، أَخْبَرَنَا الْحَافِظُ

عَبْدُ الْغَنِيِّ إِجَازَةً ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِي ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ

عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَطِيبُ ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنِي

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

* رَأَيْتُ حَمَادَ بْنَ سَلَمَةَ فِي النَّوْمِ فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ بِكَ رَبُّكَ ؟ .

* قَالَ : خَيْرًا !!

* قُلْتُ : مَاذَا قَالَ ؟

* قال : قال لي: طالما كِدْتَ نَفْسَكَ ! فالْيَوْمَ أَطِيلُ رَاحَتَكَ وَرَاحَةَ
الْمَتَعَوِّينَ مِنْ أَجْلِي ، بَخِ بِخِ مَاذَا أَعَدَدْتُ لَهُمْ ؟

الشَّرْحُ وَالْعَلِيْقُ

حماد بن سلمة بن دينار، أبو سلمة البصري، مفتي البصرة، المقرئ
المحدث النخوي الفقيه!!

* ولد في حياة أنس بن مالك سنة إحدى وتسعين للهجرة...!

* وأخذ القراءة عن عاصم وابن كثير!!

وسمع الحديث من ثابت البناني، وأيوب السخيتاني، وعمر بن دينار.

* وثقه أحمد وابن معين وابن المديني. روى له البخاري ومسلم.

قال ابن المديني:

* مَنْ تَكَلَّمَ فِي حَمَادٍ فَاتَهُمُوهُ فِي الدِّينِ!!

وقال شهاب بن معمر البلخي:

* كَانَ حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ يُعَدُّ مِنَ الْأَبْدَالِ، رَوَى أَنَّهُ كَانَ مَجَابَّ الدَّعْوَةِ...!

وقال أحمد بن حنبل:

* حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ عِنْدُنَا مِنَ الثَّقَاتِ، مَا نَزْدَادُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ إِلَّا بَصِيرَةً...!

وقال الذهبي:

* كَانَ بَحْرًا مِنْ بَحُورِ الْعِلْمِ، وَكَانَ مَعَ إِمَامَتِهِ فِي الْحَدِيثِ إِمَامًا كَبِيرًا فِي

العربية، فقيهاً، فصيحاً، رأساً في السنة...!

وقال حماد بن زيد:

* مَا كُنَّا نَرَى مَنْ يَتَعَلَّمُ بَنِيَّةَ غَيْرِ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَمَا نَرَى الْيَوْمَ مَنْ يُعَلِّمُ

بَنِيَّةَ غَيْرِهِ.

وقال ابن ناصر الدِّين :

* هو أولُ مَنْ صنفَ التصانيفَ المرضيةَ، عاش ٧٦ سنة، وتوفي سنة ١٦٧ يوم الثلاثاء من ذي الحجة.

مصادر الترجمة :

* ١ - التاريخ الكبير للبخاري ٢٢/٣.

* ٢ - حلية الأولياء للأصفهاني ٢٤٩/٦.

* ٣ - طبقات القراء لابن الجزري ٢٠٨/١.

قوله: بَخ: بوزن بل، كلمة تقال عند المدح والرضا بالشيء، وتكرر للمبالغة، فيقال: بَخ بَخ، فإن وصلت خفضت ونونت فقلت: بَخ بَخ، وربما شددت كالاسم فقول: بَخ. اهـ مختار

ويرحم الله القاضي أبا الحسن عليَّ بن عبد العزيز الجرجاني حيث يقول:

* يقولون لي فيكَ انقباضٌ وإنمّا

رأوا رجلاً عن مَوْقِفِ الذِّلِّ أَحْجَمًا^(١)

* أرى النَّاسَ مَنْ دَانَاهُمْ^(٢) هَانٌ عِنْدَهُمْ

وَمَنْ أَكْرَمْتُهُ عِزَّةَ النَّفْسِ أَكْرَمًا

* وإنِّي إذا مَا فَاتَنِي الْأَمْرُ لَمْ أَكُنْ

أَقْلَبُ كَفِّي إِثْرَهُ مُتَتَدِّمًا

* ولم أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كَانَ كُلَّمَا

بَدَأَ^(٣) مَطْمَعٌ صَيَّرْتُهُ لِي سُلْمًا

(١) حجمه عن الشيء، من باب نصر، فأحجمه: أي كَفَّه فكف، وهو من النوادر، مثل كبه فأكب.

(٢) داني بين الأمرين: قارب، وبينهما دناوة: أي قرابة.

(٣) بدا الأمر، من باب سما، أي: ظهر وقرىء: ﴿الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِكُلِّ بَأْسٍ كُفًّا﴾ (هود: ٢٦)، أي ظاهر الرأي.

* وَمَا كُلُّ بَرْقٍ ^(١) لَّا حَ لِي يَسْتَفِزُّنِي
 وَلَا كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ أَرْضَاهُ مُنْعِمًا
 * أَنَّهُمَا عَنْ بَعْضِ مَا لَا يَشِينُهَا ^(٢)
 مَخَافَةَ أَقْوَالِ الْعِدَا فِيمَ أَوْلِمَا
 * وَلَمْ أَبْتَدِلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي ^(٣)
 لِأَخْذِمَ مَنْ لَا قِيْتُ لِكِنْ لِأَخْذِمَا
 * أَأَشْقَىٰ بِهِ غَرْسًا وَأَجْنِيهِ ^(٤) حَنْظَلًا ^(٥)
 إِذْ فَاتَّبَاعُ الْجَهْلِ قَدْ كَانَ أَخْزَمًا ^(٦)
 * وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ ^(٧) صَانَهُمْ
 وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لِعُظِّمَا
 * وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانَ وَدُنُّوا ^(٨)
 مُحَيَّاهُ ^(٩) بِالْأَطْمَاعِ حَتَّىٰ تَجْهَمَا ^(١٠)

وكيد النفس :

* هو قَصْرُهَا عَلَىٰ طَرِيقِ الْإِسْتِقَامَةِ، وَالزَّامُهَا بِمَا يَجِبُ عَلَيْهَا مِنْ حَقٍّ، وَمَنْعُهَا مِنَ الرَّتْوَعِ بِمَا تَحِبُّ وَتَرْغِبُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

-
- (١) برق السيف وغيره: تَلَأًا، وبابه دخل، والاسم: البريق، والبرق: واحد بروق السحاب.
 - (٢) الشين: ضد الزين، وقد شانه من باب باعه.
 - (٣) المهجة: الدم، وقيل دم القلب خاصة، وخرجت مهجته: أي روحه.
 - (٤) جنى الثمرة من باب رمى، واجتنأها: بمعنى التقط.
 - (٥) الحنظل: نبت خبيث الطعم لا رائحة له.
 - (٦) الحزم: ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة فهو حازم.
 - (٧) صان الشيء من باب قال، وصياناً وصيانة أيضاً فهو مصون ولا تقل مُصان.
 - (٨) الدنس: الوسخ، وقد دَنَسَ الثوبُ أي توسخ، ودنسه غيره تدينساً.
 - (٩) المُحَيَّا: الوجه.
 - (١٠) رجل جَهْم الوجه، أي: كالح الوجه.

﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣].

وأعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ، وهذا يختلف باختلاف الناس :

* ١ - فالعامة يكفي منهم القيام بالواجب ، والعزوف عن الحرام !

* ٢ - والطبقة التالية : يزيدون عليهم بالإكثار من النوافل ، والتحلي

بالفضائل ، مع دأبهم على الأعمال الصالحة ليل نهار لا يفترون !

* ٣ - وهناك طائفة من أرباب الهمم العالية ، قد بلغوا القمّة في كيد

نفوسهم ، وإجهادها ، مع السطوة عليها وقهرها !!

* فهؤلاء أفذاذ نُزُر ، ساروا بنفوسهم سيراً دقيقاً ، فلم يفتحوا لها مجال

الموافقة خوفاً من الوقوع في المخالفة ، وكُتِبَ القوم غنية بقصصهم

وأحوالهم . . .

* فهذا سفيان الثوري ، من جلّة التابعين نفسه تنازعه بأن يُطعمها جزيرة

مغموسة بالدّبس ثلاثين عاماً فلم يُجبها على ذلك . فهؤلاء يُسلّم لهم حالهم ،

ويُتبارك بذكرياتهم .

وقد ذكرنا نبذة موجزة عن سفيان في ص ١٧٨ من هذا الكتاب فعد إليه !!

* * *

باب
في نفائس ماثورة

باب في نفائس مأثورَةٍ قَوْلِ عَمَّارٍ

* وروينا في صحيح البخاري - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى - قال :
قال عمار - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ - في هذه الكلمات :
ثلاثٌ من جمعهن فقد جمع الإيمان :

* ١ - الإنصافُ من نفسك !

* ٢ - وبذلُ السلام للعالم !

* ٣ - والإنفاق في الإقتار !

قلت :

قد جمع - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ - في هذه الكلمات خيراتِ
الآخرة والدنيا . . .

وعلى هذه مدارُ الإسلام !!

* لأن من أنصف من نفسه فيما لله تعالى ، وللخلق عليه ،
ولنفسه : من نصيحتها ، أو صيانتها ، فقد بلغ الغاية في الطاعة . . .

وقوله : بذلُ السلام للعالم :

* هو بفتح اللام يعني الناس ، مع عدم التكبرِ عليهم ، أي

الارتفاع فوقهم يعني للناس كلهم؛ لقول النبي ﷺ :
«وتقرأ السلام على مَنْ عرفتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»^(١).
* وهذه من أعظم مكارم الأخلاق.

وهو متضمنٌ للسلامة من العداوات، والأحقاد، واحتقار الناس
والتكبر عليهم، والارتفاع فوقهم^(٢).

وأما الإنفاق في الإقتار:

* فهو الغاية في الكرم!

* وقد مدح الله - سبحانه وتعالى - على ذلك فقال:

﴿وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

* وهذا عامٌّ في نفقة الرجل على عياله، وضيافته، والسائل منه،
وكل نفقة في طاعة الله عز وجل.

وهو:

* ١ - متضمنٌ للتوكل على الله تعالى، والاعتماد على سعة
فضله، والثقة بضمان الرزق...

(١) من المسلمين، أما غير المسلمين فلا يجوز أن نبداهم به!!

* فإن سلموا فنقول: وعليكم، وإن دخلنا مكاناً فيه مسلمٌ وغيره فنسلم وننوي
السلام على المسلم.

اهـ محمد

ولقد تعرضتُ لموضوع السلام في كتابي الصحوة القربية وبسطت الحديث عنه في
١٦٣/٢ بسطاً واسعاً.

(٢) وقد تناولت هذا الموضوع تفصيلاً وإيضاحاً في كتابي «الصحوة القربية» لأهميته
الاجتماعية ١/١٤٥؛ لأن الكبر هو الداء العضال الخطير.

* ٢ - ويتضمن - أيضاً - الزهد في الدنيا، وعدم ادخار

متاعها، وترك الاهتمام بشأنها، والتفاخر والتكاثربها!

* ٣ - ويتضمن غير ما ذكرته من الخيرات، لكنني أوثر في هذا

الكتاب، الاختصار البليغ خوفاً من الملل!

وقد رؤينا هذه الكلمات في شرح السنة للبغوي عن عمار، عن

النبي ﷺ...

والله أعلم

* * *

أَقْوَالُ الْأُئِمَّةِ مِنَ السَّلَفِ فِي نَفَائِسِ مَأْثُورَةٍ

قَوْلُ أَبِي كَثِيرٍ

* وروينا في صحيح مسلم - رحمه الله تعالى - قال:
حدثنا يحيى بن يحيى قال: أخبرنا عبد الله بن أبي كثير قال:
سمعت أبي يقول:

* لَا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ . . . !

* * *

قَوْلُ رَبِيعَةَ

* وروينا في صحيح البخاري - رضي الله تعالى عنه - قال:
قال ربعة، يعني شيخ مالك بن أنس الإمام - رضي الله تعالى
عنهما - :

* لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ الْعِلْمِ، أَنْ يَضَعَ نَفْسَهُ . . . !

قلت:

* في معنى كلام ربعة قولان، أوضحتهما في شرح صحيح
البخاري واختصرتهما هنا . . . !

١- أحرصها :

* معناه مَنْ كانت فيه نجابةٌ في العلم، وحَصَلَ طَرَفًا منه،
وظهرت فيه أماراتُ التبريز فيه!!

* فينبغي له أَنْ يجتهدَ في تتمته، ولا يُضَيِّعَ طَلَبَهُ فيضيعَ طَلَبَهُ
فيضيعَ نفسه...!

٢- والسَّانِي :

* معناه مَنْ حَصَلَ له العلم، ينبغي له أَنْ يسعى في نشره، مبتغياً
به رضا الله تعالى!!

ويُشِيعَه في الناس، لينتقلَ عنه، ويتنفعَ به الناسُ ويتنفع هو!!
* وينبغي أَنْ يرفقَ في نشره بمن يأخذه منه، ويُسهلَ طرقَ أخذه،
ليكونَ أبلغَ في نصيحة العلم، فَإِنَّ الدِّينَ النصيحةُ...!

* وقد اختلف أصحابُ الشافعي — رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى — وإياهم
فيمن كان بالصفة المذكورة في الأول!!

* هل يتعينُ عليه تَتِمُّمُ الطَّلَبِ، ويحرمُ التَّركُ، أم يبقى في حقه
فرضَ كفايةٍ كما كان، فلا يحرم عليه التَّركُ إذا قام به غيره؟

وهذا الثاني هو قولُ أَكْثَرِهِمْ وهو الصحيحُ المختار...!

والله أعلم

* * *

قَوْلُ ابْنِ عُمَرَ

* وَرَوَيْنَا عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - قَالَ: مَنْ رَقَّ وَجْهُهُ رَقَّ عِلْمُهُ...!
ومعناه:

* من استحيا في طلب العلم كان علمه رقيقاً، أي: قليلاً...!

* * *

قَوْلُ مُجَاهِدٍ

* وَرَوَيْنَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ مُجَاهِدٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

* لَا يَنْفَعُ الْعِلْمَ مُسَجَّحٌ وَلَا مُتَكَبِّرٌ...!

* * *

قَوْلُ عَائِشَةَ

* وَرَوَيْنَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا - قَالَتْ:

* نِعَمَ النِّسَاءِ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ، لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ...!

* * *

قَوْلُ عُمَرَ

* وروينا في صحيح البخاري قال :

قال عمر - رضي الله تعالى عنه - :

* تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تَسُودُوا !!

ومعناه :

* أحرصوا على إتقان العلم ، والتمكين من تحصيله ، وأنتم شبَّانٌ

لا أشغال لكم ولا رئاسة ، ولا سِنٌّ !!

* فإنكم إذا كبرتم ، وصرتُم سادةً متبوعين ، امتنعتم من التفقه

والتحصيل !!

* * *

قَوْلُ الشَّافِعِيِّ

وهذا نحو ما قال الشافعي - رضي الله تعالى عنه - :

* تَفَقَّهْ قَبْلَ أَنْ تَرَأْسَ ، فإذا رأستَ فلا سَبِيلَ إلى التفقه . . . !

* * *

قَوْلُ الْجَنِيدِ

* أخبرنا شيخنا أبو البقاء، أخبرنا أبو محمد، أخبرنا أبو بكر،
أخبرنا الخطيب، أخبرنا أبو محمد الأصفهاني، حدثنا جعفر الخلدي
قال: سمعت الجنيد - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - يقول:
* مَا أَهْبَتْ أَنْ أُمُوتَ حَتَّى أَعْرِفُ ، أَخَانُ أَنْ لَا تَقْبَلَنِي الْأَرْضُ
فَأَنْضِجَ ... !

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيلُ

الجنيد: هو الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم . النهاوندي الأصل
البغدادي، عَلمُ الأولياءِ في زمانه، تفقه على أبي ثور، وكان يفتي بحلقته وله من
العمر عشرون سنة... وهو: إمام الطائفتين!!
وسمع الحديث من الحسن بن عرفة وغيره، واختص بصحبة السري
السقطي، والحارث المحاسبي...
قال جعفر الخلدي:

* لم نر من شيوخنا من اجتمع له علمٌ وحالٌ غير الجنيد: إذا رأيتَ علمه
رجحتَه على حاله، وإذا رأيتَ حاله رجحتَه على علمه... !

وقال أبو القاسم الكعبي المتكلم المعتزلي:

ما رأيتُ مثلَ الجنيد...

* ١ - كان الكتبة يحضرونه لألفاظه... !

* ٢ - والفلاسفة لدقة معانيه... !

* ٣ - والمتكلمون لعلمه... !

ومن كلامه - رحمه الله تعالى - :

* الطريقُ إلى الله تعالى مسدودٌ على خلقه إلا على المفتين آثار

رسول الله ﷺ !

قال عز وجل :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كَبِيرًا ۖ ﴾

توفي الجليل يوم السبت من شوال سنة ثمان وتسعين ومائتين . . .

قال جعفر الخلدي :

رأيت في النوم فقلت : ما فعل الله بك ؟ .

فقال :

* ١ - طاحت تلك الإشارات !

* ٢ - وغابت تلك العبارات !

* ٣ - وفنت تلك العلوم !

* ٤ - ونفدت تلك الرسوم !

وما نفعنا إلا رُكيعات كنا نركعها في السحر أي : والناس نيام . . . !

انظر : طبقات الشافعية الكبرى ، للإمام السبكي .

* * *

قَوْلُ سَرِيٍّ

وبهذا الإسناد قال الجنيد : سمعت سرياً يقول :

* إني لأنظرُ إلى أنفي كلَّ يوم مرتين ، مخافة أن يكونَ قد اسودَّ وجهي . . . !

* * *

قَوْلُ ابْنِ أَرْجَكُ

* وبهذا الإسناد إلى الخطيب قال : حدثنا علي بن القاسم قال : سمعت الحسين بن أرجك يقول :

* مِنْ خَيْرِ الْمَوَاهِبِ الْعَقْلُ ، وَمِنْ شَرِّ الْمَصَائِبِ الْمَجْهَلُ . . . !

* * *

قَوْلُ ابْنِ الْحَارِثِ

* وبالإسناد إلى الخطيب قال : أخبرنا عبدُ العزيز ، حدثنا محمد قال : سمعتُ أبا عبدِ الله محمدَ بنَ عبدِ الله تلميذَ بشر بنِ الحارث قال : سمعت ابنَ الحارث - رضيَ اللهُ تعالى عنه - يقول :

* كَانُوا لَا يَأْكُلُونَ تَلَكُّذَا ، وَلَا يَلْبَسُونَ تَنَعْمًا .

قَالَ:

وهذه طريقُ الآخرة، والأنبياء، والصالحين، وَمَنْ بَعْدَهُمْ!!

* فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْأَمْرَ فِي غَيْرِ هَذَا فَهُوَ مُفْتَوْن!

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

قوله: ولا يلبسون:

لَبَسَ الثَّوبَ يَلْبَسُهُ لِبْسًا.

ولَبَسَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ خَلَطَ، وبابه ضرب.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَّا يَلِيُسُونَ﴾ [الأنعام: ٩].

* وأمثال هؤلاء الفحول من الرجال، الذين هضموا حقَّ نفوسِهِم هضمًا

لم يكن بالحُسابان، وخافوا من دخائلها الماكرة خوفَ المشفق الحيران!

* فقاموا بمحاسبته حساباً دقيقاً، وأخذوا بزمَامِهَا أخذاً وثيقاً، فجرَّعوها

كؤُوسَ الحنظل، وألجموها بلجام الصبر، حتَّى ذلَّتْ وانقادت، ولَبَّتْ وأجابت!!

* فأقرَّت لخالقها بالربوبية، وأذعنت له بالألوهية، واعترفت بعجزها

وجهلها حتَّى غدت راضيةً مرضيةً!!

* فسعدت وأسعدت، واستراحت وأراحت، وناداهَا منادي السعادة:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبْدِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي

جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٨-٣٠]، وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

أَتَحْسَبُ الْمُجْدَّ ثَمَرًا أَنْتَ أَكِلُهُ

لَنْ تَبْلُغَ الْمُجْدَ حَتَّى تَلْعَوْهُ الصَّبْرُ

* * *

قَوْلُ سَهْلٍ (١)

* وبالإسناد إلى الخطيب قال : أخبرنا عبد الرحمن بن محمد النيسابوري ، حدثنا محمد بن عبد الله بن بهلول الفقيه ، حدثنا أحمد بن علي بن أبي حمير قال : سمعتُ سهلَ بنَ عبد الله - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يقول :

* حَرَامٌ عَلَى قَلْبٍ أَنْ يَشُمَّ رَائِحَةَ الْيَقِينِ وَفِيهِ سُكُونٌ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى!!

* وَحَرَامٌ عَلَى قَلْبٍ أَنْ يَدْخُلَهُ الثُّورُ ، وَفِيهِ شَيْءٌ مِمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ تَعَالَى.

* * *

قَوْلُ بَشِيرٍ

* وبالإسناد إلى الخطيب قال : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد الأهوازي!!

حدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار ، حدثنا موسى بن هارون ، حدثنا محمد يعني ابن هيصم قال :

سمعت بشرَ هو ابن الحارث - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يقول :

(١) انظر ترجمته في ص ٣٧٠ من هذا الكتاب!! فإنها عظيمة جدًا.

«أوحى الله تعالى إلى داود ﷺ:

* «يا داود لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً، فيصدك بسكره
عن طريق محبتي، أولئك قطاع طريق عبادي». نسأل الله العافية.

الشَّرحُ والتَّعليقُ

بشر: هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء:

* وهو الإمام العالم المحدث الزاهد الرباني القدوة، شيخ الإسلام، أبو
نصر المروزي ثم البغدادي، المشهور بالحافي!!

* ولد سنة اثنتين وخمسين ومائة، وارتحل في طلب العلم، فأخذ عن
مالك وفضيل بن عياض، وابن المبارك وغيرهم...!
وكان يلزم نفسه، رأساً في الورع والإخلاص!

قال إبراهيم الحربي:

* ما أخرجت بغداد أتم عقلاً من بشر، ولا أحفظ للسانه...!

وقال السلمي:

كان بشر من أولاد الرؤساء فصحب الفضيل، سألت الدارقطني عنه فقال:

* زاهدٌ جبلُّ ثقة!

توفي سنة سبع وعشرين ومائتين. وقد أفرد ابن الجوزي مناقبه في كتاب.

مصادر الترجمة:

* طبقات ابن سعد: ٣٤٢/٧، حلية الأولياء: ٣٣٦/٨، تاريخ بغداد:

٦٧/٧، السير: ٤٦٩/١٠، عاش ٧٥ سنة.

* * *

قَوْلُ سَلَمَاتٍ

أخبرنا شيوخنا الثلاثة الأئمة:

- * ١ - القاضي الإمام بقیة المشايخ أبو الفضل عبدُ الكريم بنُ القاضي أبي القاسم عبد الصمد بن محمد الأنصاري!!
- * ٢ - والإمام الحافظ أبو البقاء خالد بن يوسف!!
- * ٣ - والشيخ الإمام عبد الله محمد بن عبد المحسن بن محمد بن منصور الأنصاري الدمشقيون، قال:
- * أخبرنا الشيخ الإمام أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي . . . !
- * أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي الأنصاري، أخبرنا أبو إسحاق ابن عمر بن أحمد البرمكي:
- * أخبرنا أبو محمد عبد الله بن إبراهيم ناشيء، أخبرنا أبو مسلم ابن عبد الله الكحي:
- * حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ:
- * لَا يَعْلَمُ النَّاسُ عَوْنَ اللَّهِ بِالضَّعِيفِ مَا عَالُوا بِالظَّهْرِ^(١).

* * *

(١) عبارة الكتاب ليست بواضحة، قد يكون فيها تحريف مطبعي أو خطأ تحريفي كما هو

أَقْوَالُ الشَّافِعِيِّ

* وَقَالَ الشَّافِعِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - :

* عَلَيْكَ بِالزُّهْدِ!! فَالزُّهْدُ عَلَى الزَّاهِدِ أَحْسَنُ مِنَ الْحَلِيِّ عَلَى النَّاهِدِ^(١).

* وَقَالَ الرَّبِيعُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - :

* يَا رَبِيعُ!! لَا تَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ، فَإِنَّكَ إِذَا تَكَلَّمْتَ بِالْكَلِمَةِ مَلَكَتْكَ وَلَمْ تَمْلِكْهَا :

* وَقَالَ الْمَزْنِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - يَقُولُ :

* لَيْسَ لِأَحَدٍ إِلَّا لَهُ مُحِبٌّ وَمُبْغِضٌ، فَإِذَا لَا بَدَّ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَكُنِ الْمَرْءُ مَعَ أَهْلِ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ!!

* * *

= فلو أبدلنا لا بـ «لو» و «عالوا» بـ «غالوا» لاستقام اللفظ، وظهر المعنى وتم فيصير المعنى والله أعلم :

* لو يعلم الناس عونَ الله بالضعيف، وما له من الكرامة والأجر، وما لمُكْرِمِهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْفَضْلِ، مَا تَغَالَوْا بِشِمْنِهِ، جُوداً وَاسْتِحْسَاناً، مِرَاعَاةً لِمَشَاعِرِ الْفَقِيرِ، وَحِفْظاً مِنْ هُضْمِ حَقِّهِ، الَّذِي يَلْتَحِفُ السَّمَاءَ، وَيَفْتَرِشُ الْأَرْضَ...!

اهـ. محمد

(١) النَّاهِدُ: الْفَتَاةُ الَّتِي ارْتَفَعَ ثَدْيُهَا عَنْ صَدْرِهَا، وَصَارَ لَهُ حُجْمٌ.

اهـ نهاية

قَوْلُ سُفْيَانَ

- * وَرَوَيْنَا عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ عِيْنَةَ ، أَنَّ سُفْيَانَ بْنَ عِيْنَةَ
— رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ — قَالَ لَهُ بِالْمَزْدَلِفَةِ فِي آخِرِ حَجَّةِ حَجَّهَا :
- * قَدْ وَافَيْتُ هَذَا الْمَوْضِعَ سَبْعِينَ مَرَّةً أَقُولُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ :
- * اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ !! وَقَدْ اسْتَحْيَيْتُ
مِنْ اللَّهِ عِزًّا وَجَلَّ مِنْ كَثْرَةِ مَا أَسْأَلُهُ ، فَرَجَعَ فَتَوَفَّى فِي السَّنَةِ الْدَاخِلَةِ .

* * *

قَوْلُ الدَّارِمِيِّ

صُورَةُ الرَّبْعَةِ :

- * أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الْأَمِينُ السَّيِّدُ أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ
مُحَمَّدَ بْنِ التَّيْمِيِّ ، الْبَكْرِيُّ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ بِكَلَّاسَةِ جَامِعِ دِمَشْقَ !!
- قَالَ :

أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو حَفْصٍ عَمْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُعَمَّرِ بْنِ طَبْرَزْدَ ،

قَالَ :

- * أَخْبَرَنَا الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرِو
السَّمَرْقَنْدِيُّ .

قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ الدَّائِمِ بْنَ الْحَسَنِ الْهَلَالِيَّ يَقُولُ :

* سَمِعْتُ عَبْدَ الْوَهَّابِ بْنَ الْحَسَنِ الْكِلَابِيَّ يَقُولُ :

* سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ خَرِيمٍ الْعَقِيلِيَّ يَقُولُ :

سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول:

* تمنيتُ أن أرى أبا سليمان الداراني^(١) - رحمه الله - في المنام، فرأيتُه بعدَ سنةٍ فقلتُ: يا معلِّمُ!! ما فعل اللّهُ بك؟ فقال:
* يا محمد!! جئتُ من باب الصغير فلقيتُ وسقَ شعيرٍ فأخذتُ منه عوداً، ما أدري تخللتُ به أو رميتُ به، فأنا في حسابه منذ سنةٍ إلى هذه الليلة...!

قلتُ:

* ما أبلغَ هذه الحكايةَ في الحثِّ على الورع والتحذير من التساهل في محقرات المظالم...!
والوسق:

* بفتح الواو وبكسرهما لغتان؛ وهو الحِمْلُ...!
* ومعمَّر المذكور: بضم الميم الأولى وفتح الثانية وتشديدها.
وخریم: بضم الخاء وبالراء، والعقيلي: بضم العين.

الشَّرْحُ وَالْعَلَقُ

الوسق:

ستون صاعاً. قال الخليل: الوسق حِمْلُ البعير. والوقر: حمل البغل والحمار.

اهـ. مختار

(١) انظر ترجمة أبي سليمان الداراني، وبلدته دارياً: ص ١٧٣ - ١٧٥.

* أَقُولُ :

وهكذا يجب على المؤمن أن يبتعدَ كُلَّ الابتعادِ عن الذنوب : سواء كانت من حقوق الله ، أو حقوق العبيد !!

فقد رُوِيَ عن سهل بن سعد - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ أنه قَالَ :

* «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ ، فَإِنَّمَا مِثْلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَمِثْلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ فَجَاءَ ذَا بَعُودٍ ، وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ ، حَتَّى حَمَلُوا مَا أَنْضَجُوا بِهِ خَبَزَهُمْ ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذُ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهَا» .

* فالمؤمن لا يستخفُّ بذنب ، ولا يستصغرُ معصيةً ، خائفٌ وجِلٌّ من

مولاه ؛

* والمنافق لا يستعظم ذنباً ولا يخاف ربّاً . . . !

فقد روى البخاري في صحيحه :

* «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذَنْبَهُ كَأَنَّهُ فِي أَصْلِ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ !!

* وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذَنْبَهُ كَذَبَابٍ طَارَ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ : هَكَذَا وَهَكَذَا» .

وروي عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ هَذِهِ آيَةَ

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قَالَ : أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَقَالَ :

* أَخْبَارُهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ وَأَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهَرِهَا يَقُولُ : عَمِلَ

كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا . . . !

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

* خَلَّ الذُّنُوبِ صَغِيرَهَا

وَكَبِيرَهَا ذَاكَ النَّقْلُ

* وَاصْنَعْ كَمَا سِ قَوْفِهِ أُرْ

ضُ الشُّوكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى

* لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً

إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

* كُلُّ الصَّائِبِ مَبْرَأٌ مِنَ النَّظَرِ
وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْفَرِ الشَّرِّ

* وَالْمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا
فِي أَعْيُنِ الْغِيَرِ مَوْفُوفٌ عَلَى الْخَطَرِ

* كَمْ نَظَرُوا فَعَلَّتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا
فَعَلَ الشَّرَّ بِهَا بِأَقْوَمِ وَلَا وَتَرِ

* يَسُرُّ مُقْلَتَهُ مَا خَرَّ مُهْجَتَهُ
لَا مَرَّحِبًا بِسُرُورِهَا بِالْضَرِّ

* * *

قَوْلُ مَعْرِفٍ الْكَرَّخِيِّ

- * أخبرنا شيخنا الإمامُ الصالحُ الحافظُ المتقنُ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عيسى بن يوسفَ المرادي بقراءتي عليه!
- * أخبرنا الشيخُ الإمامُ أبو الحسن بنُ هبةَ الله الحميري!
- * أخبرنا الحافظُ أبو طاهر السِّلَفي^(١)!
- * أخبرنا الإمامُ أبو بكر أحمد بن محمد بن زنجويه الزنجوي!
- * أخبرنا أبو طالب يحيى بن علي الدسكري قال:
- * سمعتُ أبا أحمد الغطريفي يقول:
- * سمعتُ أبا العباس محمد بن إسحاق السراج يقول:
- * سمعتُ عبد الله بن محمد الوراق يقول:
- * مرُّوا بمعروفٍ أيامَ الفتنةِ يتقاتلون وهو يقول لهم:
- * مرُّوا أصحابكم الله! مرُّوا بارك الله فيكم!
- * فقيل له: إنهم يخرجون للقتال،
- * فقال: إن أصحابهم اللُّهُ لم يقاتلوا...!

(١) راجع ص ١٧٨ لضبط هذا الاسم.

شَذَرَاتُ حَسَنَةٍ:

* أخبرنا شيخنا أبو إسحاق بهذا الإسناد إلى السراج قال:
سمعتُ ابنَ أبي الدنيا يقول:

* جُلِسَ إلى «معروف» فاغتَاب رجلٌ منهم رجلاً فقال:

* يَا هَذَا! اذْكُرْ يَوْمَ يُوضَعُ الْفُطْنُ عَلَى عَيْنِكَ .

وبِهَذَا الْإِسْنَادِ قَالَ السَّرَاجُ :

* سمعتُ يحيى بنَ أبي طالب يقول: سمعتُ يعقوبَ بنَ أخ
معروف يقول: سمعتُ عمي يقول:

* كَلَامٌ فِيمَا لَا يَنْفَعُهُ خُذْلَانٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى .

وبِهَذَا الْإِسْنَادِ قَالَ السَّرَاجُ :

* سمعتُ عليَّ بنَ الموفق يقول: كان من دعاء معروف:

* يَا مَالِكُ يَا قَدِيرُ يَا مَنْ لَيْسَ لَهُ نَظِيرُ !!

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

إذا أطلق معروف: يراد به الكرخي كما هو معروف وكتب القوم غنية
بذكرياته، وستأتي معك ترجمته في ص ٢٦٢ باختصار فترقبها.

قوله: أصحابكم:

يقال: صحبه وأصحابه، وجاء في شعر الهزلي:

يَزْعَى بِرَوْضِ الْحَزْنِ مَنْ أَبَّه

قربانه في عابه يُضْحِب

* الحَزْنُ: بالسكون، الأرض الوعرة الغليظة، والأَب: العشب.
ويصح: من باب الأفعال بمعنى يمنع ويحفظ.

أهل لسان العرب

قوله: فاغتاب رجلاً... إلخ:

وذكرت الغيبة عند عبد الله بن المبارك فقال:

* لو كنت مغتاباً أحداً، لا غتبتُ والذَّيَّ، لأنهما أحقُّ بحسناتي...!

وقيل للحسن البصري:

* إنَّ فلاناً اغتابك، فبعث إليه طبقَ حلواءٍ وقال: بلغني أنك أهديت إليَّ

حسناتك فكافأتك!

حَسْرَةُ الْغَيْبَةِ

الغيبة: عَرَفَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِقَوْلِهِ: «أندرون ما الغيبة؟»

* قالوا: اللَّهُ ورسوله أعلم!!

فقال عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ذكرُك أخاك بما يكره».

قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟

* قَالَ ﷺ: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته».

وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

* غَيْبَةُ الْخَلْقِ، إِنَّمَا تَكُونُ عَنِ الْغَيْبَةِ عَنِ الْحَقِّ...!

وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

هي إدَامُ كَلَابِ النَّاسِ...!

* ولهذا كان سلفنا الصالحُ مثلاً حسناً في الورع عن الخوض في أعراض

الناس؛ بل عن الفضول فيما لا يعني في الكلام:

* مجالسُهم محفوظة، وألسنتُهم مكفوفة، وأبصارُهم مغضوذة!!

* تراهم سكرى وما هم بسكرى، ومرضى وما هم بمرضى؛ بل غرقوا في النظر إلى عيوبهم، وذهلوا عن غيرهم... بذنوبهم!

* مشغولون بالبحث عن خفيات دخائل نفوسهم، انكمشوا عن غير الله، وأعرضوا عما سواه، وأخلصوا دينهم لربهم...!

* فنطقت ألسنتهم بالحكمة، ومنهم هذا الإمام الهمام سيدنا معروف، حيث ذكر جليسه بأمر يهز القلوب، بأمر واقع والناس عنه في غفلة:

* اذكر يوم يُوضعُ القطُّ على عَشِيكَ. ١)

* ما أجمل هذه الحكمة، وأوقع هذه الجملة، ليس فيها تشدق في اللفظ، ولا تكلف في القول، لكنها صدرت من قلب خائف، ولسان ذاك، ونفس طاهرة...!

* كان لها أثرها الكبير، ولذا قدمها لنا المؤلف - رحمه الله - في كتابه هذا. نسأله سبحانه حفظاً شاملاً، ونفعاً دائماً، وعملاً صالحاً، واعتقاداً متيناً، حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا يا أرحم الراحمين.

اهـ محمد، عفي عنه

* * *

إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ

* وبهذا الإسناد^(١) إلى الغطريفي قال: أخبرنا أبو الحسن التاجر قال: ثنا سلمة بن شبيب، حدثنا خلف بن تميم قال: رأيت ابن أدهم بالشام فقلت: ما أقدمك ها هنا؟

* فقال: أما إني لم أقدمها لجهاد، ولا لرباط، ولكن قدمتها لأشبع من خبز حلال.

الشَّرْحُ وَالنَّعْلِقُ

* إبراهيم بن أدهم: هو إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي أبو إسحاق: زاهد مشهور!!

كان أبوه من أهل الغنى في بلخ من أبناء الملوك، فتفقه ورحل إلى بغداد، وجال في العراق والشام والحجاز...!

* وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة، نهل من مواردها، وارتوى من معينها، ودرج على قدم أئمتها، أخباره كثيرة!!

* وقد ذكرت له بعض نبذ جيدة في كتابي الحب الخالد في ص ٩٢ الطبعة السابعة.

* وذكرت جانباً وطرفاً من بعض حكمه المفيدة، ومواعظه الحكيمة في كتابي سمير المؤمنين الطبعة الثانية عشرة ص ٢١ و ٤٨ - ٤٩، و ٣١١.

(١) إلى الإسناد السابق في ص ٢٢٠.

مصادر ترجمته :

* الأعلام: ٣١/١، وحلية الأولياء: ٣٦٧/٧، والبداية والنهاية:

١٣٥/١٠.

فرضي الله عنك يا سيدي يا إبراهيم.

* يا من أتعبت مَنْ بعدك مِنَ الزَّهَادِ فضلاً عن غيرهم!!

* يا مَنْ عرفتَ الحقَّ واهتديتَ إلى الصواب، وعلمتَ كيف يكون الدخولُ

على الملك الوهاب!!

* فكيف يتعبد العابدُ، ويذكر الذاكرُ، ويخشعُ الخاشعُ، ويدعو الداعي؟!

وقد ضاع وضلَّ السبيل...!

فمن لم يتورع في اللقمة، ولم يتجنب الشبهة؛ بل يأخذ ما هبَّ ودبَّ،

فالحرامُ عنده ما كان خارجاً مِنْ حَيْثِهِ، بعيداً عن يده!!

* ولهذا لا يُسمع لنا دعاء، ولا يُرفع لنا عملٌ، ولا تُقبل مِنَّا حسنة...!

لبعدنا عن التورع فيما نعطي، وفيما نأخذ!!

* فمثال من أطال القيامَ، وأدام الصيامَ، وأتعبَ نفسَه في العبادة،

ولم يتورع عن الحرام، مثالُ الدجاجةِ التي أطالت المكثَّ على بيضة مذرة أي

فاسدة وهي تنتظر نتاجها، وإذا بها قد خاب ظنها، وضاع جهدها، وضلَّ

سعيها...!

* فاللبنة الأولى للبناء التي يرتقي عليها العابد هو الحلال، فالحرام كله

خبث، وبعضه أخبث من بعض:

* كما أن الحلال كُلُّه طيبٌ، ولكنَّ بعضَه أطيَّبُ من بعض، فينبغي للعابد

أن يتفقه في دينه أولاً وقبلَ كلِّ شيء، ويزنَّ ما يدخل في يده بميزان الشرع،

ولا سيما ونحن في زمان، قلَّ فيه الحلال، وكثر الحرام:

* مصارفُ تدعو الناسَ لتعاملها بالربا، الذي أعلن الله حربه على صاحبه بقوله: ﴿فَآذِنُوا يُحْرِبَ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ !!

* يا نصيبُ يُنادى عليه بالشوارع كالسلعةِ المعروضةِ!!

* بيوعٌ بعيدةٌ عن الصحة والصواب، عقودٌ فاسدةٌ عند كثير من التجار، حرامٌ مكشوفٌ أمره...!

* والمسلمون يجتمعون في معابدهم ويدعون الخالقَ جل جلاله في مساجدهم، ومطعمهم حرام، ومشربهم حرام، وملبسهم حرام، وغُذُّوا بالحرام...!

فكيف يُستجاب لهم؟!

* ولهذا نرى إعراضاً عن الله، وإدباراً عن طريق الهداية، حتى أصبح غريباً...!

فمن أكل الحلال أطاع الله شاء أو أبى، ومن أكل الحرام عصى الله شاء أو أبى!!

* اللهم اكفنا بحرامك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن محرماتك.

كتبه محمد

* * *

رَبِيعُ بْنُ حِرَاشٍ

مِنْ ثَمَرَاتِ الصِّدْقِ :

* وَرَوَيْنَا عَنْ الْحَافِظِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعُجْلِيِّ قَالَ: رَبِيعُ بْنُ حِرَاشٍ تَابِعِيٌّ ثِقَةٌ لَمْ يَكْذِبْ قَطُّ!

* كَانَ لَهُ ابْنَانِ عَاصِيَانِ زَمَنَ الْحِجَاكِ فَقِيلَ لِلْحِجَاكِ :

* إِنْ أَبَاهُمَا لَمْ يَكْذِبْ قَطُّ لَوْ أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ فَسَأَلْتَهُ عَنْهُمَا، فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَيْنَ ابْنَاكَ؟

* فَقَالَ: هُمَا فِي الْبَيْتِ .

* فَقَالَ: قَدْ عَفَوْنَا عَنْهُمَا بِصَدَقِكَ .

وَقَالَ الْحَارِثُ الْغَزَوِيُّ :

* أَلَى رَبِيعِ بْنِ حِرَاشٍ أَلَّا يَصِيرَ ضَاحِكًا حَتَّى يَعْلَمَ أَفِي الْجَنَّةِ هُوَ أَوْ فِي النَّارِ؟

قَالَ الْحَارِثُ :

* وَلَقَدْ أَخْبَرَنِي مَنْ غَسَلَهُ، أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُتَبَسِّمًا عَلَى سَرِيرِهِ، وَنَحْنُ نَغْسِلُهُ حَتَّى فَرَّغْنَا مِنْ غَسْلِهِ . . . !

للصدق درجات كما تقدم معنا:

* ١ - الرُّوْلَى :

صدقُ اللسانِ، وحقُّ على كل عبدٍ أن يحفظَ ألفاظه، فلا يتكلم إلا بالصدق...!

* ٢ - الثَّانِيَّة :

الصدقُ في النية والإرادة، ويرجع إلى الإخلاص، وهو ألا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلا الله تعالى...!

* ٣ - الثَّالِثَةُ :

صدقُ العزم، وهو الحزمُ فيه بقوة كمن يقول: إن رزقني الله مالاً تصدقتُ بشرطه فصدقُ هذه العزيمة: هو سخاء نفسه بما نوى...!

* ٤ - الرَّابِعَةُ :

في الوفاء بالعزم، فإنَّ النفسَ قد تسخو بالعزم في الحال، فإذا حقت الحقائق انحلت العزيمة...!

من مظاهر الوفاء بالعزم:

عن أنس بن مالك، أن عمّه أنسَ بنَ النضر لم يشهد بدرأ مع رسولِ الله ﷺ فشقَّ ذلك على قلبه وقال :

* أولُ مشهَدٍ شهدهُ رسولُ الله ﷺ غبْتُ عنه، أما والله لئن أراني الله مشهداً مع رسولِ الله ﷺ ليرين ما أصنع!

* قال: فشهدَ أحداً في العامِ القابل، فاستقبله سعدُ بنُ معاذٍ فقال: إلى

أين؟

* فقال: واهاً لريحِ الجنةِ! إني أجد ريحَها دونَ أحد...!

* فقاتل حتى قُتل، فوجد في جسده بضْعُ وثمانون ما بين رمية، وضربة،
وطعنة...!

* فقالت أخته:

* ما عرفت أخي إلا بشيابه! فنزلت هذه الآية:

* ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَّلُوا
تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

* هـ - الخامسة:

الصدق في الأعمال؛ وهو استواء السريرة والعلانية بأن يكون باطنه مثل
ظاهره أو خيراً من ظاهره!!

* اهـ من موعظة المؤمنين: ٣/٣٦٩. باختصار. عضّ على هذه العبارات
وما قبلها بالنواجذ، فقلما تجدّها في كتاب، فإمامنا الغزالي طيبٌ وقافٌ
ثبتٌ...!

وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

* من لم يؤدّ الفرض الدائم، لا يقبل منه الفرض المؤقت!

* قيل: ما الفرض الدائم؟ قال: الصدق...!

* عمداً أعدتُ معظمه لأهميته الاجتماعية.

انظر في ص ١٥٠ من هذا الكتاب.

* * *

أَحْمَدُ بْنُ عُمَيْرٍ

ورؤينا عن أحمد بن عبد الله قال :

* اجتمع قراء أهل الكوفة في منزل الحكم بن عتيبة، فأجمعوا على أن أقرأ أهل الكوفة طلحة بن مضر، فبلغه ذلك فقعد إلى الأعمش يقرأ عليه ليذهب ذلك الاسم عنه... !
قلت :

* عتيبة بتاء مثناة من فوق، ثم ياء مثناة من تحت، ثم باء موحدة...

ومضر بضم الميم، وفتح الصاد المهملة، وكسر الراء المشددة على المشهور وقيل : بفتح الراء !

* * *

أَبِي بَكْرٍ

* وعن الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - قال :

قيل لأبي بكر بن كعب - رضي الله تعالى عنه - :

* يا أبا المنذر، عطني !

قال :

* - وآخ الإخوان على قدر تقواهم،

* — ولا تجعل لسانك بدأة لمن لا يرغب فيه،

* — ولا تغبط الحي إلا بما تغبط به الميت!!

الشَّرْحُ وَالْعَلَيْقُ

قوله: وآخ الإخوان... إلخ:

أشار إلى آية: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ أي بالدين. [الحجرات: ١٠].

«ودعامة الدين»:

* هي التقوى؛ فكلما زادت، اشتدت أو اصرُ القربة، واستحكمت أو شاجُ

النسب الديني، فعلى قدر تقواه يعامل ويوثق به!!

* وفادؤها لا يستحق المعاملة الأخوية لانتفائها...!

* وأكد ذلك بقوله: ولا تجعل لسانك بدأة لمن لا يرغب فيه، فتكلمه

وتميل إليه؛ فتكون سبباً في أذيته إذ تكون حبيب إليه عمله، وحسنت في عينه

ما استحق من النفرة!!

* فصرتَ شريكاً له في العمل بدون أن يعودَ عليك شيءٌ غير الوزر

والخطيئة!!

* وكما أن الميت لا يحسده الإنسان، ولا تُسَوَّل له نفسه هضم حقه،

فليكن الحي كذلك؛ ليكون أدلّ على إخلاصك وتقواك...!

اهـ من تحقيق النسخة القديمة

* * *

فضيل بن عياض

- * وعن الشافعي - رحمه الله تعالى - قال :
- قال فضيل بن عياض - رضي الله تعالى عنه - :
- * كم مَن يطوفُ هذا البيتَ ، وآخرُ بعيدٌ عنه وأعظمُ أجراً منه !!
- * وعن الشافعي عن فضيل قال :
- قال داودُ النبي ﷺ :
- * «إلهي كُنْ لابني كما كنتَ لي !!» .
- * فأوحى الله تعالى إليه : «يا داودُ !! قل لابنك يَكُنْ لي كما كنتَ لي ، أكونُ له كما كنتُ لك» .
- * وعن الشافعي - رحمه الله تعالى - قال :
- قال هشام بن عبد الملك للفضيل :
- ارفع حاجتكَ إليَّ .
- * فقال الفضيل : قد رفعتها إلى الجواد الكريم . . . !

* * *

جَعْفَرُ الْخُلْدِيِّ

فَائِدَةٌ لِرَدِّ الضَّالَّةِ

ورويانا في رسالة القشيري - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - في كرامات الأولياء قال:

* كان لجعفر الخلدي فصٌّ فوق يوماً في دجلة وكان عنده دعاءٌ مجرَّبٌ للضَّالَّةِ تُرَدُّ، فدعا به، فوجد الفصَّ في وسط أوراقٍ كان يتصفحها.

قال القشيري:

* سمعتُ أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول:

إنَّ ذلك الدعاء:

* «يَا جَامِعَ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ، اجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَ ضَالَّتِي»!!

قلتُ:

* وقد جربت هذا الدعاء، فوجدته نافعا سبباً لوجود الضالة على قرب غالباً وأنه لم ينخرم...!

وسمعتُ شيخنا أبا البقاء يقول نحو ذلك، وهو علّمنيه أولاً .
 * قوله فص : هو بفتح الفاء وكسر ها، لغتان : الفتح أجود .
 * وأما جعفرُ الخُلدي : هو بضم الخاء المعجمة وإسكان اللام !!
 * قال الحافظُ الإمامُ أبو سعيد السّمعاني في الأنساب :
 الخلد : محلةٌ ببغداد يُنسب إليها صبيح الراوي .
 * وأما جعفرُ بنُ محمد بنِ نصير الخلدي ، الخوَّاص أو محمد
 أحدُ مشايخ الصوفية له كراماتٌ ظاهرة . . . !
 وإنما قيل له الخلدي لأنه كان يوماً عند الجنيد ، فسأل يوماً عن
 مسألة ؟

* فقال الجنيد : أجيبهم فأجابهم !!
 فقال له الجنيد : من أين لك هذا ؟
 * فقال : من خُلدي فبقي عليه هذا الاسم . . . !
 * وتوفي سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثمائة . . . !
 * رُوي عنه الدارقطني ، وأبو حفص بنُ شاهين وغيرُهما وكان
 ثقةً .

الشرح والتعليق

جعفر الخُلدي :
 * الشيخ الإمام القدوة المحدث ، شيخُ الصوفية ، أبو محمد جعفر بنُ
 محمد بنِ نصير البغدادي ، كان يسكن محلة الخلد . . . !
 * ولد سنة ثلاث وخمسين ومائتين .

* صحب الجُنَيْدَ، وأبا الحسين النوري، وحدث عن الحارث بن أبي أسامة، وأبي مسلم الكجّي...!

* قال الخطيب: ثقةٌ. حجّ ستاً وخمسين حَجَّةً!!

قِيلَ: عجائبُ بغدادَ ثلاثةٌ:

١ - نكت المُرْتَعِش!

٢ - وإشاراتُ السُّبُلِي!

٣ - وحكاياتُ الخُلْدِي!

* توفي سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة وله خمس وتسعون سنة...!

مصادر الترجمة:

* طبقاتُ الصوفية، للسلمي: ٤٣٤، حلية الأولياء: ٣٨١/١٠، السير:

٥٥٨/١٥.

* * *

سَلَامَاتُ الدَّارِفِي

كَيْدُ الشَّيْطَانِ

رَوَى عَنْ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي أُسَامَةَ وَغَيْرِهِ . . .

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ :

سَمِعْتُ بَعْضَ أَصْحَابِنَا أَظْنَهُ أَبَا سَلِيمَانَ يَعْنِي الدَّارَانِي - رَضِيَ اللَّهُ
تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ :

* لِإِبْلِيسَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ مُتَقَاضٍ يَتَقَاضَى ابْنُ آدَمَ عَشْرِينَ سَنَةً
لِيُخْبَرَ بِعَمَلِهِ الَّذِي يَعْمَلُهُ سِرًّا ، فَيُظْهِرُ لَهُ لِيُزِيحَ عَنْهُ مَا بَيْنَ السَّرِّ
وَالْعَلَانِيَةِ .

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيلُ

قَوْلُهُ : لِيُخْبَرَ بِعَمَلِهِ . . . إلخ :

* وَذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَحُولَ دُونَ عَمَلِهِ ، وَلَمْ يَتِمَكَّنْ مِنْ إِفْسَادِهِ !!

* أَرَادَ أَنْ لَا يَتَقَاضَى أَجْرًا عَظِيمًا !

إِذْ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْأَجَرَ عَلَى عَمَلِ السَّرِّ ، يَزِيدُ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً عَلَى عَمَلِ

الْعَلَانِيَةِ !!

* لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى تَمَامِ الْإِخْلَاصِ . . . !

وَهَذَا فِيمَا لَا يَجْعَلُهُ الشَّارِعُ عَلَانِيَةً :

* كَالصَّلَاةِ ، وَالزَّكَاةِ .

لأنَّ إسرارَه حيثنذ يسبب إضراره مادةً وعلى الأقل معنى .

اهـ من النسخة القديمة باختصار

* وقد ذكرتُ في كتابي الصحوة القريبة تحت عنوان : «العدو الأكبر»
خطرَ الشيطان، وضرره، وسمومه التي ينفثها في قلوب طلابه وإغواءه
لبني آدم...!

* ثم بيَّنتُ السلاحَ الذي يتسلط به علينا، والسلاحَ الذي نتسلَّط به عليه
في: ١٤٥/١ .

* * *

أَبْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ

ورؤينا عن إبراهيم بن سعيد قال: قلت لأبي سعد بن إبراهيم: بم
فاقمكم الزهري؟

قال: كان يأتي المجالس من صدورِها، ولا يأتيها من خلفها، ولا
يبقى في المجلس شاباً إلا ساءله، ولا كهلاً إلا ساءله، ولا عجوزاً ولا
فتى إلا ساءله!!

* ثم يأتي الدار من دور الأنصار فلا يبقى فيه شاب إلا ساءله،
ولا كهلاً إلا ساءله، ولا عجوزاً إلا ساءلها، ولا كهلةً إلا ساءلها، حتى
يحاول أرباب الحجول...

الشَّرْحُ وَالنَّعْيُ

قوله: «من صدورها»:

لأنه يكر قبل غيره فيتسنى له أن يجلس بالصدر، لشدة شغفه بالعلم،
وحته للتحصيل!!

فلا يمنعه العوائق ليأتي في الزمن الأخير؛ فإن من يأتي متأخراً لا يجد طريقاً
إلا من الخلف، ويضطر للبقاء في محله، وتضيع منه فوائد كثيرة، فلو عجل
كالزهري لنال ما نال من العلم والفضل.

والحجول: جمع الحجلة:

* محرقة، موضع يُزَيْن بالثياب والستور للعروس... وحَجَلُها تحجلاً
اتخذ لها حجلة، أو أدخلها فيها...! اهـ قاموس

* * *

كِتَابُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

* ومن أحسن ما يُتأدب به في ترك الاعتناء بحسن اللباس والمأكل والمشرب ونحوهما!!

* ما رَوَيْنَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - بِإِسْنَادِنَا إِلَى أَبِي عَوَانَةَ الْإِسْفَرَايِينِيِّ :

* قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حَبِيبٍ الْمِصْبِصِيُّ ، حَدَّثَنَا حُجَّاجٌ قَالَ : سَمِعْتُ شُعْبَةَ يُحَدِّثُ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ :

* سَمِعْتُ أَبَا عَثْمَانَ النَّهْدِيَّ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ :

* أَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - وَنَحْنُ بِأَذْرَبِيجَانَ مَعَ عَتَبَةَ بْنِ فَرْقِدٍ . . . !
أَمَّا بَعْدُ :

* فَاتَزَرَّوْا ، وَارْتَدَّوْا ، وَانْتَعَلَوْا ، وَارْمُوا بِالْخِفَافِ ، وَأَلْقُوا السَّرَاوِيلَ ، وَعَلَيْكُمْ بِلِبَاسِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ !!
وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّدَ ، وَزِيَّ الْعَجَمِ ، وَعَلَيْكُمْ بِالشَّمْسِ ؛ فَإِنَّهَا حَمَامُ الْعَرَبِ وَتَمَعَّدُوا ، وَاخْشَوْشُوا ، وَاخْلَوْلِقُوا ، وَاقْطَعُوا الرُّكْبَ ، وَارْمُوا الْأَغْرَاضَ ، وَانْزَوْا نِزْوًا .

قَوْلُهُ اخْلَوْلِقُوا :

* لَمْ أَقِفْ عَلَى ضَبْطِهِ وَلَعَلَّهَا بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ

اخلولق السحابُ إذا استوى، واخلولق الرسم إذا استوى
بالأرض...!

أما ضبط ألفاظه:

* فالمِصِّي بِكسر الميم، والصاد المشددة ويقال بفتح الميم،
وتخفيف الصاد...!

الأول: أشهر وأرجح نسبة إلى المصيصة البلدة المعروفة بناحية
طرسوس بلاد الأرمن.

* أذَرَبِيجان: هو إقليم معروف، وفي ضبطه وجهان
مشهوران:

* ١ - أَصْهًا: بإسكان الذال المعجمة من غير مد، وفتح
الراء وبعدها باء موحدة مكسورة ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ثم
جيم...!

* ٢ - النَّافِي: بمدّه في أوله وفتح الذال وإسكان الراء!!

* وقوله: وَزِي العجم: هو بكسر الزاي...!

* وقوله: وتمعددوا!! أي تخلّقوا بعادة أبيكم معد بن عدنان في
خشونة العيش...!

واختلف النحويون في ميم معد: هل هي أصلية، أم زائدة؟

فقال سيبويه: أصلية. وغيره يقول: زائدة!

* وقوله: ارموا الأغراض، أي ارموا بالقسي!

*** وقوله : وانزوا نزواً، معناه :**

إذا ركبتم الخيل فثبوا وثباً على الخيل من الأرض ولا ترتفعوا
على حذر ونحوه!!

ولا تركبوا بالركب المعتاد للعجم في سروجهم . . . !

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

قوله : وعليكم بالشمس :

*** أصبح اليوم يُعالَج بالشمس كثيرٌ من الأمراض ، وأنَّ الأطباءَ توصي
بالإقامة فيها حفظاً للصحة . . . ولا سيما صباحاً ومساءً فهي أنفع !!**

*** ورضي الله عن عمرٍ فقد جمع في وصيته العلمَ، والحكمة، والطبَّ،
والمصلحةَ، والسياسةَ، وتعليمَ أبواب الحرب . . . !**

*** أوصى بأن يحافظوا على لباس إسماعيلَ عليه السلام لسعته وانفراجه،
حيث يحفظ الصحةَ، وتجري الرياحُ من داخله، ويتعرضُ قسمٌ من البدن
للشمس، ليستفيد من حرارتها، وليحفظ للأمة العربية تقاليدَها!!**

*** ولم يكتف بهذا حتَّى نهانا عن التزيِّي بزِيِّ العجم من أنه يُستفاد من قوله
السابق حرصاً منه على محافظة العوائد المِلِّيَّة التي لا تتعارض مع الشريعة!!**

*** وكأنه ينظر إلينا من ظهر غيبٍ حيث صار التزيِّي بالأعاجم فخراً لنا!!**

*** وبلغ من بعض الحكومات الشرقية صورة أن قد سفكت دماء غزيرة في
سبيل ترويج الزي الإفرنجي . . . بل واستهجنوا لباس الآباء والأجداد . . . !**

أقول :

وكم للأزياء الحديثة من مضارٍ طبَّية، ومضارٍ أخلاقية، ومضارٍ شرعية!!

*** ولو جال العاقل بعقله، وتفكر المفكرُ بفكره، حولَ هذه الأزياء الدخيلة
على العرب والمسلمين للفظها من نفسه، وداسها تحت قدمه . . . !**

* ثم نهى عن التمتع؛ لأنه يُورث الخمول، والبطالة والكسل، يُخَدِّثُ الجبنَ والخوفَ، لأنَّ ترفَ الأُمّةِ هَرَمٌ لها، وعلامةُ كبريٍّ لاضمحلالها...!

* وأمر برمي الأغراض، لتكونَ الأُمّةُ حربيةً، تدرسُ ما يتعلّقُ بالحرب في بيوتها حتّى إذا ما دُعوا للجهاد، وكانوا على أهبّةٍ يقدرّون على الدفاع، والكفاح...!

فالمدرّب بالحرب لا يقفُ أمامه عشراتٌ ممن لا يعلمُ عن الحرب وإن كان أقوى بدناً وأصلبَ عضلات...!

* وأمر بأن ينزوا، وهو: أن يشبوا على الخيول ليتعوّدوا النشاط، ويحاربوا على الأرض!!

* فإنَّ الفنَّ والمعدات، مهما ترقّت وتقدّمت فلا غنى للحرب عن استعمال الخيول، ما دامت الأرضُ مشتملةً على الجبال، والوديان، والحَزَنَ والوعر.

اهـ من النسخة القديمة ببعض تصرف وزيادة

كتبه محمد

المصيصة:

من المعلوم أن المصيصة عربية محضة لأنها شرقي الدرب المشهور بيزنطي آخر حدود البلاد العربية، وإنما قال بلاد الأرمن لأنهم احتلوها في الحروب الصليبية. اهـ.

والحدر:

* بالفتح، الهبوط، وهو المكان الذي تنحدر منه والحدر فعلك! وحدرَ السفينةَ أرسلها إلى أسفل، وبابه نصر، ولا يقال: أحدرها.

* وحدرَ في قراءته وفي أذانه: أسرع...!

اهـ مختار

والانحدار: الانهباط.

* * *

أَبُو عُمَرَ ثَمَانَ النَّهْدِيِّ

* بفتح النون، وإسكان الهاء، منسوب إلى جدِّ له من أجداده... والأول: اسمه نهد بن زيد بن ليث.

واسم أبي عثمان:

* عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مِلَّ بفتح الميم وضمها وكسرها واللام مشددة فيها...!

وَيُقَالُ:

* مِلٌّ بكسر الميم، وإسكان اللام، وبعدها همزة.

وهو من كبار التابعين المخضرمين.

* واحدٌهم: مخضرم بفتح الراء، وهو:

مَنْ أدرك الجاهليَّةَ والإسلامَ وحياةَ رسولِ الله ﷺ

ولم يره ﷺ...!

* وقد بينتُ هذا القدر من حاله في الإرشاد في علوم الحديث

الذي اختصرته من كتاب الشيخ أبي عمرو بن الصلاح - رَحِمَهُ اللهُ

تَعَالَى - ...!

* وكان أبو عثمان - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - عَظِيمَ القدر،

كَبِيرَ الشَّأن.

وقال :

* بلغت نحواً من ثلاثين ومائة سنة وما من شيء إلا وقد أنكرته
إلا أمني فأني أجده كما هو .

ولما قتل الحسين - رضي الله تعالى عنه - تحول من الكوفة إلى
البصرة وقال :

* لا أسكن في بلد قُتل فيه ابنُ بنتِ رسولِ الله ﷺ . . . !
* مات سنة خمس وتسعين من الهجرة وقيل : سنة مائة
- رحمه الله تعالى - . اهـ .

الشَّيْخُ وَالنَّعْلِيُّ

أبو عثمان النهدي :

* هو الإمام الحجة شيخ الوقت ، عبد الرحمن بن مل بن عمرو بن عدي
البصري . مخضرم معمر !

* أدرك الجاهلية والإسلام ، وغزا في خلافة عمر وبعدها غزوات ، وحدث
عن الصحابة . . . !

* شهد وقعة اليرموك ، والقادسية ، وتستر ، ونهاوند ، وغيرها . . . !
* كان لا يصيب دنيا ، قائم الليل ، صائم النهار ، يصلي ما بين المغرب
والعشاء مائة ركعة حتى يَغشى عليه . . . !

قال أبو حاتم :

* كان ثقةً ، وكان عريفَ قومه . توفي سنة مائة ، وعاش مائة وثلاثين سنة .

مصادر الترجمة :

* طبقات ابن سعد : ٩٧/٧ ، تاريخ بغداد ٢٠٢/١٠ ، الإصابة الترجمة :

٦٣٧٩ ، السير : ١٧٥/٤ .

أقول :

يشيب المرء ويشبُّ معه خصلتان :

* ١ - الحرصُ .

* ٢ - وطولُ الأمل .

وقوله : بلغت نحواً من ثلاثين ومائة . . . إلخ :
هذا تواضعٌ منه ، وهضمٌ لنفسه ، وتعليمٌ لغيره .

* * *

قِصَّةُ جَابِرٍ وَشَهَابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

أخبرنا الشيخُ الفقيهُ، المُسنِدُ^(١) أبو محمدُ عبدُ الرحمنِ بنُ سالمِ بنِ يحيى الأنباري...!

* قَالَ: أخبرنا الحافظُ عبدُ القادرِ الرهاوي...!

* قَالَ: حدثنا القاضي أبو سليمان داودُ بنُ محمدِ بنِ الحسينِ الخالدي...!

* قَالَ: أخبرنا الحسنُ بنُ عبدِ الملكِ!!

* أخبرنا الحسين بن محمد بن نعيم!!

* أخبرنا عبدُ الله بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ يعقوبَ!!

* أخبرنا الحسنُ بنُ سفيانَ، حدثنا محمدُ بنُ مرزوقٍ!!

حدثنا مسلم بن إبراهيم!!

حدثنا عيسى بن حميد الراسي أبو همام!!

* حدثنا أبو حفص النضرُ عن جابرِ بنِ عبدِ الله الأنصاري

— رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا — أنه أتى رجلاً يسأله عن سِتْرِ المؤمن فقلت^(٢):

(١) المُسنِدُ: اسم فاعل، أي الذي لا يؤدي الحديث إلا بسنده الكامل.

(٢) لعله فقال: أي الرجل الذي سأله جابر فأحاله على شهاب.

لستُ أنا ذاك، ولكنَّ ذاك رجلٌ يقالُ له: شهابٌ...!

فسار جابرٌ فأتى عاملَها يعني عاملَ البلدةِ الوالي رجلاً^(١) يقالُ له
مَسْلَمَةٌ، فأتى البابَ فقال للبواب: قل للأمير ينزلُ إليَّ!!

* فدخل البوابُ وهو مبتسم فقال له الأمير: ما شأنُكَ؟

* قال: رجلٌ على بعيرٍ قال: قل للأمير ينزلُ إليَّ!!

* فقال: ألا سألته مَنْ هو؟

فرجع فسأله فقال:

* أنا جابر بنُ عبدِ الله الأنصاري...

* فرجع إلى الأمير وأخبره، فوثبَ من مجلسه فأشرفَ عليه
وقال: اصعد!!

* فقال جابر: ما أريد أن أصعد؛ ولكن حدثني أين منزلُ شهابٍ؟

* قال: اصعد!! فأرسلُ إليه فيقضي حاجتَكَ...

فقال:

* لا أريدُ أن يأتيه رسولُكَ فإنَّ رسولَ الأمير إذا جاء رجلاً راعه
ذاك، وأنا أكره أن يُروِّعَ رجلٌ من المسلمين^(٢) بسببي...

(١) هو عطف بيان من الوالي اسمه مَسْلَمَةٌ...

(٢) * بهذا الحب والحنان والأدب، والعطف على بعضهم بعضاً انتشر الإسلام في
جميع أرجاء الأقطار، واستولى المسلمون على معظم بلدان العالم، ولا يصلح أمرُ
هذه الأمة إلّا بما صلح به أولُها، وما كان عليه الصحابة الكرام، والسلف الصالح
— رضي الله عنهم — أجمعين...!

* فنزل الأمير يمشي معه حتَّى أتى شهاباً، فأشرفَ عليهم شهابٌ
فَقَالَ:

إما أن تصعدوا، وإما أن أنزلَ إليكم؟

قال جابر:

* ما أريد أن تنزلَ إلينا، وما نريد أن نصعدَ إليك، ولكن حدثنا
بحديثٍ سمعته من رسول الله ﷺ: عن ستر المؤمن؟

قال: سمعته ﷺ يقول:

* «مَنْ سَتَرَ عَلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ فَكَأَنَّمَا أَحْيَاهُ».

الشرح والتعليق

يؤخذ من هذه القصة الطريفة ما كان عليه سلفنا من الحرص الكبير على
تلقي العلم من منبعه ومعينه ولو كلفهم قطعُ الفيافي والقفار وتحملُ أعباء النقل
والأسفار...!

* * *

فِي إِكْرَامِ مَنْ لَهُ نِسْبَةٌ إِلَى الْمَحْبُوبِ

* ومما أنشدوا في إكرام مَنْ لَهُ نِسْبَةٌ إِلَى الْمَحْبُوبِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ:

أَلَا حَيِّ الدِّيارِ بَسْعَدَ إِنِّي

أُحِبُّ لِحَبِّ فَاطِمَةَ الدِّيارِ^(١)

سُعد: بضم السين المهملة، وإسكان العين، اسم موضع بنخل.

قال أبو بكر الهمداني في كتاب الاشتقاق:

* أصله سُعد بضم مخفف بإسكانها، وهو جمع سعيد كرغيف

ورغف، وإنما لم يصرفه الشاعر وإن كان مذكراً، لأنه جعله اسماً لأرض بعينها، ويُسبِّه هذا قول الآخر:

* أُحِبُّ الْأَيَّامِي إِذْ بَشِينَةُ أَيِّمُ

وأحييتُ لَمَّا أَنْ عَنِتِ الْعَوَانِيَا

الأيامي: النسوة التي لا أزواج لهن...

والعواني: المزوجات...

(١) وقال غيره: وينسب لمجنون ليلي...

* مَرَرْتُ عَلَى الدِّيارِ دِيَارِ لَيْلَى

أَقْبَلُ زَا الْجَدَّ وَزَا الْجَدَّ

* فَمَا حُبُّ الدِّيارِ شَفَفَ قَلْبِي

وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيارِ

وقوله: عَنِيتِ هو بكسر التاء أي تزوجت...

* وهذا الضرب من بديع الكلام أن يرجع من الغيبة إلى المخاطبة فقال: بثينة. ثُمَّ قَالَ: عَنِيتِ...

* وله نظائر كثيرة في القرآن العزيز منها قوله تعالى:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ

وقوله:

* ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

وقد جاء عكسه وهو الرجوع من الخطاب إلى الغيبة!!
فمعه ذلك قوله:

* ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ [يونس: ٢٢].

* * *

آثَارُ الْإِسْتِزَاءِ
مَعَ ذِكْرِ قَصَصِهَا

آثَارُ الْإِسْتِزَارِ مَعَ ذِكْرِ قَصَصِهَا

١- الْأَوَّلُ :

* أخبرنا الأنباري، أخبرنا عبدُ الحافظ، أخبرنا عبدُ القادر
الرهاوي، أخبرنا عبدُ الرحيم بنُ علي الشاهد، أخبرنا محمد بنُ طاهر
المقدسي الحافظ...!

أخبرنا أبو الفتح المقيد، أخبرنا أبو الحسن بنُ علي بن محمد بن
طلحة...!

* حدثنا سليمان بنُ أحمد بن أيوب الطبراني قال :
سمعتُ أبا يحيى زكريا بن يحيى الساجي - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -
قال :

* كنا نمشي في أزقةِ البصرة إلى باب بعضِ المحدثين فأسرعتُ
المشي وكان مع رجل منهم ماجنٌ في دينه فقال :

* ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها!!
كالمستهزىء!

* فما زال في موضعه حتى جَفَتْ رِجلاه وسقط...!
وقال الحافظ عبدُ الحافظ :

* إسنَادُ هذه الحكاية كالوجد، أو كراي العين، لأن رواتها
أعلامُ أئمة...!

٢- الثَّانِيَّة :

* وبالإسناد إلى المقدسي قَالَ : أخبرنا أبو الحسن بنُ الحسين العلوي... !

* أخبرنا ابنُ الحسين الضبعيُّ قَالَ : سمعتُ عبدَ الله بنَ محمدٍ بنِ العكبري يقول :

* سمعتُ أبا عبدِ الله محمدَ بنِ يعقوبَ المثنوي يقول : سمعت أبا داود السجستاني يقول :

* كان في أصحاب الحديث رجلٌ خليع إلى أن سَمَعَ بحديث النبي ﷺ :

«أن الملائكة لتضعُ أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع» .

* فجعل في عقبه مساميرَ حديدٍ وَقَالَ :

أريد أن أطاَ أجنحةَ الملائكةِ ... !

* فأصابه أكلةٌ في رجليه ... !

قُلْتُ :

* المَثْنُوئي بميم مفتوحة ثم تاء مثناة من فوق مشددة مضمومة ، وواو ساكنة ثم تاء مثناة ثم ياء النسب .

* وذكر الإمام أبو عبد الله محمد بنُ إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي — رحمه الله — في كتابه شرح صحيح مسلم هذه ^(١) الحكاية ، وفيه — أي : في كتابه — :

(١) هذه : مفعول ذكر ، فانتبه فقد بعدت عن الفعل ... !

* وَشَلَّتْ رَجُلَاهُ وَيَدَاهُ وَسَائِرُ أَعْضَائِهِ . . . !

قوله شَلَّتْ يده :

* أي يبست وبطلت حركتها ، وهو بفتح الشين على اللغة الفصيحة ! وفيها لغة أخرى بضمها ، والله أعلم .

٣- الثَّالِثَةُ :

* قَالَ : وَقرأت في بعض الحكايات أن بعض المبتدعة حينَ سَمِعَ قولَ النبي ﷺ :

* «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها فإنه لا يدرى أين باتت يده»؟؟

* قَالَ ذلك المبتدع على سبيل التهكم :

أنا أدري أين باتت يدي في الفراش . . . !

* فأصبح وقد أدخل يده في دبره إلى ذراعه . . . !

قال التيمي :

* فليتي المرأة الاستخفاف بالسنن ومواضع التوقيف ، فانظر كيف وصل إليهما شؤم فعلهما . . . !

قلتُ : ومعنى هذا الحديث :

ما قاله الإمام الشافعي - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - وغيره من العلماء - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ - :

* إِنَّ النَّائِمَ تَطَوَّفُ يَدُهُ فِي نَوْمِهِ عَلَى بَدَنِهِ فَلَا يَأْمَنُ أَنَّهَا مَرَّتْ عَلَى

نَجَاسَةٍ :

* مِنْ دَمِ بَثْرَةٍ ، أَوْ قَمَلَةٍ ، أَوْ بَرِغوثٍ ، أَوْ عَلَى مَحَلِّ الْإِسْتِنْجَاءِ ،

وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

٤ - الرَّابِعَةُ :

* قُلْتُ : وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى مَا وَجَدَ فِي زَمَانِنَا هَذَا وَتَوَارَثَتْ بِهِ

الْأَخْبَارُ وَثَبَّتْ عِنْدَ الْقَضَاءِ ، أَنَّ رَجُلًا بَقَرِيَّةً بِلَادِ بُصْرَى فِي أَوَائِلِ سَنَةِ

خَمْسٍ وَسِتِينَ وَسِتْمِائَةٍ . . . !

* كَانَ شَابًا سَيِّئَ الْإِعْتِقَادِ فِي أَهْلِ الْخَيْرِ ، وَلَهُ ابْنٌ يَعْتَقِدُ فِيهِمْ ،

فَجَاءَ ابْنُهُ يَوْمًا مِنْ عِنْدِ شَيْخٍ صَالِحٍ وَمَعَهُ مَسْوَاكٌ !!

* فَقَالَ : مَا أَعْطَاكَ شَيْخُكَ ؟ ! (مُسْتَهْزَأًا . . . !).

قَالَ : هَذَا الْمَسْوَاكُ !!

* فَأَخَذَهُ مِنْهُ وَأَدْخَلَهُ فِي دُبُرِهِ احْتِقَارًا لَهُ . . . !

فَبَقِيَ مَدَّةً ، ثُمَّ وَلَدَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي أَدْخَلَ الْمَسْوَاكَ فِي دُبُرِهِ

جَزُوعًا ، قَرِيبَ الشَّيْبِ بِالسَّمَكَةِ فَقَتَلَهُ . . . !

* ثُمَّ مَاتَ الرَّجُلُ فِي الْحَالِ أَوْ بَعْدَ يَوْمَيْنِ . . . !

عَافَانَا اللَّهُ الْكَرِيمُ مِنْ بَلَائِهِ وَوَفَّقَنَا اللَّهُ لَتَنْزِيهِ السَّنَنِ وَتَعْظِيمِ

شُعَائِرِهِ !!

* قدم لنا المؤلف - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - هذه القصص الطريفة، والحكايات الطريفة، لتكونَ على أتم الحذر من أن يدخل على نفوسنا شيء من الاستخفاف، أو يتسرب لها قليل من الاستهزاء مما ورد في السِّتَّة، أو جاء عن بعض السلف، لأن ذلك موجب لمقت الله وغضبه: ظهرت لنا الحكمة أو لم تظهر...!

* فلو أجلنا نظرنا في كثير من مناسك الحج، فلا يسعنا إلا أن نقف مكتوفي الأيدي مستسلمين ومنصاعين لحُكم المشرع ممثلين أمره من غير بحث ولا سؤال!!

* فهنا يظهر سقيم الإيمان وعليه، من صحيحه وقويّه...!

* فنقول: الله أعلم بمراده في ذلك.

* فاللَّه أسأل أن يمنَّ علينا بالإيمان الكامل، الخالي عن شوائب النقد، لأن معرفة طاقة الإنسان محدودة جداً، وعلمه قاصر محدود وجهله أكبر من علمه. فلا يسعنا إلا التسليم والاستسلام...!

* * *

بَاقَةُ مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ

بَاقَةٌ مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ

مَا قَالَهُ مَعْرُوفٌ

أخبرنا:

* الشيخ الفقيه المسدّد أبو محمد عبد الرحمن بن سالم الأنباري - رحمه الله - .

أخبرنا:

* القاضي الإمام أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري !... !

أخبرنا:

* الإمام أبو الفتح نصر اللّٰه بن محمد بن عبد القوي المصيصي !... !

أخبرنا:

* الشيخ الفقيه الإمام أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي الزاهد - رضي الله تعالى عنه - !... !

أخبرنا:

* القاضي أبو الحسن محمد بن عليّ فيما كتب إليّ قال :

أخبرنا:

* أحمد بن يعقوب الهروي قال حدثنا أبو عبد الله الروزبادي .

حدثنا :

* عمر بن مخلد الصوفي قال : قال ابن أبي الورد :

* قال معروف الكرخي - رضي الله تعالى عنه - :

«عَلَمَةُ مَقْتِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ أَنْ تَرَاهُ مُسْتَفْهِلًا بِمَا لَا يَفْنِيهِ .

الشرح والتعليق

معروف الكرخي :

* هو عَلَمُ الزَّهَادِ ، بركةُ العصر أبو محفوظ البغدادي ، واسمُ أبيه فيروز ،

روى الحديث عن الربيع ، وعنه خلف بن هشام . . . !

قيل :

* كان أبواه نصرانيين فأسلماه إلى مؤدّب ، كان يقول له : قل ثالثُ

ثلاثة !!

فيقول معروف : بل هو الواحدُ ، فيضربه فيهرب ، ثم إن أبويه أسلما . . . !

* كان مجابَ الدعوة ، وقد أفرد أبو فرج ابن الجوزي مناقبَ معروف في

أربع كراريس . . . !

* وحكي أنه استسقى لهم في يومٍ حارٍ فما رفعوا ثيابهم حتّى مطروا . . . !

* توفي سنة مائتين .

مصادر الترجمة :

* طبقاتُ الصوفية : ٨٣ ، حلية الأولياء : ٨ / ٣٦٠ ، تاريخ بغداد :

١٣ / ١٩٩ ، السير : ٩ / ٣٣٩ .

وقوله : « عَلَمَةُ مَقْتِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ أَنْ تَرَاهُ مُسْتَفْهِلًا بِمَا لَا يَفْنِيهِ » ، ذلك لأن

المشتغل خالف قولَ النبي ﷺ حيث حذّر من الاشتغال بما لا يعني فقال :

«مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ»...

* فيكون لم ينل إسلاماً حسناً، ونقصَ حظُّه في الآخرة، فاشتغاله بما لا يعنيه لا يعود عليه بالنفع في الدنيا!!
وهذا هو حقيقةُ المقتِّ، لأنه لم يُرضِ الشريعةَ، ولم يصل إلى الدنيا؛ ذلك هو الخسران المبين...!

* * *

مَا قَالَهُ الْفُضَيْلُ

أخبرنا:

* شيخنا الحافظ أبو البقاء - رحمه الله - ، أخبرنا أبو محمد ،
أخبرنا القاضي أبو بكر ، أخبرنا الخطيب ، أخبرنا أبو سعيد يعني
محمد بن موسى بن الفضل بن إبراهيم قال :

* سمعت الفضيل بن عياض - رحمه الله تعالى - يقول :
* تَسْأَلُهُ الْجَنَّةَ وَتَأْتِي مَا يَكْرَهُ ، مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَقَلَّ نَظْرًا مِنْكَ
لِنَفْسِكَ .

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

الفضيل بن عياض :

* ابن مسعود بن بشر ، الإمام القدوة الثبت ، شيخ الإسلام أبو علي التيمي
اليربوعي الخراساني ، المجاور بحرم الله تعالى !

* ولد بسمرقند ، ونشأ بأبيوزد ، وارتحل في طلب العلم . . . !

* رَوَى عَنْ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ أَجَلَ شَيْخِهِ ، قَالَ سَفْيَانُ بْنُ عَيْنَةَ : فَضِيلُ ،

ثقة !!

وقال ابن المبارك : فضيل أورع الناس !!

وقال شريك :

* لم يزل لكل قوم حُجَّةً في أهل زمانهم ، وإن فضيلاً حجة لأهل زمانه !!

وقال ابنُ المبارك :

* إِنَّ الفضيل صدق اللّٰهَ ، فأجرى الحكمةَ على لسانه ، فالفضيلُ ممّن نفعه علمه ، ما بقي في الحجاز أحدٌ من الأبدال إلاّ فضيلاً وقوماً سمّاهم . . . !

مصادر الترجمة :

* التاريخ الكبير : ٢/٢٤١ ، طبقات الصوفية للسلمي : ٦/١٤ ، حلية الأولياء : ٨/٨٤ ، السير : ٨/٤٢١ .

وقوله : تسأله الجنة وتأتي ما يكره . . . إلخ .

* حيث أتيتَ بالمتناقضين ، فدل على أن في عقلك نقصاناً ، أو أنك تستهزئ بأوامر اللّٰه وهذا هو البلاء العظيم ، وطامة العذابِ الكبرى . . . !

* من أراد أن يقبل الله دعاءه فليقدم الشفيعَ وهو تقوى اللّٰه وامتنالُ ما أمره . . . !

أهـ من النسخة القديمة

قلتُ : وقد وفقني الله تعالى لذكر توبة هذا الإمام الكبير ، والعالم الشهير في كتابي الصحوة القريبة في ١/٤١٠ .

* وكيف انتقلَ من حال إلى حال ، بسبب سماعه آية من كتاب الله ، فرضي اللّٰهُ عنه ونفعنا به آمين عُذ لكتابي المذكور وسل الله لي ولك القبول .

كتبه محمد

* * *

مَا قَالَهُ سَهْلٌ

أخبرنا:

* أبو البقاء حدثنا أبو محمد حدثنا أبو بكر الخطيب، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن السراج، قال: سمعت أبا بكر أحمد بن السائح قال: سمعت القاسم بن محمد صاحب سهل يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول:

* لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ أَغْلَظُ مِنَ الدَّعْوَى، وَلَا طَرِيقَ إِلَيْهِ أَقْرَبُ مِنَ الْإِفْتِقَارِ.

الشرح والتعليق

أقول: لأن الأولى:

* ناجمة عن الأنانية فيكون مقلداً لإبليس في دعواه وأنانيته حيث قال:
﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾.

والثانية:

* علامة العبودية فتكون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قدوته في ذلك وهم نعم المقتدى: ﴿فِيهِدْهُمْ أَقْدَرَهُ﴾ [الأعراف: ١٢].

* ومُدَحَّ النبي ﷺ في العبودية في أشرف المقامات حيث قيل له:
﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].
* ومن مزايا الافتقار أنه يُمنح المتصف به نسبة إلى ربه:

قال تعالى: ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ [الكهف: ٦٥].

أهـ من النسخة القديمة

حَالُ شُعْبَةَ

ورؤينا بأسانيدَ صحيحةٍ عن أبي يحيى النكراوي قال :
* ما رأيتُ أعبَدَ لله مِنْ شُعْبَةَ حَتَّى جَفَّ جِلْدُهُ عَلَى عَظْمِهِ لَيْسَ
بينهما لحم... !

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

شُعْبَةُ بن الحجاج :
وهو الإمام المشهور، والعَلَمُ المنشور، في المناقب مذكور!
* له التقشف والتعبد!! زينُ المحدثين!!
* أكثر عنايته بتصحيح الآثار، والتبري من تحمل الأوزار!!
* المثبت المحجاج شعبة بن الحجاج!!
* كان للفقر عانقاً، ولضمان الله تعالى واثقاً!!
وقيل : التصوف هو الرضا بالكفاف والتزين بالعفاف...!
وكانَ - رضيَ الله تعالى عنه - ألثَغَ في لسانه، سليماً في جَنانه، قوياً في إيمانه!!
وكانَ - كما ذكر الإمام النووي - قد يبس جلدُهُ على عظمه ليس بينهما لحم!!
وكانَ يصومُ الدهر كله، لا ترى عليه أثر الصيام...!
وكانَ سفيان الثوري يقول : شعبة أمير المؤمنين في الحديث...!
انظر : حلية الأولياء للإمام الأصفهاني في ترجمة هذا المفضل : تر العجب
العُجاب في تاريخ الرجال!

* * *

مَا قَالَهُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ

وبلغنا عن الشافعي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - قَالَ :

خيرُ الدنيا والآخرة في خمسِ خصالٍ :

* ١ - غنى النفس !

* ٢ - وكفُّ الأذى !

* ٣ - وكسبِ الحلالِ !

* ٤ - ولباسِ التقوى !

* ٥ - والثقة بالله عزَّ وجلَّ على كل حال !

وعن الشافعي - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ :

* مَنْ غلبَتْ عليه شدة الشهوة لحبِّ الدنيا ، لزمته العبوديةُ لأهلها .

* وَمَنْ رَضِيَ بالقنوع : زال عنه الخضوعُ .

الشرح والتعليق

القنوع :

* أي هو : عدم السؤال والتذلل ، فإن السائل يقل حياؤه ، فيذهب

خضوعه لله ، لانشغاله عنه بالناس الذين يطلب منهم حوائجه !!

وفي المثل : خيرُ الغنى القنوع ، وشرُّ الفقر الخضوع !!

* ولربما لا يخطرُ له الخضوعُ ، فينتقل من عبودية الله تعالى التي هي

الحرية والشرفُ إلى عبودية البشر ! .

* فيصيرُ مملوكاً لهم، ذليلاً حقيراً.

وَمِنْ دَعَائِهِمْ:

* نَسْأَلُ اللَّهَ الْقَنَاعَةَ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْجَشَاعَةِ . . .

وَقَدْ نُسِبَ لِأَمَانَا السَّافِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ:

* الْعَبْرُ صُرِّا بَ قَنَعَ

وَالْحَرْ عَبَّرَ ا بَ قَنَعَ

* فَاقْنَعْ وَلَا تَقْنَعْ فَمَا

بِشَيْءٍ يَسْتَيْنُ سَوَى الطَّمَعِ

فإنَّ قَنَعَ بكسر النون من الباب الرابع بمعنى رضي ومصدره القناعة . . . !

وقَنَعَ من الباب الثالث مفتوحة عين الفعل في الماضي والمضارع بمعنى

سأل ومصدره الْقُنُوعُ.

فله معنيان من حيث اللغة . . . !

* * *

مِنْ مَوَاعِظِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - :

* مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَفْتَحَ اللَّهُ قَلْبَهُ وَيَرْزُقَهُ الْعِلْمَ فَعَلِيهِ :

* ١ - بِالْخُلُوةِ !

* ٢ - وَقِلَّةِ الْأَكْلِ !

* ٣ - وَتَرْكِ مَخَالَطَةِ السُّفَهَاءِ !

* ٤ - وَبِغَضِّ أَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِينَ لَيْسَ مَعَهُمْ إِنْصَافٌ وَلَا أَدَبٌ .

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - :

أَنْفَعُ الذِّخَائِرِ التَّقْوَى ، وَأَضَرُّهَا الْعَدْوَانُ . . . !

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَرَحِمَهُ :

أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ ثَلَاثَةٌ :

* ١ - ذِكْرُ اللَّهِ !

* ٢ - مَوَاسَاةُ الْإِخْوَانِ !

* ٣ - إِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ !

يَعْنِي هَذِهِ الثَّلَاثَةُ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ . . . !

* * *

خَفَايَا الرِّيَاءِ

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

* لا يعرف الرياءَ إلَّا مخلصٌ ، يعني لا يتمكن في معرفة حقيقته ،
والاطلاع على غوامض خفيّاته إلَّا مَنْ أراد الإخلاص !!

* فإنه يجتهد أزماناً في مطاولة البحث والفكر والتنقيب عنه ،
حتّى يعرفه أو يعرف بعضه ، ولا يحصل هذا لكلِّ أحدٍ وإنما يحصلُ
للخواص ...

* وأما مَنْ يزعم مِنْ آحاد الناس أنه يعرف الرياء ، فهو جهلٌ منه
بحقيقته ... !

* وسأذكر في هذا الكتاب باباً - وإن شاء الله تعالى - ترى فيه من
العجائب ما تقرُّ به عينك وإن شاء الله تعالى ... !

ويكفي في شدة خفائه ما روينا عن الأستاذ الإمام أبي القاسم
القشيري - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - في رسالته بإسناده المتقدم عنه ... !

* قَالَ : سمعت محمدَ بنَ الحسين يقول : سمعت أحمدَ بنَ عليٍّ
ابن جعفر يقول :

سمعت الحسنَ بنَ علوية يقول : قال أبو يزيد - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عنه - :

* كُنْتُ ثِنْتِي عَشْرَةَ سَنَةً حَدَّادَ نَفْسِي ، وخمسن سنين كنتُ مرآةً
قلبي ، وسنةً أنظرُ فيما بينهما !!

* فإذا في وسطي زناراً ظاهر، فعَمِلْتُ في قطعه خمسَ سنين،
أنظر كيف أقطع؟!

* فكشِفَ لي فنظرتُ إلى الخلق فرأيتُهم موتى، فكَبَّرْتُ عليهم
أربعَ تكبيرات...!

* فإذا في وَسْطِي زناراً ظاهر، فعملت في قطعه اثنتي عشرة
سنة، ثم نظرت في باطني زناراً، فعَمِلْتُ في قطعه خمسَ سنين، أنظر
كيف أقطع؟!
قلتُ:

* يكفي في شدة خفاءِ الرياءِ اشتباهُهُ هذا الاشتباه على هذا
السيد الذي عَزَّ نظيرُهُ في هذا الطريق...!
وأما قَوْلُهُ:

* فرأيتُهم موتى فهو في غايةِ مَنْ النفاسة والحُسْنِ، قَلَّ أَنْ يُوجَدَ
في غير كلامِ النبي ﷺ كلامٌ يحصل معناه.
وأنا أشير إلى معناه بعبارة وجيزة:

* فمعناه أنه لَمَّا جاهد هذه المجاهدة، وتهذبت نفسه، واستنار
قلبه، واستولى على نفسه وقهرها، وملكها ملكاً تاماً، وانقادت له
انقياداً خالصاً...!

* نظر إلى جميع المخلوقين فوجدَهم موتى لا حكمَ لهم:
* فلا يضرُّون ولا ينفعون، ولا يُعطون ولا يمنعون، ولا يُحيون

ولا يُميتون، ولا يَصِلُون ولا يَقْطَعُونَ، ولا يَقْرَبُونَ ولا يُنْعِدُونَ،
ولا يُسْعِدُونَ ولا يُشْقُونَ، ولا يَرْزُقُونَ ولا يَحْرِمُونَ!!

* ولا يَمْلِكُونَ لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً، ولا يَمْلِكُونَ موتاً ولا
حياةً ولا نُشوراً...!

* وهذه صفةُ الأمواتِ أن يُعَامِلُوا معاملةَ الموتى في هذه الأمور
المذكورة!

* وَأَنْ لَا يُخَافُوا وَلَا يُرْجَوْا، وَلَا يُطْمَعُ فِيمَا عِنْدَهُمْ،
وَلَا يِرْءَاوَا، وَلَا يُدَاهِنُوا، وَلَا يُشْتَغَلُ بِهِمْ، وَلَا يُحْتَقَرُوا، وَلَا يُتَّقَصَّوْا!!
* وَلَا تُذَكَّرُ عِيوبُهُمْ، وَلَا تُتَّبَعُ عَثَرَاتُهُمْ، وَلَا يُنْقَبُ عَنْ زَلَّاتِهِمْ،
وَلَا يُحْسَدُوا، وَلَا يُسْتَكْثَرُ فِيهِمْ مَا أَعْطَاهُم اللهُ تَعَالَى مِنْ نِعَمِهِ،
وَيُرْحَمُوا وَيُعْذَرُوا فيما يأتونه من النقائص!!

* مع أَنَّا نُقِيمُ الحدودَ عليهم ما جاء الشرعُ به من الحدود...!

* وَلَا يَسْعَا — أَيْضاً — مَا قَدَمْنَاهُ مِنْ إِقَامَةِ الحدودِ إِنَّا نَحْرُصُ
عَلَى سِتْرِ عَوْرَاتِهِمْ مِنْ غَيْرِ تَنْقِصٍ لَهُمْ، كَمَا يُفْعَلُ ذَلِكَ بِالْمَيِّتِ!!
* وَإِذَا ذَكَرَهُمْ ذَاكِرٌ بِشَيْنٍ نَهَيْنَاهُ عَنِ الْخَوْضِ فِي ذَلِكَ كَمَا نَهَاهُ
عَنِ ذَلِكَ فِي الْمَيِّتِ!

* وَلَا نَفْعَلُ شَيْئاً لَهُمْ أَوْ نَتْرُكُهُ لَهُمْ، وَلَا نَمْتَنِعُ مِنَ الْقِيَامِ بِشَيْءٍ
مِنْ طَاعَاتِ اللهِ بِسَبَبِهِمْ، كَمَا لَا نَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ بِسَبَبِ الْمَيِّتِ!!

* فَلَا نَكْتَرُ بِمَدْحِهِمْ وَلَا نَحْبَهُ، كَمَا لَا نَكْرَهُ سُبُّهُمْ إِيَّانَا
وَلَا نَقَابِلُهُ!!

فالحاصل :

* أنهم كالعدم في جميع ما ذكرناه، فهم مدبرون تجري فيهم أحكام الله تعالى:

* فمن عاملهم هذه المعاملة جمع خير الآخرة والدنيا!

* نسأل الله الكريم التوفيق لذلك.

* فهذه الأحرف كافية في الإشارة إلى شرح كلامه - رضي الله تعالى عنه - .

والله أعلم

الشرح والتعليق

قوله : مطاولة البحث... إلخ :

المطاولة في الأمر: بمعنى التطويل فيه، وطولت الحديد: مددتها، وطولت للدابة: أرخيت لها حبلها لترعى!...

اهـ مختار

والمراد هنا: الصبر مع التدقيق والبحث.

وأبو يزيد البسطامي:

* سلطان العارفين، طيفور بن عيسى بن شروسان، أحد الزهاد، وقدوة

الزاهدين...!

مـ أقواله:

* لو نظرتم إلى من أعطي من الكرامات حتى يطير، فلا تغتروا به حتى

تروا كيف هو عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود والشرع...!

يُحكى عنه في الشطح أشياء.

* وكان يرجع إلى أحوالِ سَنِيَّةٍ، وله كلامٌ حسن في المعاملات. توفي سنة إحدى وستين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة.

مصادر الترجمة :

* طبقات الصوفية للسلمي : ٦٧ ، حلية الأولياء ، طبقات الأولياء : ٢٤٥ ،

السير : ٨٦/١٣ .

ويريد بما قاله — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَفَعْنَا بِهِ — ، أن يُبينَ ما كانت عليه البشرية ، مما جُبِلَتْ عليه بخبث الطوية من الميل إلى الحظوظ والشهوات ، ودنيِّ المقاصد في النيات :

* وانشغاله بمقتضى الأمرِ إلى الكمال ، ليتعرضَ لنفحات الإفضال . . . !

* فشرع في تقويم الجوارح بالتعلم ، فتعدلت على حسب ما أفاده التفهم !!

* فالتفتَ إلى الخواطر القلبية ، فوجد فيها دسائسَ شيطانية ، وذلك بالالتفات في بعض الأغراض إلى الخلق !

* فعَبَّرَ عن ذلك بالزنار في الطريق الأحق ، فتخلص من ذلك بمساعدات

ربانية ، ومجاهدات دينية وقلبية !

* فظهرَ له حسنُ أقواله وأفعاله ، حيث نسي إنعامَ اللَّهِ بِإِفضاله ، فسماه

بالزنار الباطن ، فهو لخفاء خيانتته فيه ، فجد واجتهد في إعدامه .

أهـ من شرح الرسالة باختصار لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري

والمراد بالزنار الظاهر :

* الركونُ لغير الله والاعتمادُ على ما سواه . . . !

* والمراد بالزنار الباطن : الاستحسانُ للأحوال والأعمال . والله أعلم .

* * *

وَصِيَّةُ السَّرِيِّ السَّقَطِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

وَرَوَيْنَا بِإِسْنَادِنَا إِلَى الْقَشِيرِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - قَالَ :
* سَمِعْتُ الشَّيْخَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيَّ إِمَامَ الصُّوفِيَّةِ فِي زَمَانِهِ
وَبَعْدَهُ .

قَالَ :

- * سَمِعْتُ الْعَبَّاسَ الْبَغْدَادِيَّ يَقُولُ :
- * سَمِعْتُ جَعْفَرًا يَقُولُ :
- * سَمِعْتُ الْجَنِيدَ يَقُولُ :
- * سَمِعْتُ السَّرِيَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - يَقُولُ :
- * يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ ! جُذُّوا قَبْلَ أَنْ تَبْلُغُوا مَبْلَغِي ، فَتَضَعُفُوا
وَتُقْصُرُوا كَمَا قَصُرْتُ !!
- * قَالَ : وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ لَا تَلْحَقُهُ الشَّبَابُ إِلَى الْعِبَادَةِ . . .

السَّرِيُّ وَالنَّعْلِيُّ

السَّرِيُّ السَّقَطِيُّ :
هُوَ السَّرِيُّ بْنُ الْمَغْلَسِ أَبُو الْحَسَنِ الْبَغْدَادِي ، الْإِمَامُ الْقُدْوَةُ شَيْخُ
الْإِسْلَام . . .

* ولد في حدود الستين ومائة، وحدث عن الفضيل بن عياض، وهشيم بن بشير، واشتغل بالعبادة، وصحب معروفاً الكرخي، وهو أجل أصحابه.

قال أبو عبد الرحمن السلمي:

* كان السري أول من أظهر ببغداد لسان التوحيد، وتكلم في علوم الحقائق، وهو إمام البغداديين في الإشارات...

* حكي عنه قال: صليتُ وردي ليلة ومددتُ رجلي في المحراب!!

* فنوديتُ: يا سري، كذا تجالس الملوك؟

فضممتها وقلت: وعزتك لا مددتُها.

توفي سنة ٢٥٣هـ. وتوفي - رحمه الله تعالى - عن ٩٠ سنة.

مصادر الترجمة:

* طبقات الصوفية: ٤٨، حلية الأولياء: ١٠/١١٦، تاريخ بغداد:

٩/١٨٧، صفوة الصفوة: ٢/٢٠٩، السير: ١٢/١٨٥. عاش ٩٣ سنة.

وقوله: جدّوا:

الجدُّ: الاجتهاد في الأمر: تقول منه: جدَّ يَجِدُّ وَيَجْدُ...!

والأمر:

يحكي المضارع يعني يجوز كسر الجيم وضمها.

* * *

أَبْنُ أَبِي مَرْثَدٍ

وقال أحمدُ بنُ أبي الحواري في كتاب الزهد حدثنا سويد قال :
رأيتُ ابنَ أبي مَرثَدٍ في السوق ، وفي يده عَرَقٌ ورغيفٌ وهو يأكل وكان
طَلِبَ للقضاء ففعل ذلك حتَّى تَخَلَّصَ .
قلتُ :

* العَرَقُ بفتح العين وإسكان الراء هو : العظمُ عليه قليلٌ لحمٍ .
ومما يُشبهه هذا ما رواه الإمام البيهقي بإسناده عن الإمام الشافعي
_ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى _ قال :

* دخل سفيانُ الثوري _ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ _ على أمير
المؤمنين فجعل يتجانن عليهم ، ويمسح البساط ويقول : ما أحسنه ! بكم
أخذتم هذا؟ قال : البول البول .
* حتَّى أخرج يُريد أنه احتال ليتباعده عنه وَيَسْلَمَ مِنْ أمرهم .

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

أقول :

* قد يضيق ذرعاً من لا فقهَ له ، من إحجام هذا الإمام العظيم عن توليته
القضاء لجهله العميق في أحوال هؤلاء السادة البهاليل ، الذين أعرضوا عن الدنيا
إعراضاً كاملاً لا ترددَ فيه ، وداسوها تحت أقدامهم ، وزهدوا في مناصبها الفتانة
التي مَنْ تقلدها فقد ذُبِحَ بغير سكين !

* فهؤلاء هم أدرى بنفوسهم ، وأشدُّهم وقوفاً على دفائنهم ودخائلها !!

فدرءُ المفاسدِ عندهم مُقَدَّمٌ على جلبِ المصالحِ . . . !

* ولو كان عملُ ابنِ أبي مرثدٍ فيه انتقاد، لتناوله المؤلفُ وبيَّن وجهَ الخطأ فيه، ولكن ذكره في معرض المدح والثناء: رحم الله الجميع، ومنحنا حسنَ التوفيق.

* فكثيرٌ من الأئمةِ الأعلامِ سُجِنُوا وأُهِنُوا وعذبوا على تناولِ هذا المنصبِ فأبوا إباءً لا هوادةَ فيه!!

* ومنهم الإمامُ الأعظمُ أبو حنيفةُ النعمان، سُجِنَ ومات في السجن ولم يتولَّ القضاء، فأين نحن من هؤلاء؟

* فاللَّهَ أسألُ أنْ يمنحنا فهماً صحيحاً، وإنصافاً فسيحاً، ونظراً ثاقباً في أمثال هذه القصص الطريفة التي أصبحت غريبةً حتى عند كثير من العلماء فضلاً عن غيرهم. اهـ.

وانظر ترجمةَ سفيان في ص ١٧٩ من هذا الكتاب. وانظر ترجمةَ الإمامِ أبي حنيفة وتخلصه من القضاء كيف كان في كتاب الحب الخالد.

* * *

مَا قَالَهُ الْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

قال الشافعي - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - :

* مات ابنُ للحسين بنِ عليٍّ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - فلم يُرَ عَلَيْهِ كَابَةٌ... !

فعوتب في ذلك فقال :

* إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ نَسَأُلُ اللَّهَ تَعَالَى فَيُعْطِينَا ، فَإِذَا أَرَادَ مَا تَكْرَهُ فِيمَا يُحِبُّ رَضِينَا . اهـ .

* * *

طَاعَةُ الْمُؤَدِّبِ

وقال أحمدُ بنُ أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول :

* ما نَحَبْتُ مَنْ نَحَبْتُ إِلَّا بِطَاعَتِهِمْ لِمُؤَدِّبِهِمْ ، وَأَنْتَ تَعْصِينِي ! قَدْ أَمَرْتُكَ أَنْ تَفْتَحَ أَصَابِعَكَ... !
وفي الترمذي : ضمها^(١) .

* * *

(١) وهو الأظهر لأن من السنة الضم لا الفتح ، فحرره . والخطاب لأحد طلابه .

فِي التَّغْرِيبَةِ

وعن سعيد بن جبير — رضي الله تعالى عنه — :

أنه نظر إلى ابنه فقال :

* إني لأعلم خَلَّةً^(١) فيك !

* قال : وما هي ؟

* قال : تموتُ .

* فاحتسبه^(٢) . . . !

* * *

* وعن أبي الحسن المدائني قال قيل لأعرابية : ما أحسن عزاك

على ابنك ؟

* فقالت : إِنَّ فَقْدَ أَبِيهِ أَنْسَى الْمَصَائِبَ بَعْدَهُ . . . !

* * *

صُورَةٌ فِي التَّغْرِيبَةِ

وقال موسى بن المهدي لإبراهيم بن مسلم وعزاه بابنه فقال :

سرورك : وهو بليَّةٌ وفتنةٌ ، وحرزك : وهو صلواتٌ ورحمة . . . !

(١) الخَلَّةُ بالفتح : الخَصْلَةُ ، والخُلَّةُ بالضم : الخليل ، وتخلل بعد الأكل بالخلال .

اهـ مختار

(٢) لعله : فاحتسبك ، فحرره .

* قَالَ : وكتب رجل إلى بعض إخوانه يعزيه بابنه :

أما بعد :

* فَإِنَّ الْوَلَدَ عَلَى وَالِدِهِ مَا عَاشَ حُزْنٌ وَفَتْنَةٌ ، وَإِذَا قَدَّمَ فَصْلَةً
وَرَحْمَةً . . . !

* فَلَا تَجْزَعْ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْ حُزْنِهِ وَفَتْنَتِهِ ، وَلَا تَضِيعْ مَا عَوَّضَكَ
اللَّهُ تَعَالَى مِنْ صَلَاتِهِ وَرَحْمَتِهِ . . . !

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

الْحُزْنُ وَالْحَزَنُ : ضد السرور ، وقد حَزِنَ مِنْ بَابِ طَرَبٍ ، وَالْحُزْنُ : مَا غَلِظَ
مِنَ الْأَرْضِ . . . !

اهـ مختار

أرسل الإمام الشافعي - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ يَعْزِيهِ فِي
ابْنِ لَهُ قَدْ مَاتَ بِقَوْلِهِ :

* إِنِّي مُعْزِّيكَ لَا أُفِي عَلَى نَقَةٍ
مِنْهُ الْخُلُودُ وَلَكِنْ سَنَةُ الدَّيْنِ

* فَمَا الْمُعْزَى بِبَايَةٍ بَعْدَ مَيِّتَةٍ
وَلَا الْمُعْزَى وَلَوْ عَاثَا إِلَى هَيِّئِ

المُعْزَى الْأَوَّلُ : بفتح الزاي ، والثاني : بكسرها . . .

* وقد علق على كتاب «فتح العلام» عند قول المصنف «تمة» في
التعزية : ٢١٣/٣ الطبعة الثالثة ما يتعلق في التعزية من فضل وأجر وثمرة بشكل
مفصل . . .

* * *

أَشْرُ الدَّنَبِ

وقال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول:

* أقمْتُ عشرين سنةً لم أحتلم، فأحدثُ بمكةَ حدثاً فما أصبحتُ حتَّى احتلمتُ!!

فقلتُ: وأيُّ شيءٍ كان الحدثُ؟

قال: تركتُ صلاةَ العشاءِ الآخرةَ في المسجدِ الحرامِ في جماعةٍ.

الشَّرْحُ وَالنَّعْيُ

أقول:

* هذا من قبيل: حسناتُ الأبرارِ سيئاتُ المقربين، فنحن الآن أصبحنا في زمان قد أدبر خيرُهُ، وأقبل شره...!

* فنرضى من أبنائنا أن يحملوا في قلوبهم فرضيةَ الصلاةِ أولاً وقبل كل شيء!!

* وثانياً: المحافظةُ عليها في أوقاتها!!

* وثالثاً: أداؤها جماعةً وهي أفضلُ مراحلِ الأداء، منشراحين الصدر، محتسبين عند الله الأجر...!

* * *

الْحَنُّ فِي الْعَمَلِ

ورؤينا عن الإمام مالك - رضي الله تعالى عنه - :

* تَلْقَى الرَّجُلَ وَمَا يَلْحَنُ حَرْفًا، وَعَمَلُهُ لَحْنٌ كُلُّهُ.

* ورؤينا عن الإمام أبي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن

العباس بن محمد بن صَوْلِ المصولي، بضم الصاد المهملة وإسكان الواو.

وقال بعض الزهاد:

* أَغْرَبْنَا فِي كَلَامِنَا فَمَا نَلْحَنُ، وَلَحْنًا فِي أَعْمَالِنَا فَمَا نُغْرِبُ!

قال الشاعر:

* لَمْ نُؤْتَ مِنْ جَهْلٍ وَلَكِنَّا

نَسْتُرُ وَجْهَ الْعِلْمِ بِالْجَهْلِ

* نَكْرَهُ أَنْ نَلْحَنَ فِي قَوْلِنَا

وَمَا نُبَالِي اللَّحْنَ فِي الْفِعْلِ

* * *

الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ

* وأخبرنا الشيخُ أبو محمدٍ إسماعيلُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، إبراهيمُ ابنُ أَبِي البشرِ شاكِرُ:

* أخبرنا أبو طاهرٍ بركاتُ بنُ إبراهيمَ بنِ طاهرٍ الخشوعي، أخبرنا أبو محمدٍ هبةُ الله بنُ أحمدَ بنِ محمدٍ الأَكْفَاني!

* حدثنا أبو بكرُ أحمدُ بنُ علي بنِ ثابتٍ البغدادي الحافظ!

* أخبرنا عبيدُ الله بنُ عمرٍ الواعظ، حدثني أَبِي، حدثنا محمدُ بْنُ نصرٍ بنِ علي الجهمي!

حدثني محمدُ بْنُ خالدٍ، حدثنا عليُّ بْنُ نصرٍ قال:

رَأَيْتُ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - فِي النُّومِ.

فَقُلْتُ فِي مَنْامِي: لَا أَرَى أَحَدًا أَعْقَلَ مِنَ الْخَلِيلِ فَقُلْتُ:

* مَا صَنَعَ اللهُ بِكَ؟

قَالَ:

* رَأَيْتُ مَا كُنَّا فِيهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنْ سُبْحَانَ اللهِ،

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ...

وَفِي رِوَايَةٍ:

* قَالَ عَلِيُّ بْنُ نصرٍ: رَأَيْتُ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ فِي الْمَنَامِ فَقُلْتُ لَهُ:

مَا فَعَلَ رَبُّكَ بِكَ؟

* قَالَ: غُفِرَ لِي...!

* قُلْتُ: بِمِ نَجَوْتُ؟

* قَالَ: بِلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ...!

* قُلْتُ: كَيْفَ وَجَدْتَ عِلْمَكَ أَعْنِي الْعُرُوضَ، وَالْأَدَبَ،

وَالشَّعْرَ؟

* قَالَ: وَجَدْتُهُ هَبَاءً مَنثورًا...

* وَبِهَذَا الْإِسْنَادَ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ ثَابِتٍ، قَالَ: أَنْشَدَنَا

أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُظْفَرِ، أَنْشَدَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ النُّجَارِ،
أَنْشَدَنَا هَلَالُ بْنُ الْعَلَاءِ لِنَفْسِهِ:

سَيِّئَى لِسَانٍ كَانَ يُقَرِّبُ لَفْظُهُ

فِيآلَيْنِهِ فِي وَقْفَةِ الْعَرْضِ يَسْلَمُ

وَمَا يَنْفَعُ الْإِعْرَابُ إِنْ لَمْ يَكُنْ تَقْنَى

وَمَا ضَرَّ ذَا النُّقُورِ لِسَانٌ مُعْجَمُ

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

الْحَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيِّ:

* هُوَ الْإِمَامُ، صَاحِبُ الْعَرِيَّةِ، وَمُنْشِئُ عِلْمِ الْعُرُوضِ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ

الْبَصْرِيِّ، أَحَدُ الْأَعْلَامِ الْمُحَدِّثِينَ وَاللُّغَوِيِّينَ!

* وَلَدَ سَنَةَ مِائَةٍ، حَدَّثَ عَنْ أَيُّوبَ السَّخْتْيَانِيِّ، وَعَاصِمِ الْأَحْوَلِ!

أَخَذَ عَنْهُ سَيَّبُوه النَّحْوِ، وَكَذَلِكَ الْأَصْمَعِيُّ وَآخَرُونَ!

* كَانَ رَأْسًا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، دَيِّنًا، وَرِعًا، قَانِعًا، مُتَوَاضِعًا، كَبِيرَ الشَّأْنِ!

يَقَالُ: إنه دعا الله أن يرزقه علماً لا يُسْبَقُ إليه، ففُتِحَ له بالعروض، وله معجم «العين»!

* وثقه ابنُ حَبَّان، وكان متقشفاً متعبداً، مفرطَ الذكاء مات سنة سبعين ومائة.

مصادر الترجمة:

* التاريخ الكبير: ٣/١٩٩، طبقات النحويين للزبيدي ص ٤٧، معجم الأدباء: ١١/٧٢، سير أعلام النبلاء: ٧/٤٢٩.

هذا، ورؤي الجنيدُ في المنام ف قيل له:

ما فعل اللّهُ بك؟ قال:

* ١ — طاحت تلك الإشارات!

* ٢ — وذهبت تلك العبارات!

* ٣ — واندرست تلك العلوم!

* ٤ — وما نفعتني إلّا ركيعاتُ كنتُ أَرْكَعُها في جوف الليل!! والناسُ

نيامٌ.

* * *

کراماتِ الأولیاءِ
ومواہبِہم

كرامات الأولياء ومواهبهم

قال الله تعالى :

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ مِنْ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس : ٦٢ - ٦٤].

* اعلم أن مذهب أهل الحق، إثبات كرامات الأولياء، وأنها واقعة موجودة مستمرة في الأعصار...!

* ويدل عليه دلائل العقول، وصرائح النقول...!

أما دلائل العقل :

* فهي أمرٌ يمكن حدوثه، ولا يؤدي وقوعه إلى رفع أصل من أصول الدين، فيجب وصف الله تعالى بالقدرة عليه، وما كان مقدوراً كان جائز الوقوع...!

وأما النقول :

* فآيات في القرآن العظيم، وأحاديث مستفيضة!!

الشرح والتعليق

حبر الكرامة :

* هي ظهور أمر خارق للعادة على يد الولي، غير مُقارن لدعوى النبوة...! وهي عون على طاعته، ومقوية ليقينه، وحاملة له على حسن استقامته، ودالة على صدق دعواه الولاية، إن ادّعاها لحاجة، وشهدت له بها الشريعة...!

* ثم ظهور الكرامات على الأولياء جائزٌ، لأن خرق العادة من جملة الممكن!

وقدرة الحق تعالى متعلقة بسائر الممكنات، تعلقاً صلوحياً قديماً، وتنجزياً حادثاً. فتأمل...!

وأما قوله: غير مقارنٍ لدعوى النبوة!!

فهذا يحصل الفرق بين المعجزة والكرامة، فانتبه!!

وأما قوله: هي عون على طاعته... إلخ...!

الغرض منه:

* بيان حكمة إيجاد الكرامة للولي، فهي عونٌ بالنسبة لحال المبتدئين والمتوسطين...!

وقوله:

* ودالة على صدق دعواه الولاية بالنسبة للواصلين من المرشدين أي الكاملين...!

اهـ شرح الرسالة ١٤٧/٤ ببعض تصرف

* * *

قِصَّةُ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ

فَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ مَرْيَمَ :

﴿ وَهَزَيْتَنِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ فَسَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِينًا ۝٢٥﴾ [مريم: ٢٥].

قال الإمام أبو المعالي - رحمه الله تعالى - إمام الحرمين :

* ولم تكن مريم نبيّة بإجماع العلماء . . . !

وكذا قاله غيره ؛ بل كانت وليّة، صديقة، كما أخبرنا الله تعالى عنها !!

وقوله تعالى :

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنُورِمُ أَتَى لِلرَّبِّ هَذَا

قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۝﴾ [آل عمران: ٣٧].

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

قِصَّةُ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ :

هي مريم بنت عمران !!

* كان أبوها من عظماء بني إسرائيل !!

وكانت زوجته عاقراً، طلبت من الله بضراعة صادقة أن يهبها ولداً، ونذرته

لبيت المقدس، يكون من السّدنة أي : الخدمة !!

أجاب الله دعاءها، فحملت بمریم، فلما وضعتها قالت :

﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي

أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝٣٦﴾ [آل عمران: ٣٦].

* وهي لا تصلح، فتقبلها الله بأن تكون بدل الذكر...!

فكان الكافل لها بعد التنافس في كفالتها، وإجراء القرعة زكريا!!

* فكان كلما دخل معبدها وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة

الشتاء في الصيف...!

فهذه الخارقة الأولى يسألها من أين لك هذا؟ تقول:

هُوَ مِنْهُ عِنْدَ اللَّهِ...!!

* كبرت مريم وبُشِّرَتْ بغيّلام من غير والد اسمه المسيح عيسى فهو

كلمة الله...!

تعجبت مريم من هذا الأمر، وهي العابدة البتول، وخافت طعن اليهود

وقذفها!!

* فلما آن أوان الوضع، اعتمدت إلى جذع نخلة يابسة لتستعين بها على

الوضع...!

* فأحاطت بها عناية الله تعالى، فطمأنها جبريل بأن الله تعالى قد تكفل

رزقها!

وما عليها إلا أن تهزّ جذع النخلة فيسقط عليها رطبٌ جنّي، فتأكل رزقاً

حلالاً، وتشرب من جدول ماء يجري قريباً منها!

* فكلي من الرطب، واشربي من العين، وقرّي عيناً، فكانت الكرامة

الخارقة، تساقط الرطب من تلك الشجرة اليابسة...!

* انظر كتابنا: قصص التنزيل، فقد أوضحنا هذه القصة بشكل مفصل

وواضح، وسهل! والحمد لله.

* * *

قصة صاحب سليمان عليه السلام

ومن ذلك قصة صاحب سليمان عليه السلام حيث قال:

﴿أَنَا أَيْنَاكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠].

قال العلماء: ولم يكن نبياً.

الشَّرْحُ وَالنَّعْيُ

قصة عرش بلقيس:

* لما علم سيدنا سليمان عليه السلام، بمقدم ملكة سبأ، بعدما دعاها إليه مؤمنة مستسلمة له!

* فأراد أن يُريها بعض الأمور الخارقة للعادة، مما خصه الله به من معجزات ليكون ذلك دليلاً على نبوته... لا افتخاراً وعلواً، لأنه منزّه عن ذلك ومعصوم عن مثل هذه الصفات الدنيئة!!

* التفت سليمان لمن حوله من الجان قائلاً لهم:

أيكم يأتيني بعرش بلقيس قبل أن تصل إليّ؟

فقال عفريت:

* ﴿أَنَا أَيْنَاكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ هذا في مدة لا تتجاوز نصف النهار،

وكان يجلس للحكم والقضاء من الصباح إلى الظهر...!

* أراد أن يكون الزمن أقرب...!

فكان في مجلسه رجلٌ من أهل الولاية والصلاح، اسمه آصف بن

برخيا...!

قال:

﴿أَنَا أَيْنَكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ ...!

وإذا بعش بلقيس المحصن بالحرس، المحوط بالأسوار، أمام سليمان عليه السلام، انتقل من بلاد اليمن إلى بيت المقدس بلمحة البصر...!
فهذه كرامة لذلك الرجل الصالح، ومعجزة لسيدنا سليمان... كذلك تعرضنا لهذه القصة العجيبة في كتابنا قصص التنزيل فقد أوضحناها إيضاحاً كاملاً والحمد لله.

* * *

قِصَّةُ أُمِّ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

ومن ذلك ما استدل به إمام الحرمين وغيره، من قصة أم موسى .

الشَّرْحُ وَالنَّعْلِقُ

قِصَّةُ أُمِّ مُوسَى :

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص : ٧] .

أَقُول :

* لما استفحل القتلُ في أطفال بني إسرائيل ، وكثر الذبحُ ، على إثر رؤيا قد رآها الطاغية فرعونُ بأنه سيولد مولودٌ من بني إسرائيل ، يكون سبباً في القضاء على ملكه !!

وقد بلغ العدد على قولٍ ٩٠,٠٠٠ ألف مولود . . . !

* فخشي آلُ فرعونَ من موت كبارهم ، وذبح صغارهم ، بأن لا يبقى مَنْ يقوم بقضاء مصالحهم الجسام . . . !

* فأصدر الطاغيةُ فرعونُ العفوَّ عن الذبحِ عاماً ، وتنفيذه عاماً . . . !

* فعامُ العفوِّ وُلِدَ هَارُونَ !

* وعام الذبح ولد موسى !

وكان لفرعونَ عيونٌ وقوابلُ ، يَجُبْنَ البلادَ ، ويطفنَ على النساء !!

* فمن رأيتها قد حملت سجلوا اسمها !!

* فَإِنْ حَانَ حِينُ الْوَضْعِ ، وَأَخَذَهَا الْمَخَاضُ !! جَاءَ الذَّبَّاحُونَ بِأَيْدِيهِمُ الشِّفَارِ الْحَادَةَ ، فَنفذُوا جَرِيمَةَ الذَّبْحِ ، وَخَرَجُوا بِلَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ . . . تنفيذاً للأوامر العرفية التي توارثها مَنْ بعدهم مِنَ الْحُكَّامِ . . . المنحرفين عن الإسلام .

فلما حملت أُمُّ مُوسَى بِمُوسَى :

* فَأَكْرَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِكَرَامَةِ غَرِيبَةٍ !

حَيْثُ إِنَّ مَخَايِلَ الْحَمْلِ لَمْ يَظْهَرِ أَمَامَهَا ، وَأَعْمَى اللَّهُ أَبْصَارَ الْقَوَائِلِ عَنْهَا ، إِلَّا قَابِلَةً كَانَتْ مَصَافِيَةً لَأُمِّ مُوسَى ، وَمَخْلُصَةً لَهَا !!

* فلما ضربها الطلقُ وأخذها المخاضُ ، أُرْسِلَتْ إِلَيْهَا قَائِلَةٌ فَلَيَنْفَعْنِي حُبُّكَ إِيَّاي !!

* فلما وقع مُوسَى بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَإِذَا بِنُورٍ عَظِيمٍ لَمْ يَرَ الرَّأُؤُونَ مِثْلَهُ مَعَ الْحُبِّ الْعَمِيقِ ، وَالتَّعَلُّقِ الشَّدِيدِ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ . . . !

هنا كرامتان ... ؟

* وَهُوَ مُصَدِّقُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ كَرَامَةً لِأُمِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ! وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُمَكِّنُ إِخْفَاؤَهُ .

* فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهَا وَحْيَ الْإِلْهَامِ بِأَنْ تَصْنَعَ لَهَا صَنْدُوقًا وَتَقْدِفَهُ فِي النَّيْلِ ، وَوَعْدَهَا بِرَدِّهِ . . . !

فهذه الكرامة الثالثة ... ؟

* وَهَكَذَا الْأَمْوَاجُ أَخَذَتْ الصَّنَدُوقَ حَتَّى وَقَعَ بِأَيْدِي آلِ فِرْعَوْنَ ، فَقُدِّمَ قَبْلَ فَتْحِهِ لَامْرَأَةِ فِرْعَوْنَ !!

* فلما فتحتهُ ، فَكَانَ الْقَمَرُ يَحْكِي جَمَالَهِ ، فَوَقَعَ حُبُّهُ فِي قَلْبِهَا !

وهذه الكرامة الرابعة ... ؟

* فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ فَلَمْ يَقْبَلْ ثَدِيًّا إِلَّا ثَدِيَّ أُمِّهِ !

فهذه الكرامة الخامسة ... ؟

* وتربى في حجر فرعونَ وبيته، وأحيط بعناية لا مثيلَ لها...!
وهذه كرامة...!

* وهكذا كانت الكراماتُ تترادفُ على أم موسى، وعنايةُ اللَّهِ ترعى
الموقفَ الرهيبَ حتى صدقتُ رؤيا الطاغية فرعونَ وكان حتفه على يديه عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

عُدْ لكتابنا قصص التنزيل ترَ العجبَ العُجاب في هذه القصة العظيمة.

* * *

قِصَّةُ ذِي الْقَرْنَيْنِ

ومن ذلك ما استدل به أبو القاسم القشيري من قصة ذي القرنين .

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

قِصَّةُ ذِي الْقَرْنَيْنِ :

* لقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز قصة ذي القرنين في سورة الكهف :
وأثنى عليه بالعدل ، وأنه بلغ المشارق والمغارب ، وملك الأقاليم ، وقهر
أهلها ، وسار فيهم بالعدالة التامة ، والسلطان المؤيد ، والحكم المظفر المنصور ،
والنفوذ القاهر المقسط ، مع ما أوتي من الخوارق للعادة الدالة على صلاحه
وتقواه... !

والصحيح : أنه كان ملكاً من الملوك العادلين الصالحين... !

واختلف العلماء في السبب الذي سُمي به ذا القرنين .

* وقيل : لأنه كان له في رأسه شبه القرنين... !

* وقيل : لأنه ملك فارس والروم... !

* وقيل : لأنه بلغ قرني الشمس غرباً وشرقاً إلى غير ذلك من الأقوال... !

واسمه على الصحيح : عبد الله بن الضحَّاك ، وقيل : غير ذلك... !

والله أعلم .

رفع اليهود سؤالاً يمتحنون به النبي ﷺ ويختبرونه ، سألوه عن ذي
القرنين... وهذا صواب قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ يَا مُحَمَّد!! لهؤلاء ﴾ سَأَلْتُمُو عَلَىكُمْ مِنْهُ

ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ [الكهف: ٨٣] أي: من خبره وشأنه أي: خبراً نافعاً كافياً في تعريف أمره، وشرح حاله...!

فَقَالَ: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا﴾... .

* أي وسّعنا مملكته في البلاد، وأعطيناه من آلات المملكة ما يستعين به على تحصيل ما يحاوله من المهمات العظيمة، والمقاصد الجميلة، والأعمال الجسيمة!!

* سَخَّرَ اللَّهُ لَهُ السَّحَابَ حَتَّىٰ بَلَغَ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ، وَمُدَّتْ لَهُ الْأَسْبَابُ، وَبَسَطَ لَهُ فِي النُّورِ!

* وَمَدَّ لَهُ فِي الْأَجَلِ، وَنَصَرَهُ حَتَّىٰ قَهَرَ الْبِلَادَ، وَفَتَحَ لَهُ الْمَدَائِنَ.
اهـ من البداية والنهاية مختصراً

* * *

أَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ فِي الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

واستدلَّ القشيريُّ وغيره بقصة الخضر مع موسى عليه السلام .
قالوا: ولم يكن نبيًّا؛ بل كان وليًّا، وهذا خلاف المختار والذي
عليه الأكثرون أنه كان نبيًّا . . . !
* وقيل: كان نبيًّا رسولًا!
* وقيل: كان وليًّا!
* وقيل: ملكًا!
وقد أوضحت الخلاف فيه وشرحه في تهذيب الأسماء واللغات
وفي شرح المذهب .

الشرح والتعليق

قصة الخضر:

ونص عبارة التهذيب:
واختلفوا في حياة الخضر ونبوته:
فقال الأكثرون من العلماء:
هو حي موجود، بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية، وأهل
الصلاح والمعرفة . . . !
* وحكاياتهم في رؤيته، والاجتماع به، والأخذ عنه وسؤاله وجوابه
ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير، أكثر من أن تحصر وأشهر من أن
تذكر . . . !

قال الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح في فتاويه :

هو حي عند جماهير العلماء ، والصالحين ، والعامّة معهم في ذلك . . . !

قَالَ : وإنما شدَّ بإنكاره بعضُ المحدثين قَالَ : وهو نبي .

واختلفوا في كونه مرسلًا ، وكذا قاله بهذه الحروف غير الشيخ من

المتقدمين .

* وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْقَشِيرِي فِي رِسَالَتِهِ فِي الْأَوْلِيَاءِ :

لم يكن الخضر نبيًّا وإنما كان وليًّا !

وَقَالَ أَقْضَى الْقَضَاءِ الْمَاورِدِي فِي تَفْسِيرِهِ :

قِيلَ : هو ولي . . . !

وقيل : هو نبي . . . !

وقيل : إنه من الملائكة ، وهذا الثالث غريب ضعيف أو باطل . . . !

وفي آخر صحيح مسلم في أحاديث الدجال أنه يقتل رجلاً ثم يحيا !!

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَفْيَانَ صَاحِبُ مُسْلِمَ :

يَقَالُ : إن ذلك الرجل هو الخضر وكذا قال معمر في مسنده : إنه يقال له

الخضر .

وذكر أبو إسحاق الثعالبي المفسر :

اختلافًا في أن الخضر كان في زمن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَام أم بعده

بقليل أم بعده بكثير ؟

قَالَ وَالْخَضْرُ عَلَى جَمِيعِ الْأَقْوَالِ نَبِيٌّ مَعْمَرٌ مُحْجُوبٌ عَنِ الْأَبْصَارِ . . . !

قَالَ : وقيل إنه لا يموت إلّا في آخر الزمان عند رفع القرآن . اهـ .

* وقد ألف الحافظ ابن حجر في هذا رسالةً وسماها الزهر النضر في نبأ الخضر.

قال صاحب أسنى المطالب في ص ٢٩٢ :

حياة الخضر عليه السلام : اختلفَ فيها العلماء ، وأثبتها الصالحون والأولياء ، رضوان الله عليهم ، ولم يرد في حياته شيء يُعتمد عليه .
والخضر عليه السلام :

* نبي على المشهور عند العلماء ، وإن لم يكن نبياً فهو تابع لنبي !!

فيجب عليه نصرته نبينا ﷺ واتباعه لو كان حياً . . . !

* ولم يرد ما يدل على حياته في زمنه عليه الصلاة والسلام !

ولو ورد لما خفي علينا ؛ لأنه من الأمور الغريبة !!

* ولو فرضت حياته في عصر الصحابة لمات ؛ لأنه في صحيح البخاري في كتاب العلم أن ابن عمر قال :

صلى بنا النبي ﷺ العشاء في آخر حياته ، فلما سلم قام فقال :

* «أرايتكم كليلتكم هذه ، فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد» .

وأما ما ورد أنه اجتمع بالنبي ﷺ فخير باطل . . . !

* وأما اجتماعه بالأولياء - رضي الله عنهم - فيحمل على روحه ، وأنها تتشكل بصورته ، فالأرواح لها تصرف بعد الموت كالحياة !!

ويدل لهذا أن من يراه من الناس يراه هو وحده لا غيره !

* ولو كان جسماً لراه كل حي مر به ؛ لأنه آدمي ، لا ملك ولا جني !!

* فرويته ، ورؤية النبي ﷺ جهاراً لبعض الأولياء رؤية نورانية . . . !

وهي :

* رؤية المثال لا في عالم الشهود، لأنه لو كان في عالم شهود الشخص،
كان من جملة الخيال والهدس، أو حديث النفس...!

* ولأولياء أحوال، لا يقدرّون أن يعبروا عنها... لأنها أمورٌ
معنوية...!

* فكيف يُعبرُ عنها غيرُهم ولا نظن بهم إلاّ الخير — رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ —
أجمعين.

اه باختصار وهو كلام نفيس.

كتبه محمد ببعض تصرف

* * *

قِصَّةُ أَهْلِ الْكَهْفِ

ومن ذلك قصة أهل الكهف وما اشتملت عليه من خوارق العادات .

قال إمام الحرمين وغيره : ولم يكونوا أنبياء بالإجماع .

الشرح والتعليق

قِصَّةُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ :

أصحابُ الكهفِ، مِنْ أبناءِ الأكابر والملوك، كانوا يعبدون الأصنامَ مع قومهم !

* اتفقَ اجتماعُهم في عيد لقومهم فرأوا ما يتعاطاه قومُهم من السجود للأصنام شرح اللُّهُ صدورَهم للحق، وألهمهم الصواب !

وكانوا على شريعة سيدنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان ملكهم وثنيًا !!

علم بهم فهددهم بالقتل أو بالرجوع إلى دينه !!

* أجمعوا أمرهم بينهم أن يفروا بدينهم إلى ذلك الكهف من الجبل !!

حملوا زادهم، وفارقوا أوطانهم، مهاجرينَ إلى الله من أرضِ الكفرِ إلى مكانٍ مظلم، وكهفٍ ضيق !!

* فهو أطيبُ مكاناً من الأرضِ الواسعة، ساروا وسار في إثرهم كلبٌ، تعلَّقَ بهم وأحبهم، فلم يروا بأساً من صحبته لهم . . . !

* دخلوا الكهفَ، وجدوا هناك امرأةً عجيباً، وجدوا ثماراً فأكلوا، وماءً بارداً فشربوا، ثم اضطجعوا قليلاً من إثر التعب . . . !

* وإذا بهم قد أغفوا وناموا ملء جفونهم نوماً عميقاً، وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد يحرسهم!!

* وهكذا ظهرت آياتُ اللّهِ تعالى، فتعاقبت الأيامُ والسنون، والفتية راقدون، مضروبٌ على آذانهم!

* ولو اطلع مطلعٌ عليهم لرآهم يتقلبون مرةً ذاتَ اليمين، وأخرى ذاتَ الشمال...!

حتى دخلتُ سنةً تسع وثلاثمائة منذ نومهم:

انتبهوا بعدَ هذه المدة الطويلة ظانين أن الزمن لم يمض بهم...!

* ١ — قال أحدهم: إني أتخيل ساعاتٍ طويلة قد مرت بنا...!

* ٢ — وقال ثانيهم: لبثنا يوماً كاملاً...!

* ٣ — وقال الثالث: لبثنا بعضَ يوم...!

* ٤ — وقال الرابع: الله أعلم بما لبثتم...!

* فبعثوا واحداً منهم ليشتري طعاماً، فظهر بالعملة التي عرضها أنهم قد مر عليهم تسعٌ وثلاثمائة سنة...!

* فالذي أنام هؤلاء الفتية هذا الزمن الطويل من غير طعام ولا شراب، ثم أيقظهم، قادرٌ على إحياء الموتى، وجمعِ الأشلاء المتفرقة، والأعضاء الممزقة...!

* وهي كرامة لأولئك الفتية من أبرز الكرامات، وخارقة من أجلّ الخارقات، وقد أوضحنا أمرهم في كتابنا قصص التنزيل، فعد إن شئت إليه.

* * *

وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ : فَكَثِيرَةٌ :

قِصَّةُ الْمِصْبَاحَيْنِ حَدِيثُ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

* منها حديث أنس أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ فِي لَيْلَةٍ مَظْلَمَةٍ وَمَعَهُمَا مِثْلُ الْمِصْبَاحَيْنِ يُضِيئَانِ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا . . . !

* فلما افترقا، صار مع كل واحد منهما واحدٌ حَتَّى أَتَى أَهْلَهُ !!
أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ وَفِي عِلَامَاتِ
النُّبُوَّةِ !

هذان الرجلان :

- * ١ - عُبَادُ بْنُ الْبَشْرِ . . . !
- * ٢ - وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ ، بَضَمَ أَوَّلَهُمَا وَفَتَحَ ثَانِيَهُمَا . . . !
وحضير بضم الحاء المهملة وبالضاد المعجمة .

* * *

أَصْحَابُ الْغَارِ

* ومنها حديثُ أصحابِ الغارِ الثلاثةِ الذين أووا إلى الغارِ فأطبقتْ صخرةٌ عليهم بابه...!

* فدعا كلُّ واحدٍ منهم بدعوةٍ فانفرجت عنهم الصخرةُ.
وهو مخرَّجٌ في صحيحي البخاري ومسلم.

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

قصة أصحاب الغار:

أقول مفصلاً عن قصتهم... وحالهم العجيب:

* انطلق ثلاثة رَهْطٍ ممن كان قبلكم، فأواهم المبيتُ إلى غارٍ فدخلوه،
فانحدرت عليهم صخرةٌ من الجبل فسدت عليهم الغار... فعابوا الموت ويأسوا
من الحياة يأساً كاملاً!!

فَقَالُوا:

* إنه - والله - لا يُنجيكم من هذه الصخرةِ إلا أن تدعوا اللهَ بصالحِ
أعمالكم فإنَّ لذلك أثراً ظاهراً في النجاة:

١ - فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ:

* إنه كان لي أبوانِ شيخانِ كبيرانِ، وكنتُ لا أغْبُقُ - أي لا أسقي -
قبلهما أهلاً ولا ولداً...!

* فنأى بي طلبُ الشجرِ يوماً فلم أرح عليهما، أي فلم أصل إليهما حتَّى
ناما، فحلبتُ لهما غبوقهما، أي مشروبهما، فجتتهما به فوجدتهما نائمين!!

* فتخرجتُ أي: تجنبتُ الإثمَ مِنْ أَنْ أوقظَهُما، وكرهتُ أَنْ أغيقَ قبلَهُما
أهلاً ولا مالاً!!

* فقمْتُ والقُدْحُ على يدي أنتظرُ استيقاظَهُما، حتَّى برقَ الفجرُ فاستيقظا
فشربا غبوقَهُما...!

* اللّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فعلْتُ ذلكَ ابتغاءَ وجهِكَ فأفرجْ عنا ما نحن فيه!!
فانفرجتْ انفراجاً لا يستطيعون الخروجَ منه...!

٢ - وَقَالَ الْآخِرُ:

* اللّهُمَّ كانت لي بنتٌ عم، وكانت أحبَّ الناسِ إليَّ، فراودتها عن نفسها
فامتنعت حتَّى أَلَمْتُ بها سنةً مُجْدِبَةً من السنين!

* فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أَنْ تخليَ بيني وبينَ نفسها
ففعلت حتَّى إذا قدرتُ عليها!!

* قالت لي: لا يحل لك أَنْ تَفُضَّ الخاتمَ إلَّا بحقه، فانصرفتُ عنها وهي
أحبُّ الناسِ إليَّ، وتركتُ الذهبَ...!

* اللّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فعلْتُ ذلكَ ابتغاءَ وجهِكَ فأفرجْ عنا ما نحن فيه،
فانفرجتُ الصخرةُ إلَّا أَنهم لا يستطيعون الخروجَ...!

٣ - قَالَ الثَّالِثُ:

* اللّهُمَّ إني استأجرتُ أجراً فأعطيتُهُم أجورَهُم غيرَ واحدٍ منهم تركَ الذي
له وذهب!!

* فثَمَرْتُ أجرَهُ حتَّى كثر فجاءني بعدَ حينٍ فقال:

يا عبدَ الله أدِّ إليَّ أجري!! فَقُلْتُ لَهُ:

* كُلُّ ما ترى من أَجْرَتِكَ من الإبلِ والبقرِ والغنمِ والرقيقِ فقال:

يا عبدَ الله لا تَسْتَهْزِئْ بي!!

فقلتُ:

إني لا أستهزئُ بك، فأخذَ ذلك كلَّهُ فاستاقه، ولم يترك منه شيئاً...!

* اللهمَّ إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافرجْ عنا ما نحن فيه!!.

فانفرجت الصخرة فخرجوا من الغار يمشون...!

* والكرامةُ في ذلك استجابةُ دعائهم، وتوسلُهم بأعمالهم. وهذا مصداق

الحديث:

* تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة...!

* * *

قِصَّةُ جَرِيحٍ

* ومنها حديثُ أبي هريرةَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - في قصة جريح أنه قال للصبي الرضيع: مَنْ أبوك؟ قال: فلانُ الراعي...! وهو مخرَجٌ في الصحيح.

الشَّرْحُ وَالنَّعْيُ

قِصَّةُ جَرِيحٍ:

أقول: كان جريحٌ رجلاً عابداً في بني إسرائيل، وكانت له أمٌّ موجودة!! فكان يوماً يُصلي، إذ اشتاقت إليه أمه فجاءته فقالت له:

* يا جريح!!

فقال: يا رب! الصلاةُ خيرٌ أم آتيها؟ أي أجيبها!

فترجع عنده الصلاةُ عن اجتهادٍ وحسنِ نيةٍ، وفضلها على الإقبال على أمه.

* فدعته ثانياً فقال مثلَ ذلك ثم صَلَّى!!

ودعته ثالثاً فقال مثلَ ذلك...!

فاشتد ذلك على أمه وشقَّ عليها...!

* فقالت: اللَّهُمَّ لا تُمته حتى تُريه وجوهَ المومسات، أي الزانيات...!

وكانت امرأةً بغياً في بني إسرائيل! فقالت لهم يوماً:

* أنا أفتنُ جريجاً حتى يزني...!

فأنته فلم تقدر عليه!!

* وكان هناك راعٍ يأوي بالليل إلى صومعته .

فلما أعيأها جريج !! راودت الراعي عن نفسها فأتاها فولدت منه . . . !

* ثم إنها قالت لبني إسرائيل : ولدي من جريج الراهب . . . !

فأتاه بنو إسرائيل وكسروا صومعته وشتموه !

* فقام إلى صلاته ودعا الله تعالى فنخس الغلام بيده وقال له :

يا غلام !! من أبوك ؟

فنطق الغلام وقال :

* الراعي . . . !

فندموا على ما كان منهم ، واعتذروا إليه ، وأقبلوا عليه يقبلونه ويتمسحون

به وقالوا له :

* نبني صومعتك من ذهب أو من فضة . . . ؟

فأبى عليهم وبنها كما كانت .

اهـ . باختصار .

* * *

قِصَّةُ عُمَرُ

* ومنها حديثُ أبي هريرةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

* «لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحَدِّثُونَ، فإن يكن في أمتي أحدٌ فإنه عمرٌ».

وفي رواية:

* قد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل يُكَلِّمون من غير أن يكونوا أنبياء...!

رواه البخاري في صحيحه.

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

قِصَّةُ عُمَرُ الْعَظِيمَةِ :

أقول :

ومنه ما روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - :

* أنه قال على المنبر بالمدينة المنورة وهو يخطب الجمعة، لسارية، وكان بنهاوند يُقاتل العدو، وأراد العدو أن يكيدَه ويسبقَه إلى الجبل :

* يَا سَارِيَّةُ الْجَبَلُ ؟ أَيِ اصْعَدِهِ وَالزَّمَهُ !

فقطع عمر خطبته، كما تقطع الإذاعة حديثها لأمر ما !!

* كشف الله لأمر المؤمنين حالَ سارية مع العدو، فقال له ذلك في خطبة الجمعة، فسمعه سارية والناسُ معه فتحصنوا بالجبل.

فلعمر في ذلك كرامتان :

* ١ - ما كُشف له عن سارية وأصحابه وحال العدو... !

* ٢ - وبلوغ صوته إلى سارية في بلاد بعيدة... !

* فكان الظفر لسارية - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - والكرامة لعمر - رضي الله تعالى عنه - .

قِصَّةُ أُمِّ أَيْمَنَ

أُقول :

* ومنه ما روي عن أم أيمن - رضي الله عنها - :

أنها خرجت مهاجرةً إلى الله ورسوله وهي صائمةٌ، ليس معها زادٌ ولا حمولةٌ [وهي الأحمال التي يوضع عليها الزاد من الإبل وغيرها] ولا سقاء، في شدة حرِّ تهامة!!

* وقد كادت تموتُ من الجوع والعطش، حتَّى إذا كان الحينُ الذي يُفطر فيه الصائم!!

سمعتُ حفيفاً على رأسها، فرفعتُ رأسها، فإذا بدلو معلقٍ برشاء أبيضَ

قالت :

فأخذته بيدي فشربتُ منه حتَّى رويت، فما عطشت بعدُ.

اهـ من الحاشية على الرسالة القشيرية ١٥٢ / ٤

* * *

قِصَّةُ خُبَيْبٍ

* ومنها الحديثُ المشهور في صحيح البخاري وغيره في قصة خُبَيْبِ الْأَنْصَارِيِّ بضم الخاء المعجمة - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - صاحبِ رسول الله ﷺ . . . !

* وقولُ بنتِ الحارث - والله - ما رأيتُ أسيراً قطُّ خيراً من خُبَيْبٍ - والله - لقد وجدته يوماً يأكلُ من قِطْفِ عِنَبٍ في يده، وأنه لموثقٌ في الحديد، وما بمكةَ من ثمر . . . !
وكانت تقول: إنه لرزقُ الله خبيباً . . . !

* * *

* والأحاديثُ، والآثارُ، وأقوال السلف والخلف في هذا الباب أكثر من أن تحصر، فيُكْتَفَى بما أشرنا إليه . . . !
وسترى في هذا البابِ جُملاً من ذلك وباقي الكتابِ ما شاء الله تعالى .

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

تَنْبِيْهٌ :

* قد دلّت هذه الأخبارُ المنقولةُ عن الثقاتِ العدولِ أئمةِ الدين، وساداتِ المسلمين !

* على وقوعِ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ لِلْأَوْلِيَاءِ، وليسوا بأنبياء، وإنه قد جرى كثيرٌ من الخوارق على أيدي الأنبياء والرسُل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

* كإحياء الموتى، والمشي على الماء، وعلى الهواء، وطي الأرض،
والإتيان بالطعام من حيث لا يُحْتَسَبُ!!

* وجعل البركة في الدراهم التي يُصرفُ منها، ولا تنقصُ منها شيءٌ،
واستجابة الدعاء وغير ذلك مما تضمنته الأخبار فكيف تنكر؟ وقد بلغت عددَ
التواتر...!

وقد روى عبدُ الله بنُ أحمدَ بن حنبلٍ عن أبيه أنه قال:
* لا يُنكر كراماتِ الأولياءِ إلَّا جهمي، واللَّه أعلم . اهـ.

* * *

الرد على المعتزلة

قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين :

* الذي صار إليه أهل الحق :

جواز انخراق العادة في حق الأولياء !!

* وأطبقت المعتزلة على إنكار ذلك . . . !

* ثم من أهل الحق من صار إلى أن الكرامة الخارقة للعادة ،

شرطها أن تجري من غير إيثار واختيار من الولي . . . !

* وصار هؤلاء إلى أن الكرامة تُفارق المعجزة من هذا

الوجه . . . !

قال الإمام : وهذا القول غير صحيح !!

* وصار آخرون منهم إلى تجويز وقوع الكرامة على حكم

الاختيار ولكنهم منعوا وقوعها على مقتضى الدعوى فقالوا :

* إذا ادعى الولي الولاية ، واعتضد في إثبات دعواه بما يخرق

العادة فكان ذلك ممتنعاً !!

* وهؤلاء فرقوا بين الكرامة ، والمعجزة بهذا ، قال :

* وهذه الطريقة غير مرضية أيضاً قال :

ولا يمتنع عندنا ظهور خوارق العوائد مع الدعوى المفروضة !!

قَالَ:

* وصار بعضُ أصحابنا إلى أن ما وقع معجزةً لنبي لا يجوز تقديرُ وقوعه كرامةً لولي:

* فيمتنع عند هؤلاء أن ينفلق البحرُ، وتنقلب العصا ثعباناً، ويحيي الموتى إلى غير ذلك من آيات الأنبياء كرامةً لولي!!
قال الإمام: وهذه الطريقة غيرُ سديدةٍ أيضاً!!

قَالَ:

* والمرضيُّ عندنا، جوازُ خوارقِ العاداتِ في معارض الكرامات.

وَقَالَ:

* غرضنا من إبطال هذه المذاهبِ والطرقِ، إثباتُ الصحيحِ عندنا!

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

الْمُعْتَرِكةُ:

* هم فرقةٌ من القَدَرِيَّةِ زعموا أنهم اعتزلوا فِرْقَتِي الضلالةِ عندهم أي: أهلِ السُنَّةِ والجماعة، والخوارج...!

سمَّاهم به سيّد التابعين الحسنُ بنُ يسار البصري، لما اعتزله واصلُ بنُ عطاء وأصحابه كعمرو بن عبيد وغيره!!

* من أقوالهم أنهم قالوا:

١ — بخلق القرآن...! وأنه ليس بقديم!

٢ — وجعلوا منزلةً بين المنزلتين: الكفر والإيمان...!

٣ - وأن صاحبَ الكبيرة لا مؤمن مطلقاً، ولا هو كافر مطلق؛ بل هو بين المنزلتين، وأصولُ مذهبهم خمسة:

* وقد انقسموا إلى فرق كثيرة، وصاروا إلى الخلفاء العباسيين حتى ساد مذهبهم مائتي عام إلى أن جاء المتوكل فأبطل معتقدَهم والحمد لله... !
المصادر: القاموس المحيط (عزل)، وتاج العروس: ١٥/٨.

* * *

المُعْجِزَةُ وَالْكَرَامَةُ

قَالَ:

* وأما الفرق بين المعجزة والكرامة، فلا يفترقان في جواز العقل إلا بوقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة، ووقوع الكرامة دون ادعاء النبوة.

قَالَ الْإِمَامُ:

* وقد جرى من الآيات في مولد رسول الله ﷺ ما لا يُنكره متمم إلى الإسلام، وذلك قبل النبوة والانبعاث...!
والمعجزة لا تسبق دعوى النبوة فكان كرامة.

قَالَ:

فإن زعم متعسف أن الآيات التي استدللنا بها كانت معجزات لنبي كل عصر فذلك اقتحام منه للجهالات!

* فإننا إذا بحثنا عن الأعصار الخالية لم نجد الآيات التي تمسكنا بها مقترنة بدعوى نبوة، ولا وقعت عن تحدي متحد...!
فأرِ قَالُوا: وقعت للأنبياء دون عوامهم، قلنا:

* شرط المعجزة الدعوى؛ فإذا فُقدت كانت خارقة للعادة كرامة للأنبياء، ونجعل ذلك غرضنا إلى إثبات الكرامات...!
ولم يكن وقت مولد نبينا محمد ﷺ نبي تستند آياته.

قال الإمام:

* فقد وضحت الكرامات جوازاً ووقوعاً سمعاً وعقلاً.

الشرح والتعليق

وأقول:

* إن الخوارق التي تظهر للنبي قبل النبوة يقال لَهَا:

إرهاصات...

أي: هي كمقدمات وتمهيدات لأمر النبوة ودعوى الرسالة، وفي الوقت نفسه كرامة له.

اهـ محمد

* * *

الفرق بين السحر والكرامة

قال الإمام وغيره:

* في الفرق بين السحر والكرامة، أن السحر لا يظهر إلا على فاسق...!

قال:

* وليس ذلك من مقتضيات العقل؛ ولكنه ملقى من إجماع الأمة^(١).

قال الإمام:

* ثم الكرامة وإن كانت لا تظهر على فاسقٍ معلنٍ بفسقه، فلا تشهد بالولاية على القطع؛ إذ لو شهدت بها لأمن صواحِبُها العواقب؛ وذلك لم يجز لولي في كرامة باتفاق...!
هذا آخر كلام إمام الحرمين...

الشرح والتعليق

أقول:

* ومن المحققين مَنْ فرّق بين السحر والمعجزة:

باقتران المعجزة بالتحدي...

بخلافه!!

* فإنه لا يمكن ظهوره على يد مدعي النبوة كاذباً، كما جرت به عادة الله تعالى المستمرة!!

* صوناً لهذا المنصب الجليل، عن أن يتسور حِماه الكذابون.

وقد شاع أن العمل به كفر حتى قال العلامة التفتازاني:

* لا يروى خلاف ذلك، وعدّه نوعاً من الكبائر...!

واختلف العلماء في تعليمه وتعلمه على أقوال...!

* والقائلون بالمنع محمولٌ على التعليم للإغواء والإضلال، وإليه مال الإمام الرازي قائلاً:

* اتفقَ المحققون على أن العلمَ بالسحر ليس بقبیح، ولا محظور، لأن العلم لذاته شريفٌ لعموم قوله تعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

* ولو لم يُعلم السحرُ لما أمكن الفرقُ بينه وبين المعجزة...!

والعلم بكون المعجز معجزاً:

واجب... وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب...!

اهـ من روح المعاني للإمام الألوسي ١/ ٣٣٩ باختصار

وقال الإمام ابن حجر في فتاويه ص ٣٠٤:

مَطْلَبٌ: فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْكِرَامَةِ وَالسَّحْرِ !!

وأما الفرق بين الكرامة والسحر:

* فهو أن الخارق غيرُ المقتَرَن بتحدّي النبوة...!

* فإن ظهرَ على يد صالحٍ - وهو القائمُ بحقوق الله تعالى، وحقوق خلقه - فهو الكرامة...!

* أو على يد من ليس كذلك، فهو السحر، أو الاستدراج...!

قال إمام الحرمين:

* ليس ذلك مقتضى العقل ولكنه ملقى من إجماع العلماء انتهى!!

وتمييزُ الصالح المذكور من غيره، بين لا خفاء فيه؛ إذ ليست السیما كالسیما، ولا كالآداب!!

* وغيرُ الصالح لو لبس ما عسى أن يلبس، لا بد أن يرشح من نتن فعله، أو قوله ما يميزه عن الصالح.

اهـ. وهو كلام نفيس - رحمه الله تعالى - وجزاه عن المسلمين خيراً.

كتبه محمد

* * *

إثباتُ الكرامةِ

قال الإمام الأستاذ أبو القاسم القشيري — رحمه الله تعالى — فيما روّيناه في رسالته :

ظهورُ الكراماتِ :

* علامةُ صدقٍ مَنْ ظهرت عليه في أحواله ، فمن لم يكن صادقاً فظهورٌ مثلها عليه لا يجوز!!
قال :

* ولا بدّ أن تكون الكرامةُ فعلاً ناقضاً للعادة في أيام التكليف ظاهراً على موصوفٍ بالولاية في معنى تصديقه في حاله .

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

قوله : علامة صدق من ظهرت عليه ... إلخ :

أي فهي كالمعجزة من حيث هي دالةٌ على صدق مدّعي النبوة أيضاً :
* فهي بمنزلة قوله سبحانه :

«صدقَ عبدي فيما يبلغ عني» .

* فكذلك الكرامةُ على يد الرجل الصالح ، فإنها تدل على صدقه في

حاله ... !

وأما قوله : فظهورٌ مثلها عليه لا يجوز :

* أي لا يجوز على أنه من نوع الكرامة ؛ بل يكون من نوع الإهانة

أو الاستدراج !

وَأَمَّا قَوْلُهُ: فَعَلًا نَاقِضًا لِلْعَادَةِ:

* أَي: خَارِقًا لِلْعَادَةِ...

وَأَمَّا قَوْلُهُ: فِي أَيَّامِ التَّكْلِيفِ:

* أَي: لَا فِي أَيَّامِ الْآخِرَةِ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ دَارَ تَكْلِيفٍ...

وَهَلِ الْبَرْزُخُ مَدَّتُهُ مِنْ حُكْمِ الدُّنْيَا، أَوْ مِنْ حُكْمِ الْآخِرَةِ؟

فِيهِ خِلَافٌ...

وَأَمَّا قَوْلُهُ: عَلَى مَوْصُوفٍ بِالْوِلَايَةِ:

* أَي مَشْتَهَرٌ بِالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ عَلَى نَهْجِ الْمَتَابَعَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

أَهْدَى مِنْ شَرْحِ الرِّسَالَةِ. كَتَبَهُ مُحَمَّدٌ

* تَمَسَّكَ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ وَعَضَّ عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ^(١)!

* * *

(١) النَّاجِذُ: آخِرُ الْأَضْرَاسِ، وَلِلْإِنْسَانِ أَرْبَعَةٌ نَوَاجِذٌ فِي أَقْصَى الْأَسْنَانِ، وَيُسَمَّى ضَرْسُ الْحِلْمِ، لِأَنَّهُ يَنْبِتُ بَعْدَ الْبُلُوغِ وَكَمَالِ الْعَقْلِ...

الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُعْجَزَةِ وَالْكَرَامَةِ

قَالَ (١): وتكلم أهل الحق في الفرق بين الكرامة والمعجزة.
فكان الإمام أبو إسحاق الأسفراييني - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَقُولُ:
* المعجزات: دلالاتُ صدقِ الأنبياء، ودليلُ النبوة لا يوجد مع
غير النبي.

وَكَانَ يَقُولُ:
* الأولياءُ لهم كراماتٌ، منها شبهُ إجابةِ سُنةِ الدعاءِ، فأما جنس
ما هو للأنبياء فلا...!

وقال الإمام أبو بكر بن فورك - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :
* المعجزاتُ: دلالاتُ الصدقِ، فإن ادَّعى صاحبُها النبوةَ دلَّتْ
على صدقه...

* وإن أشار صاحبُها إلى الولاية دلَّتْ على صدقه في حالته...
* فتسمى كرامةً، ولا تسمى معجزةً وإن (٢) كانت من جنس
المعجزات للفرق...!

وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَقُولُ:
* الفرقُ بينَ المعجزاتِ والكراماتِ، أن الأنبياءَ عليهم الصِّدَّةُ

(١) أي الإمام أبو القاسم القشيري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

(٢) إن: هذه غائية أو تعليلية وليست بشرطية فانتبه!

وَالسَّلَامُ مَأْمُورُونَ بِإِظْهَارِهَا، وَالْوَلِيُّ يَجِبُ عَلَيْهِ سِتْرُهَا وَإِخْفَاؤُهَا^(١).

والنبي:

* يدعي النبوة ويقطع القول به...!

والولي:

* لا يدعيها ولا يقطع بكرامته لجواز أن يكون ذلك مكرأ^(٢).

وقال أَوْحَدُ وقته في فنه القاضي أبو بكر الأشعري الباقلاني
— ضي الله تعالى عنه — :

* المعجزات: تختص بالأنبياء...!

* والكرامات: تكون للأولياء كما تكون للأنبياء...!

ولا تكون للأولياء معجزة، لأن من شرط المعجزة اقتران دعوى
النبوة بها...!

* والمعجزة لم تكن معجزة لعينها؛ وإنما كانت معجزة لحصولها
على أوصاف كثيرة!

* فمتى اختل شرط من تلك الشرائط لا تكون معجزة، وأحد
تلك الشرائط دعوى النبوة...!

(١) إلا حاجة ملحة، أو مناسبة مفيدة: كإنكار جاحد، أو ترسيخ عقيدة وتقوية إيمان؛

فلا بأس من إظهارها للضرورة، والضرورة تقدر بقدرها فافهم...!

(٢) واستدراجاً، أي باعتبار نفس الأمر، لسابق عدم العناية، فيكون الخارق حينئذ من

قبيل المكر بالإنسان، وإن كان ظاهر الحال، الخير والصلاح!

* فالعبرة بما في نفس الأمر...!

والولي : لا يدعي النبوة ، فالذي يظهر عليه لا يكون معجزة^(١) .

قال القشيري :

وهذا الذي قاله ، هو الذي نعتمده ونقول به ؛ بل ندين الله به . . . !

* فشرائط المعجزات كلها أو أكثرها توجد في الكرامة ، إلا هذا الشرط الواحد وهو دعوى النبوة ، فلا تكون المعجزة كرامة . . . !

فالكرامة :

* كالمعجزة فعلٌ من الله لا محالة ، فهي حادثة لا قديمة ، وهو

ناقضٌ للعادة . . . !

* وتحصل في زمن التكليف^(٢) على عبدٍ تخصيصاً له وتفضيلاً .

* وقد تحصل اختيارية ودعائية ، وقد لا تحصل !

* وقد تكون بغير اختياره في غالب الأوقات !

(١) وَالْحَاصِل :

أن النبي ﷺ لا بدَّ من علمه بأنه نبي ، ومن قصده إظهار الخوارق ، ومن قطعه بأنها معجزات . . . بخلاف الولي . . . !

(٢) أي في مدة الحياة الدنيوية ، لا في غيرها من أزمنة الآخرة . . . !

وليس المراد أنه لا تحصل من غير مكلف . . . !

فقد صرح الإمام الشافعي :

* بأنها تحصل من الصبي غير المميز ، ويدل لذلك ممن تكلم في المهد ! !

* وهل زمن البرزخ من أزمنة الآخرة ، فلا تحصل فيه الكرامة أيضاً أو فتحصل ؟

* والذي يظهر لي - والله أعلم - أن الكرامة تحصل في زمن البرزخ على معنى

أن الله تعالى يخلق الكرامة لإكرام من أراد من الموتى حيث هو الفعَّال الخلاق !

كتبه محمد

وهو تصريح جيد ، وتفصيل علمي مفيد . . . !

* ولم يُؤمر الوليُّ بدعاء الخلقِ إلى نفسه، ولو أظهر شيئاً من ذلك عمن يكون أهلاً له لجاز...!

واختلف أهل الحق في الوليِّ هل يجوزُ أن يعلمَ أنه وليٌّ أم لا؟

* فكان الإمامُ أبو بكر بنُ فورك - رحمه الله - يقول:

لا يجوز ذلك؛ لأنه يسلبه الخوفَ ويوجب له الأمن...!

* وكان الأستاذ أبو علي الدقاق - رحمه الله - يقول:

بجوازه، وهو الذي نؤثره ونقول به.

* وليس ذلك بواجب في جميع الأولياء، حتّى يكون لكل وليٍّ

يعلم أنه وليٌّ واجباً؛ ولكن يجوز أن يعلم بعضهم كما يجوز أن لا يعلم بعضهم^(١)!

* فإذا علم بعضهم أنه وليٌّ كانت معرفتُهُ تلك كرامةً له انفرد بها!

* وليس كُلُّ كرامةٍ لوليٍّ يجبُ أن تكونَ تلك بعينها لجميع

الأولياء؛ بل إذا لم يكن للوليِّ كرامةٌ ظاهرةٌ عليه في الدنيا، لم يقدَحْ عَدَمُها في كونه وليّاً^(٢).

(١) وهو الصحيح، ولا نسلم أن ذلك يَسْلُبُ الخوفَ، ويوجب الأمن...!

* فالعشرة الذين بشرهم النبي ﷺ بالجنة، علموا ببشارته أنهم أولياء الله، وكانوا مع ذلك خائفين مع كمال إيمانهم وفضلهم، واجتهادهم في الدين.

اهد من شرح الرسالة

كتبه محمد

وهو حكم مفيد تمسك به واحفظه

(٢) بل قد يكون أفضل ممن ظهرت عليه كرامات؛ لأن الأفضلية إنما هي بزيادة اليقين

لا بظهور الكرامة، ويدل لذلك الخبر:

* بخلاف الأنبياء^(١) فإنه يجب أن تكون لهم معجزات، لأن النبي مبعوث إلى الخلق فالناس بحاجة إلى معرفة صدقه ولا يعرف إلا بمعجزة.

وحال الولي :

* بعكس ذلك، لأنه ليس بواجب على الخلق، ولا على الولي أيضاً العلم بأنه ولي...!

* والعشرة من الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - صدقوا الرسول ﷺ فيما أخبرهم به أنهم من أهل الجنة!!

وأما قول من قال :

* لا يجوز ذلك، لأنها تخرجهم من الخوف فلا بأس أن لا يخافوا تغيير العاقبة.

والذين يجدونه في قلوبهم من الهيبة والتعظيم والإجلال للحق

= * ما فضلكم أبو بكر بصلاة ولا بصوم؛ بل بشيء وقر في صدره...

قال الإمام الجنيد :

* وقد مشى رجال باليقين على الماء، ومات بالعطش أفضل منهم يقيناً!!

اهـ كتبه محمد

وهي استدلالات جيدة جداً فانتبه إليها

(١) الذي يظهر أنه أراد بالأنبياء الرسل أصحاب الشرائع، لأن هؤلاء هم الذين يحتاج الناس لتصديقهم إلى معجزة كي يعملوا بشريعتهم، وإلا فإن النبي إنسان أوحى إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه!!

* فما دام غير مأمور بالتبليغ يقتضي أن لا تكون المعجزة واجبة في حقه.

* اللهم إلا أن يقصد من النبي الرسول، أو ماشياً على القول بترادفها.

اهـ من النسخة القديمة

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، يزيد ويربو على كثير من الخوف . . .

قال الأستاذ القشيري :

* واعلم أنه ليس للوليّ مساكنةٌ إلى الكرامة التي تظهر عليه ، ولا له ملاحظة ، وربما يكون لهم في ظهور جنسها ، قوّةٌ يقين ، وزيادة بصيرة ؛ لتحقيقهم أن ذلك فعلُ الله تعالى ، فيستدلون بها من صحة ما هم عليه من العقائد ، والله أعلم .

الشرح والتعليق

قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري - رحمه الله تعالى - ما مُحَصَّلُهُ :
أن نوع المعجزة لا يصح أن يكون كرامة . . . !
أقول :

* ومن باب المعجزات ما رواه الترمذي يرفعه إلى ابن عباس - رضي الله
تعالى عنهما - قال :

جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال :

* بم أعرف أنك نبي؟؟

قال : «إن دعوتُ هذا العذق من هذه النخلة ، فشهد أني رسولُ الله» . . .

فدعاه رسولُ الله ﷺ ، فجعل ينزل من النخلة حتّى سقط إلى النبي ﷺ . . . !

وقال : ارجع فعاد . . . !

* فأسلم الأعرابي . . . !

وهذا مما يجري مجرى المعجزة ، لأنها خاصٌّ بالأعرابي المذكور !

* وليس عاماً حتّى يكون من حقيقة المعجزة ، إذ هي ما قارنَ دعوى النبوة

العامّة .

ومن المعجزات :

ما روي عن أنس - رضي الله عنه - قال :

- * رأيت رسول الله ﷺ وحاث صلاة: ... والتمس الناس الوضوء، فلم يجدوا فأتى رسول الله ﷺ بوضوء فوضع رسول الله ﷺ يده في ذلك الإناء!
- * وأمر الناس أن يتوضؤوا منه، فنبع الماء من تحت أصابعه، فتوضأ الناس، حتى توضؤوا من عند آخرهم ...
- والمعجزات الثابتة عنه ﷺ وزاده شرفاً كثيرة جداً ... !

وقال ابن حجر في فتاويه :

اختلفوا في السحر: هل تنقلب به الأعيان والطبائع؟!

* فقال قوم: نعم! كجعل الإنسان حماراً.

* وقال قوم: لا فالساحرُ والصالح، لا يقلبان عيناً مطلقاً ... !

قَالُوا :

* وإلا لاشتبهت المعجزة بالكرامة، والكرامة بالسحر، ويرده ما مرَّ من

امتياز المعجزة باقترانها بالتحدي!!

* وأما زعمهم :

أَنَّ أَكْثَرَ آيَاتِهِ ﷺ، وَأَعْمَهَا، وَأَغْلَبَهَا كَانَ بِلاَ تَحْد :

* كنطق الحصى والجذع، ونبع الماء .

ولعله لم يتحد بغير القرآن، وتمني الموت!!

* فقد كَذَّبَ اللَّهُ تعالى اليهودَ بأنهم أَحِبَّاءُ اللَّهِ وأَخْصَاؤُهُ فقال متحدياً لهم :

﴿ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ تَهَوَّدُوا وَتَمَسَكُوا بِمِلَّةِ الْيَهُودِيَّةِ :

* ﴿ إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾

[الجمعة : ٦].

وفي الحديث :

* «والذي نفسي بيده، لو تمنوا الموت ما بقي على ظهرها يهودي إلا

مات» .

فلم يتحدَّ عليه الصلوة والسلام الناس إلا مرتين :

* ١ _ تحديه بالقرآن بقوله :

﴿وَأَن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

* ٢ _ وتحديه بالموت لليهود كما ذكر المؤلف - رحمه الله - .

وقد كان ﷺ يقول عند بعضهم : أشهد أني رسول الله .

* وقد سمى الله معجزات الأنبياء آيات ، ولم يشترط تحدياً .

فيرد أن المراد بقولهم في المعجزة :

* لا بدَّ من اقترانها بالتحدي الاقتران بالقوة أو الفعل .

ولا شك أن كل ما وقع منه ﷺ بعد النبوة مقرون بالتحدي ، لأن قرائن أقواله

وأحواله ، ناطقة بدعواه النبوة . . .

* وتحديه للمخالفين ، وإظهار ما يُقمعهم ، ويكتبُهم ويُذلهم ، فكان كلُّ

ما ظهر منه ﷺ يُسمى آيات ومعجزات . . .

وقوله ﷺ عند ظهور بعضها :

* أشهد أني رسول الله ، شاهدُ صدقٍ على ما ذكرته فتأمله !

* ومنها التمييز بين الكرامة والمعجزة .

* فالمعجزة : خاصٌ بخوارق الأنبياء !!

* ولفظُ الكرامة : خاصٌ بخوارق الأولياء ، وإنما هو اصطلاح الخلف . . . !

وأما السلف :

* فكانوا يسمون كلاً من الأمرين معجزة : كالإمام أحمد وغيره . . . !

* ويخصون خوارق الأنبياء باسم الآية والبرهان، وقد يُسمون الكرامة آيةً لدلالاتها على نبوة من اتبعه ذلك الولي كما مرَّ بيانه... !

اه باختصار كتبه محمد

وهي فوارق جيدة عضَّ عليها بالنواجذ

قوله: لا يخافوا تغيير العاقبة:

أي: تتغير عاقبته بأن تخرج عنه ولايته... !

قيل:

من جعل شروطَ الولاية حسنَ الموافقة لله تعالى، بأن يعلم الولي توالي الطاعات والقرباتِ عليه إلى الممات، لا يجوز ذلك، أي بأن يعلم بأنه ولي!

ومنه قال:

إنه في الحال مؤمنٌ على الحقيقة، وإن جاز أن تتغير حاله بعد، لا يبعد أن يكون ولياً في الحال صديقاً ثم يتغير...

* قال الإمام مصطفى العروسي - رحمه الله تعالى - في شرح الرسالة:

: ١٥٨/٤

اعلم أن هذه المسألة باعتبار عموم المعنى في الولاية العامة والخاصة...

يقال فيها تفصيلاً باعتبار العامة، والخاصة، والحال، والاستقبال...

فأما العامة:

وهي ولاية المؤمنين، بمجرد الإيمان، فيمكن العلم بها في الحال...

فإن من عرف حقيقة الإيمان، الذي كلّفه الله تعالى به، وأدركه من قلبه ونفسه فهو يعلم أنه من المؤمنين في وقته!

* وإن لم يعلم الدوامَ عليه، لمّا يجوزُ في حقه من التغيير والتبديل والعياذ

بالله تعالى ثبّتنا الله بالقول الثابت على دينه... !

وأما الخاصة :

الموقوفة على شروط زائدة على الإيمان من جريانهم على أشرف الأحوال ،
واشتغالهم بأفضل الأعمال !!

* فهو باعتبار ما قد يُعرض لهم من الآفات الجائرة في حقهم كل وقت يُقال :

* إنهم إذا وزنوا أنفسهم بميزان التحقيق ، ووجدوها على سواء الطريق ،

ثار منهم الظنُّ بحفظ المولى لهم . . . !

* نعم قد يخلق الله لهم علماً بعاقبة أمرهم ، فيعلمون أنهم أولياء الله ،

وحينئذ فذلك خارجٌ من هذا المبحث ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

كتبه محمد

فهذا خلاصة ما تقدم من الخلاف ، فانتبه له فإنه دقيق ، وسلِّ الله التوفيق !!

وقوله : واعلم أنه ليس للولي مساكنة . . . إلخ :

أي سكونٌ إلى الكرامة التي تظهر عليه ، ولا ملاحظة لها ، لغناؤه عن حظوظ

نفسه .

أقول :

* ولذلك أشار صاحب الحكم العطائية حيث قال :

* الطيُّ الحقيقي أن تطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب إليك

منك !

قلت :

ظاهر الطيِّ من الفعل والكرامة :

* كطيّ الأيام بلا طعام ولا شراب . . .

* أو طي الأرض بحيث يقطعها دون مشي ولا تعب في أقرب مدة !!

فكلاهما لا عبرة به ، وإنَّما الطيُّ الحقيقي طيُّ الدنيا بالزُّهد . . . !

وكقول بشر - صرَّه الله تعالى - :

من دخل في طريقنا يومين ، فقد حاز ملك الدارين ... !

* قيل : لأنه يترك في الأول الدنيا !

* وفي الثاني : التعلُّق في الآخرة !

* وفي الثالث : يكون لربه بلا علة ...

فالجواب في حق الولي ، أنه لا يعلِّق همته بما سواه تعالى سواء كان من
الذوات أو الصفات !!

* ولا فرق في ذلك بين الشريف والمشروف ، والذميم والمحمود !

* فلا يلتفت إلى علوي ، أو سفلي : سماوي ، أو أرضي ... !

نعم ؛ لا بد من مراعاة الدليل والرفيق قبل الطريق ، ويدخل في ذلك الأنبياء
والمرسلون ، وخلفاؤهم ، فلا يجوز الإعراض عنهم كما لا يجوز الميل إليهم
عبودية ... !

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ

مُسْلِمُونَ ﴾ (٨)

[آل عمران : ٨٠]

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

اهـ ١٥١ / ٤ لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري على شرح الرسالة للإمام القشيري

كتبه محمد

فأعد النظر في هذا الكلام وادع لي بحسن الختام !!

* * *

كُلُّ كَرَامَةٍ لَوْلِيٍّ مُعْجَزَةٌ لِنَبِيِّ

قال القشيري - رحمه الله تعالى - :

إِنَّ قِيلَ :

* كيف يجوز إظهار هذه الكرامات الزائدة في المعاني على

معجزات الرسل؟

قُلْنَا :

* هذه الكرامات لاحقة بمعجزات نبينا محمد ﷺ ، لأن كل مَنْ

ليس بصادق في الإسلام ، تمتنع عليه الكرامات!!

* فكل نبيٍّ ظهرت له كرامةٌ على واحد من أمته فهي معدودة من

جملة معجزاته!

* إذ لو لم يكن ذلك الرسول صادقاً ، لم تظهر على مَنْ تابعه

الكرامة ، يعني التي هي الكرامة لهذا الواحد . . . !

قال القشيري - رحمه الله تعالى - :

هل يجوز تفضيل الولي على النبي؟

قُلْنَا :

* رتبة الأولياء لا تبلغ رتبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

لإجماع المنعقد على ذلك .

قوله : الزائدة في المعاني :

* أي بحسب سير أفرادها الواقعة لآحاد الأمة !!

وقوله : هذه الكرامات لاحقة . . . إلخ .

محصله :

* منع زيادتها عن المعجزات بواسطة كونها من جملة مقويات صدقها ،

باعتبار موافقة مَنْ ظهرت على يده للنبي ﷺ في أعماله وباقي متابعاته !

وقوله : لم تظهر على مَنْ تابعه الكرامة :

* أي لا تظهر عليه بهذا العنوان . . . !

أما الخارق بعنوان آخر فقد يقع . . . !

* فظهورها على الولي دليل صدق النبي ، وصحة معجزته ، فإنه تابع له في

الحق الذي أتى به .

* فإكرام الله للولي يدل على أنه متبع للرسول بما أتى به . . . !

* فكرامات الأولياء ترجع إلى ما عضد الله به الأنبياء من المعجزات الدالة

على صدقهم . كتبه محمد عن شرح الرسالة مختصراً وهو تأويل جيد وحسن

وقوله : رتبة الأولياء لا تبلغ رتبة الأنبياء . . . إلخ :

* هذا أبو يزيد البسطامي سئل عن هذه المسألة؟؟

فقال :

* مثل ما حصل للأنبياء عليهم الصلوة والسلام كمثل زق فيه غسل ، ترشع

منه قطرة فتلك القطرة ، مثل ما لجميع الأولياء !

* وذلك لأنه غاية رتبة الولاية ، أول معارج الصديقين !

* وغاية معارج الصديقين ، أول قدم الأنبياء عليهم الصلوة والسلام .

كتبه محمد فهو كلام نفيس

أنواع الكرامة

قال الأستاذ القشيري - رحمه الله - :

هذه الكرامات قد تكون إجابة دعوة... !

* وقد تكون إظهار طعام في أوان فاقة من غير سبب ظاهر!!

* أو حصول ماء في وقت عطش، أو تسهيل قطع مسافة في مدة

قريبة!!

* أو تخليص من عدو، أو سماع خطاب من هاتف وغير ذلك

من فنون الأفعال المناقضة للعادة.

* قال: واعلم أن كثيراً من المقدورات يُعلم اليوم قطعاً أنها

لا تجوز أن تقع كرامة للأولياء، وبالضرورة أو شبه الضرورة، يُعلم

ذلك:

* ١ - فمنها حصول إنسان من غير أبوين... !

* ٢ - وقلب جماد بهيمة، وأمثال هذا كثير... !

الشرح والتعليق

فمن إجابة الدعوة قول يوسف بن الحسين:

* جاء رجل إلى ذي النون المصري، فشكا إليه ديناً عليه، نحواً من

سبعمئة دينار... !

* قال: فأخذ ذو النون حصاة من الأرض، فقال للرجل:

خذها فإني أرجو أن يكون فيها قضاء دينك... !

* قال يوسفُ فقال لي الرجلُ :

فجئتُ بها إلى صديق لي من أصحاب الجواهر ، فدفعتها إليه !!

* قال لي : ليس هذا وقت بيعها ، فإن صيرت علي رجوتُ أن أبيعها

بالضعف !!

* قال : فغبتُ عنه شهراً ثم عدتُ إليه ، فإذا هو قد باعها بألف وأربعمائة

دينار .

فذلك من باب استجابة الدعاء . والله أعلم .

أقول :

* وفيه قلبُ الأعيان ، وهو كثير فقد جرى على أيدي الأولياء . [وانظر

ترجمة أبي مسلم الخولاني من هذا الكتاب ص ٣٦٢ تر العجب العجيب] .

نموذج :

ومن التخليص من العدو أن ذا النون المصري - رضي الله تعالى عنه -

جاءته امرأة فقالت :

* إن ابني قد أخذه التمساحُ هذه الساعة ، فرأى حُرقتها قال : فأتيتُ للتليل

فأخذتُ التمساحَ ، وشققتُ جوفه ، فأخرجتُ ابنها صحيحاً ، فقالت :

* كنتُ إذا رأيتُك سخرتُ منك ، فاجعلني في حلٍّ ، فأنا تائبة إلى الله

تعالى .

اهـ من الحاشية على الرسالة

وانظر : ص ٣١٤ ، حديث عمر العظيم : « يا حَارِيَّةُ الجبل » .

* * *

آسْتَقَاتُ لَفْظِ الْوَلِيِّ

قال القشيري: يحتملُ الولي أمرين:

* ١ - أَحَدُهُمَا:

أن يكون فعلاً مبالغاً في الفاعل، كالعليم بمعنى العالم، والقدير بمعنى القادر.

فيكون معناه: توالى طاعته من غير تخلل معصية...!

* ٢ - الثَّانِي:

أن يكون فعلاً بمعنى مفعول، كقتيل بمعنى مقتول، وجريح بمعنى مجروح!!

* وهو الذي يتولى الله - سبحانه وتعالى - حفظه وحراسته على الإدامة والتوالي!

* فلا يَخْلُقُ له الخذلان الذي هو قدرة المعصية، ويدوم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

* ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

* ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ [الأنبياء: ٨٥، ٨٦].

أما العبد الصالح :

* فينطلق على النبي والولي .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ [النساء: ٦٩] .

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ :

* أن النبي ﷺ قال في عبد الله بن عمر إنه رجلٌ صالح والآيات والأحاديث بمعنى ما ذكرته كثيرة . . . !

وأما حد الصالح :

فقال الإمام أبو إسحاق الزجاج في كتابه معاني القرآن ،
وأبو إسحاق بن قرقول صاحبُ مطالع الأنوار :
هو : الْمُقِيمُ بِمَا يَلْزِمُهُ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى وَحُقُوقِ الْعِبَادِ .

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

قوله : الولي :

يُرِيدُ نَفَعَنَا اللَّهُ بِهِ الْوَلَايَةَ الْخَاصَّةَ ، وَإِلَّا فَالْمُؤْمِنُونَ — جَمِيعاً — أَوْلِيَاءُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧]

والولي :

* يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ تَوَلَّى أَمْرًا . . . !

فهو : الناصرُ ، والعاقدُ ، والحافظُ ، ومتولي عقد النكاح وغيره من الأفعال التي تُتَوَلَّى . . . !

* وأصلُ الولاية : المبالغةُ في الفعل الحسن !!

* وكون الحقّ وليّ المؤمنين فهو على معنى ناصرهم ومعينهم وموالي نعمه الدنيوية والأخروية عليهم . . .

* هذا والمراد هنا الولاية في العرف وهي الخاصة بخواص المؤمنين لا غير!

والله أعلم اهـ من شرح الرسالة لشيخ الإسلام

قوله قدرة الطاعة :

* مشى فيه على مذهب الأشعري ، فإن عنده التوفيق هو خلق القدرة على الطاعة .

وأما مذهب إمام الحرمين :

* فإن التوفيق عنده هو الطاعة ، ولذا قال الجلال الدواني الصديقي :
قلتُ : الظاهر ما قاله الإمام ، فإن القدرة على الطاعة متحققة في كل مكلف !

اللّهُمَّ ! لا أن يكون المراد القدرة المؤثرة القريبة التي هي مع الفعل . اهـ .
وعلى كلّ فإن تعريف الأشعري بعد تأويله يعود إلى ما قاله الإمام كما فصله الكليني . . . !

فكان تعريف إمام الحرمين أولى لأنه أخصر ولا يحتاج إلى تأويل . اهـ .
والله أعلم

* * *

العِصَّةُ وَالْحِفْظُ

قال الإمام القشيري:

* فَإِنْ قِيلَ: هل يكون الولي معصوماً أم لا؟

قُلْنَا:

* أما وجوباً كما يُقال في حقِّ الأنبياء فلا...

* وأما أن يكون محفوظاً فلا يُصِرُّ على الذُّنُوب، وإن حصلت له هفوات في أوقاتٍ، أو زلاتٍ، فلا يمتنع ذلك في وصفهم.

وقد قيل للجنيـد: العارف يزني؟

* فأطرقَ ملياً ثم رفع رأسه وقال: وكان أمرُ اللَّهِ قَدْرًا مقدوراً.

الشَّرْحُ وَالنَّعْلِيْقُ

وما قيل في حق الأنبياء مما يخالف ظاهره ذلك بقوله تعالى:

﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ مؤول.

* فأوَّلَ عصى: بخالف. وغوى: بتغير حاله عما كان عليه...

والمعاصي من الأنبياء:

* صوريةً فقط، لا حقيقةً، وكيف وهي قد يترتب عليها من الثمرات

والفوائد الدنيوية والدينية بالنسبة للأمم، ما لا يخفى على عاقل عالم.

اهـ من الحاشية القشيرية

فالولي :

* يُحَفِّظُ مِمَّا يَجُوزُ وَقُوعُهُ، فَإِنْ وَقَعَ فِي ذَنْبٍ، تَابَ مِنْهُ سَرِيعاً، وَمُحِي
أَثَرُهُ عَنْهُ! وَالنَّبِيُّ يَمْتَنِعُ أَنْ يَقَعَ لَهُ مَا يَجُوزُ وَقُوعُهُ...!
* فَحَفِّظُ الْوَلِيَّ مِمَّا ذَكَرَ جَائِزٌ، وَإِنْ وَقَعَ لَهُ، وَتَابَ مِنْهُ كَانَ ذَلِكَ مِنْ جُمْلَةِ
الْحَفِظِ لَهُ — أَيْضاً — بِوَاسِطَةِ الْهَامِ الرَّجُوعِ سَرِيعاً وَلَا يُخْرِجُهُ ذَلِكَ عَنْ كَوْنِهِ وَلِيّاً لِلَّهِ
تَعَالَى...!

قوله : وكان أمر الله قدراً مقدوراً :

أَيُّ فَلَا يُمْكِنُ تَخَلُّفُ مَا قَدَرَهُ اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ؛ بَلْ لَا بَدَّ مِنْ وَقُوعِهِ وَلَوْ كَانَ
مَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ وَلِيّاً مِنْ أَوْلِيَائِهِ!
فَحِينَئِذٍ فَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ مِنْ عَوَامِ الْأُمَّةِ، عَدَمُ إِصْرَارِهِ عَلَى مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ
مِنَ الْمَخَالَفَاتِ؛ بَلْ يُؤَفِّقُ لِلتَّوْبَةِ، وَالرَّجُوعِ سَرِيعاً، بِخِلَافِ غَيْرِهِ...!
* فَوُقُوعُ الذَّنْبِ مِنَ الْوَلِيِّ لَا يَنَافِي وَلَا يَتَى بِأَنْ يَحْفَظَهُ اللَّهُ بِالتَّوْبَةِ مِنْهَا
سَرِيعاً. اهـ.

* * *

النَّخْوَفُ

قال القشيري - رحمه الله - :

* فَاِذَا قِيلَ : هل يسقط الخوفُ عن الأولياء؟

* قُلْنَا : الغالبُ على الأكابر كان الخوفُ . . . !

* وذلك فيما تقدم على جهة النُدرة يعني القلة غير ممتنع !

وهذا السري السقطي - رضي الله تعالى عنه - يقول :

* لو أن واحداً دخل بستاناً فيه أشجارٌ كثيرةٌ ، وعلى كل شجرة

طيرٌ يقول له بلسانٍ فصيح :

* السلامُ عليك يا وليَّ الله ، ولم يخف أنه مَكْرٌ لكان ممكوراً به

وأمثالُ هذا من حكاياتهم كثيرةٌ . . . !

قال فَاِذَا قِيلَ :

* هل يجوز أن يُزِيلَ الوليُّ خوفَ المكر؟

قُلْنَا :

* إن كان مصطلماً عن شاهده ، مختطفاً عن إحساسه بحاله ،

فهو مستهلك عنه فيما استولى عليه ، والخوفُ من صفة الحاضرين

بهم .

قوله : يزایل :

زِيلَهُ فَتَزِيلُ ، أي فَرَّقَهُ فَتَفَرَّقَ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَزِيلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ .

المزائلة : المفارقة ، يقال : زايله مزائلة وزيالاً ، أي فارقة . . . !

والتزایل : التباين .

اه مختار

والاصطلام : الاستئصال والاستغراق !

* أفاد بذلك أن العبد وإن كمل ، يكون في حال صحوه خائفاً راجياً ، ولا يكون آمناً أصلاً . . . !

* كيف وأصحابُ رسولِ الله ﷺ ، - رضي الله تعالى عنهم - مع ما كانوا عليه من قوة اليقين ، وشهود النور المبين !

* كان الغالبُ عليهم الخوفُ منه تعالى ، ومن جملتهم مَنْ بشرهم المقطوعُ بصدقه بالجنة !

* ومع هذا لم ينفكوا عن خوف الله بشهود جلاله وعظمته . . . !

* نعم ؛ المصطلَم يزولُ عنه الخوفُ في حالة اصطلامه ، كمن آمنَ العاقبةَ بواسطة خبرِ معصوم من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

اه من الحاشية على الرسالة القشيرية

* * *

مَا قَالَهُ الْقَشِيرِيُّ

(الْغَالِبُ عَلَى الْوَلِيِّ فِي حَالِ صُحُوهِ) :

قال الإمام القشيري - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

* فَإِنَّ قِيلَ : مَا الْغَالِبُ عَلَى الْوَلِيِّ فِي حَالِ صُحُوهِ ؟؟
قُلْنَا :

- * ١ - صِدْقُهُ فِي أَدَاءِ حَقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى !
- * ٢ - ثُمَّ رَأْفَتُهُ وَشَفَقَتُهُ عَلَى الْخَلْقِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ . . . !
- * ٣ - ثُمَّ انْبِسَاطُ رَحْمَتِهِ لِلْخَلْقِ كَافَةً !
- * ٤ - ثُمَّ دَوَامُ تَحْمُلِهِ عَنْهُمْ بِجَمِيلِ الْخُلُقِ !
- * ٥ - وَابْتِدَاؤُهُ لَطْلُبِ الْإِحْسَانِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ التَّمَاسِ مِنْهُمْ !
- * ٦ - وَتَعْلِيقُ الْهَمَةِ بِنَجَاةِ الْخَلْقِ ، وَتَرْكُ الْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ . . . !
- * ٧ - وَالتَّوْقِي عَنْ اسْتِشْعَارِ حَقِّهِ عَلَيْهِمْ مَعَ قِصْرِ الْيَدِ عَنْ أُمُورِهِمْ !
- * ٨ - وَتَرْكُ الطَّمَعِ بِكُلِّ وَجْهِ ، وَقَبْضُ اللِّسَانِ عَنْ بَسْطِهِ بِالسُّوءِ فِيهِمْ !
- * ٩ - وَالتَّصَاوُنُ عَنْ شُهُودِ مَسَاوِيهِمْ ، وَلَا يَكُونُ خَضَمًا لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . . .

قلتُ:

* معناه أنه يعفو عن حقوقه في الدنيا فلا يُطالبهم بها، فلا يبقى له عندهم شيء يُطالب به في الآخرة.

قالَ اللهُ تعالى:

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

وقالَ اللهُ تعالى:

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْفَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ﴾ [١٣٤]

[آل عمران: ١٣٤]

* وروينا في كتاب عمل اليوم والليلة لابن السني بإسناده عن

أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قال:

* «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْضِمٍ؟».

* قالوا: ومن أبو ضَمْضِمٍ يا رسول الله؟!

* قال: كان إذا أَصْبَحَ قال:

* اللهم إني وهبتُ نفسي وعرضي لك: فلا يَشْتُم من شَتَمه،

ولا يَظْلِم من ظلمه، ولا يضربُ مَنْ ضربه»^(١).

قلتُ: معناه لا يقتص ممن ظلمه كما قالَ اللهُ تعالى:

﴿فَمَن أَعْدَىٰ عَلَيْكُم فَاغْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤].

(١) وإليه أشارت الآية: ﴿وَأَن تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ لِتَقْتُلُوا نَفْسَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

قال الإمام القشيري :

* واعلم أن من أجل الكرامات - التي تكون للأولياء - دوام التوفيق للطاعة، والعصمة من المعاصي والمخالفات... !
قلتُ :

* يدخلُ في المخالفات ما ليس معصيةً: كالمكروه كراهة التنزيه، وكترك الشهوات التي يُستحب تركُها.

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

قد مرّ معنا ترجمة الإمام القشيري ص ١٤٠، وهي ترجمة رائعة.

ورضي الله عن الإمام القشيري !!

* حيثُ جمعَ فأوعى، وأعطى فأوفى، كي لا يغترَّ مغترّاً بعمل قَدَمه، أو طاعة فعلها، أو وظيفة قام بها، أو ليل كابده، أو نهارٍ أظمأه، وقلْبُهُ مشحون بالوساوس، مملوء بالأغيار والحقد والحسد قائم كلُّ منهما على قدم وساق!!

* فلم يدع صفة حميدة، ولا خصلة مرضية إلا وذكرها... !

فهذه أخلاقُ النبيين، وشمائلُ الصديقين، الذين نالوا أعلى مراتبِ الولاية قدراً وأرفعها درجةً ومنزلةً وفضلاً... !

* وإلا فكيف يكون وليّاً وهو مُعطلٌ لحق الله، هاضمٌ حقِّ الناسِ؟

* وكيف يكون وليّاً، والقسوةُ قد أخذتُ بمجامع قلبه، فلم يمسح دمعةً ملهوفٍ، ولم يُغث مسكيناً، ولم يأخذ بيد محتاج؟

* وكيف يكون وليّاً، والحربُ قائمةٌ بينه وبين عبادِ الله، وحبُّ الانتقام لا يزاوله، مع حقه العميق عليهم؟

* وكيف يكون ولياً والطمعُ لما في أيدي الناسِ ديدنُهُ، والجشعُ لا ينفك

عنه!!

* وكيف يكون ولياً، ولسانه لا يتورع عن الطعن في أعراض المسلمين،

والأكل من لحومهم، والتبّع لعوراتهم، والبحث عن زلاتهم!!

فهذه الفوارق التي تُبين حقائق الرجال، والموازين التي توزن بها الأعمال،

ولأفكلٍ يدّعي وصلاً لليلي...!!

فهذه الصفات التي ذكرها الإمام القشيري، أفضل بكثير من المشي على

الماء، أو الطير في الهواء، أو طي المسافات البعيدة، أو غيرها من

الخوارق...!

لأنه قد يكون صاحبها ممكوراً به ومستدرجاً!

فنسأله تعالى أن يهدينا وأحبائنا إلى سواء السبيل، وأن يُخلّقنا بأخلاق

الصالحين.

اهـ كتبه محمد

قوله: وترك الشهوات... إلخ:

أي وذلك لأن أجل الكرامة دوام الاستقامة، بل الاستقامة هي حقيقة

الكرامة إذ غيرها قد يعقبها ندامة!!

والحاصل:

* أن التحقيق في معنى الولاية، أن يكون الولي محفوظاً من المخالفات،

ومُيسراً للطاعات، مع استعمال الخوف والرجاء كلًّا في وقته، وعلى حسبه...!

* وأيُّ كرامةٍ يا ترى أعظم من الاستقامة؟ على أن الخارق للعادة، قد

يكون لقصد قوة اليقين في ابتداء السير لرب العالمين على يد من تخلّق بأكمل

الأخلاق، وحاز قصب السباق!

* أو لردّ مُنكر جاحِدٍ، أو معاند حائد، فإذا كُمِّل العبدُ في أحواله، وتمكَّن في مقامه ووصاله، ولم تدعْ دواعي الخارقِ على يده بمثل ما تقدم، لم يلتفت إليه، لتوالي الأكمل منه من نعم مولاه عليه، ودوام إحسانه إليه!

* والمرادُ من العصمة من المعاصي أي: الحفظ عنها، إذ لا عصمةَ إلَّا لنبي أو رسولٍ لا لذوي الكرامات من بقية المؤمنين...!

اهـ شرح الرسالة ١٥٩/٤

* * *

الحديث عن رؤية الله تعالى

قال القشيري:

فإن قيل:

* فهل تجوز رؤية الباري - تبارك وتعالى - بالأبصار اليوم في

الدنيا من جهة الكرامة؟

قلنا:

الأقوى أنه لا يجوز لحصول الإجماع عليه...

قال:

* ولقد سمعت الإمام أبا بكر بن فورك يحكي عن أبي الحسن

الأشعري - رحمه الله - أنه قال:

* في ذلك قولين في كتاب الرؤية الكبير...

قلنا:

* قد نقل جماعة الإجماع على أن رؤية الله تعالى لا تحصل

للأولياء في الدنيا لا لامتناعها، وإلا فهي ممكنة بالعقل عند أهل

الحق...

* وقد اختلف الصحابة ومن بعدهم في رؤية النبي ﷺ ربه

سبحانه وتعالى ليلة الإسراء!!

* والمختار عند الأكثرين أو الكثيرين: أنه رأى وهو قول

ابن عباس وقد بسطت مقاصد ذلك في أوائل شرح صحيح مسلم
- رحمه الله - .

الشرح والتعليق

قوله: قد نقل جماعة الإجماع... إلخ:

قال في الشيبانية:

* وَمَنْ قَالَ فِي الرُّنْيَا يَرَاهُ بَعِينَهُ

فَذَلِكَ زَنْدِيقُهُ طِفَاً وَتَمَرّاً

* وَهَذَا لَفَ كُتِبَ اللَّهُ وَالرُّسُلُ كُلُّهَا

وَزَاغَ عَنِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ أَبْعَدَا

أقول:

* لقد تعرضت في كتابي سمير المؤمنين، الطبعة الثانية عشرة ص ١٩٦
لحكم الرؤيا في الدنيا والجنة بشكل موجز ومفيد، والإمام النووي قد أشبع هذا
الموضوع إشباعاً جيداً، وأعطاه حقه إعطاء وافياً في شرحه على مسلم كما ذكر
- رحمه الله تعالى - . اهـ .

* * *

هل تُسَلَبُ الْوِلَايَةُ؟

قال القشيري :

فأبْقَيْل :

* هل يجوزُ أن يكونَ ولياً في الحال ثم تتغير عاقبته؟

قلنا :

* مَنْ جعل — من شرط الولاية — حُسْنَ الموافاةِ لا يُجَوِّز ذلك .

ومن قال :

* إنه في الحال مؤمنٌ على الحقيقة، وإن جاز أن يتغير حاله

لا يبعدُ أن يكونَ ولياً في الحال صِدِّيقاً ثم يتغير . . .

قال :

* وهذا الذي نختاره ويجوز أن يكون من جملة كرامات الولي،

أن يعلم أنه مأمونُ العاقبة، وأنه لا تتغير عاقبته، فتُلحق هذه المسألة بما

ذكرناه من أن الولي يجوز أن يعلم أنه ولي^(١) .

أما الكرامات :

* فتقدم بيانُ حدِّها^(٢) .

(١) انظر في ص ٣٣١ من هذا الكتاب .

(٢) انظر في ص ٢٩١ من هذا الكتاب .

وأما المواهب:

* فجمع موهبة وهي أمر ليس بخارق للعادة، ولكنه قليل مستبعد في العادة، يتميز به بعض الناس، ولا يختص ذلك بالأولياء؛ بل يكون لهم ولغيرهم...

* وأنا أذكر في هذا الباب جملاً من الكرامات والمواهب المستحسنة، إن شاء الله تعالى...

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَلَا تَقْصُصْ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثِثُ بِهِمْ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتِدَةً﴾ [الأنعام: ٩٠].

أخبرنا شيخنا الشيخ الإمام الصالح القاضي أبو محمد عبد الرحمن ابن الشيخ الإمام الصالح أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة قال:

* حدثنا أبو جعفر عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد قال:

* حدثنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي قال:

* حدثنا أبو عامر محمود بن القاسم بن محمد الأزدي وأبو بكر أحمد بن عبد الصمد الخزرجي وأبو نصر عبد العزيز بن عمر الرفاني!!

قال:

* حدثنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن عبد الله بن الجراح

الجراحي...

قَالَ:

* حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب المحبوبي!!

قَالَ:

* حدثنا الإمام أبو عيسى الترمذي قَالَ:

* حدثنا عمر بن حفص الشيباني...

* حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج عن

أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه - عن رسول الله ﷺ قَالَ:

«لَنْ يَسْبَحَ الْمُؤْمِنُ مِنْ خَيْرٍ يَسْمَعُهُ حَتَّى يَكُونَ مِنْهَا الْجَنَّةُ».

قَالَ الترمذي: حديث حسن...

* وبهذا الإسناد إلى الترمذي قَالَ:

* حدثنا علي بن حجر قَالَ:

حدثنا مسلمة بن عمرو قَالَ:

* كان عمر بن هانئ يُصلي كل يوم ألف سجدة يعني ألف ركعة

ويسبح مائة ألف تسبيحة^(١).

* * *

(١) هذه كرامة للشيخ، ويُقال: إنه من طي الزمن.

أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

أخبرنا شيخنا أبو البقاء الحافظُ قَالَ: حدثنا أبو محمد، حدثنا أبو بكر، حدثنا الخطيبُ، حدثنا الحسنُ بْنُ مُحَمَّدٍ البزارُ...!

* حدثنا محمدُ بْنُ جَعْفَرٍ الآدَمِي، حدثنا محمدُ بْنُ مُوسَى الشطوبي!

* حدثنا هارونُ بْنُ معروفٍ، حدثنا ضمرَةُ عن عثمانَ عن عطاء عن أبيه قَالَ:

قالت امرأة أبي مسلم يعني الخولاني:

* يا أبا مسلم ليس لنا دقيقٌ قَالَ: عندك شيءٌ؟ قالت: درهمٌ بعنا به غزلاً...!

قَالَ: أبغينيه أي أعطينيه وهاتي الجِرَابَ!!!

فدخل السوقَ فوقف على رجل يبيع الطعامَ فوقف عليه سائلٌ!!

وقَالَ:

* يا أبا مسلم تصدق عليَّ! فهرب منه وأتى حانوتاً آخرَ، فتبعه

السائل...

فَقَالَ:

* تصدق عليَّ! فلما أضجره أعطاه الدرهم، ثم عمد إلى

الجِرَاب فملاًه من نحاة النجارين مع التراب!!
* ثم أقبل إلى باب منزله فنقر الباب، وقلبه مرعوب من أهله،
فلما فتحت الباب رمى بالجِراب وذهب...!

* فلما فتحتُه إذا هي بدقيق حواري فعجنت وخبرت!!
* فلما ذهب من الليل الهويّ جاء أبو مسلم فنقر الباب وقلبه
خائف، فلما دخل وضعت بين يديه خواناً وأرغفة حوارى فقال:
* من أين لكم هذا؟ فقالت:

* يا أبا مسلم من الدقيق الذي جئت به، فجعل يأكل ويبكي^(١).
قلت: ما أنفَسَ هذه الحكاية وأكثر فوائدها!!

شرح المفردات:

* قوله: الجِرَاب بفتح الجيم وكسر ها، لغتان الكسر أفصح...!
* قوله: الحواري هو بضم الحاء المهملة وتشديد الواو وفتح
الراء وتخفيف الياء وهو الأشهر.

* وقوله: الهوي، هو بكسر الواو، وتشديد الياء...!
وأما الهاء فتفتح وتضم لغتان: الفتح أفصح وأشهر، هو قطعة في
الليل قبل نحو ربه أو ثلثه...!

* وقوله: خواناً هو بضم الخاء، وكسر ها لغتان الكسر أفصح
وأشهر، وهو عجمي معرب وجمعه أخونة وخون.

(١) وهذه كرامة للشيخ ويقال: إنه من قلب الأعيان.

سَيَرَتُهُ :

وأما أبو مسلم صاحب هذه الكرامة :

* فاسمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَوْبٍ بَئَاءَ مِثْلَةِ مَضْمُومَةٍ ، ثُمَّ وَאוْ مَفْتُوحَةٍ
مَخْفُفَةٍ ، ثُمَّ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ وَيُقَالُ :

* ابْنُ ثَوَابٍ وَيُقَالُ : ابْنُ أَثَوْبٍ وَيُقَالُ : ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَيُقَالُ : ابْنُ
عُوفٍ !!

* وَيُقَالُ : ابْنُ يَسْلَمَ وَيُقَالُ : اسْمُهُ يَعْقُوبُ بْنُ عُوفٍ ، وَالصَّحِيحُ
الْمَشْهُورُ مَا قَدَّمْنَاهُ !

* وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ سَكَنَ الشَّامَ بَدَارِيَا بِالْقَرْيَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِجَانِبِ
دِمَشْقٍ . . .

* وَكَانَ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ ، وَعُبَّادِهِمْ ، وَصَالِحِيهِمْ ، وَأَهْلِ
الْكَرَامَاتِ الظَّاهِرَاتِ وَالْأَحْوَالِ السَّنِيَةِ الْمَتَظَاهِرَاتِ !

* وَكَانَ قَدْ رَحَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ فَتُوفِيَ النَّبِيُّ ﷺ
وَهُوَ فِي الطَّرِيقِ !

* فَجَاءَ وَلَقِيَ أَبَا بَكْرَ الصَّدِيقَ وَعُمَرَ وَغَيْرَهُمَا مِنَ الصَّحَابَةِ . . .

مِنْ كَرَامَاتِ أَبِي مُسْلِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

مَشِيهِ عَلَى الْمَاءِ :

* وَمِنْ نَفَائِسِ كَرَامَاتِهِ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي كِتَابِ
الزَّهْدِ لَهُ :

* أن أبا مُسلم الخولاني مرَّ بدجلة وهي ترمي الخشب من برها
فمشى على الماء!

* ثم التفت إلى أصحابه فقال :

* هل تفقدون من متاعكم شيئاً فتدعون الله عز وجل ؟

* ورواه من طريق آخر وفيه أنه وقف على دجلة ، ثم حمد الله
تعالى وأثنى عليه !

* ثم ذكر آلاءه وذكر سَيْرَ بني إسرائيل في البحر ، ثم نهرَ دابته
فانطلقت تخوض في دجلة وأتبعها الناسُ حتَّى قطعها الناسُ .

حديث الغراب له :

* وبإسناد الإمام أحمد - أيضاً - أن أبا مسلم كان بأرض الروم
فبعث الوالي سريةً ، ووقتَ لهم وقتاً !

* فأبطأوا عن الوقت ، فاهتم أبو مسلم بإبطائهم ، فبينما هو
يتوضأ على شطِّ نهر وهو يُحدث نفسه في أمرهم !!

* إذ وقع غرابٌ على شجرةٍ مقابلةٍ فقال : يا أبا مسلم أهِمِّمْتَ
بأمر السرية ؟ فقال : أجل . .

فقال :

* لا تهتم فإنهم قد غنموا وسيرِدُون عليكم يومَ كذا في وقت كذا .

قال له أبو مسلم :

* مَنْ أَنْتَ يرحمُك الله ؟ فقال :

* أنا مُفَرِّحُ قلوبِ المؤمنين ، فجاء القومُ في الوقت الذي ذَكَرَ
على ما ذَكَرَ .

أبو مسلم والمائدة:

* وبإسناد أحمد أن أبا مسلم كان جالسا مع أصحابه في أرض الروم يُحدّثهم!!
فَقَالُوا:

يا أبا مسلم قد اشتهينا اللحم، فلو دعوت الله تعالى فرزقنا فقال:

* اللَّهُمَّ قد سمعت قولهم وأنت - على ما سألوا - قادر!!

* فما كان إلا أن سمعوا صياح العسكر، فإذا بطبي قد أقبل حتّى مرَّ بأصحاب أبي مسلم فوثبوا عليه فأخذوه...
أبو مسلم يستسقي:

* وبإسناد أحمد أن الناس قُحِطُوا على عهد معاوية فخرج

يستسقي بهم، فلما وصلوا إلى المصلّى قال معاوية لأبي مسلم:

* قد ترى ما حلّ بالناس فادعُ الله تعالى قال:

* أفعُلْ، عليّ بعض^(١) شرط، فقام وعليه برنس فكشف

البرنس عن رأسه ثم رفع يديه ثم قال:

* اللَّهُمَّ إِنَّا مِنْكَ نَسْتَمْطِرُ، وقد جئتُ إليك بذنوبي فلا تخيبي!!

فما انصرفوا حتّى سُقُوا فقال أبو مسلم:

* اللَّهُمَّ إِنَّ معاوية أقامني مُقام سُمعة، فإن كان لي عندك خيرٌ

فاقبضني إليك!!

(١) هي ناقة عضباء مشقوقة الأذن، وهي - أيضاً - لقبُ ناقةِ الرسول عليه الصلوة والسلام، ولكنها لم تكن مشقوقة الأذن.

* وكان ذلك يومَ الخميس، فمات أبو مسلم يومَ الخميس
المقبل - رضي الله تعالى عنه - !!

أبو مسلم والنار:

* وبإسناد الحافظِ إلى طاهر السلفي، عن شرحبيل بن
مسلم... :

* أن الأسود بن قيس العنسي الكذاب لمَّا ادَّعى النبوةَ باليمن
بعث إلى أبي مسلم الخولاني...

فلما جاءه قال: أتشهد أنِّي رسولُ الله؟

* قال: ما أسمع!

قال: أتشهد أن محمدًا رسولُ الله؟

* قال: نعم.

فردد ذلك عليه!!

فأمر بنار عظيمة فأجَّجت، فألقى فيها أبا مسلم فلم تضرَّه.

* فقيل:

أنفه عنك وإلا أفسد عليك من تبعك...

* فأمره بالرحيل...

أبو مسلم وعمر:

* فأتى أبو مسلم المدينة وقد توفِّي رسولُ الله ﷺ واستُخلفَ
أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - .

* فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد فقام يصلي إلى سارية
من سواري المسجد فبصر به عمر فقام إليه!

فَقَالَ: مَنْ الرَّجُلُ؟

* فَقَالَ: مَنْ أَهْلُ الْيَمَنِ!

قَالَ: فَلَعَلَّكَ الَّذِي حَرَقَهُ الْكَذَابُ بِالنَّارِ؟

* قَالَ: ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَوْبٍ!

قَالَ: نَشَدْتُكَ اللَّلهُ أَنْتَ هُوَ؟

* قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

فاعتقه ثم بكى، ثم ذهب به حتَّى أجلسه فيما بينه وبين أبي بكر

فَقَالَ:

* الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُمَتِّنِي، حتَّى أُرَانِي فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ﷺ مَنْ

فَعِلَ بِهِ كَمَا فَعَلَ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ...!

قُلْتُ:

هذا من أجل الكراماتِ، وأنفسِ الأحوالِ الباهراتِ...!

وقوله: لا أسمعُ:

يحتمل وجهين:

* ١ _ أحدهما معناه: لا أقبل...!

* ٢ _ والثاني: أنه على ظاهره وأن الله تعالى سدَّ مسامعَه عن

هذا الباطل الشديد الفحش!!

* وقد اقتصر بعضُ الأئمة على الاحتمال الأول، والاحتمالُ

الثاني عندي أظهر.

أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِي :

- * هو سَيِّدُ التَّابِعِينَ، وزَاهِدُ الْعَصْرِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَوْبٍ الدَّارَانِي !
- * أَسْلَمَ فِي أَيَّامِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدِمَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي خِلَافَةِ الصَّدِيقِ، وَحَدَّثَ عَنِ الصَّحَابَةِ... !
- * وَكَانَ مِنْ خَبَرِهِ فِي الْيَمَنِ أَنَّ قَبْضَ عَلَيْهِ الْأَسْوَدُ الْعَنْسِي مَدَّعِي النَّبُوَّةِ، وَكَانَ يُنْكِرُ عَلَيْهِ !
- * فَأَلْقَاهُ فِي النَّارِ فَلَمْ تَضُرَّهُ، وَنَجَّاهُ اللَّهُ كَمَا نَجَّى الْخَلِيلَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال عنه كَعْبٌ :

- * هَذَا حَكِيمُ هَذِهِ الْأُمَّةِ !

وقال حميد الطويل :

- * جاز أبو مسلم بجيوش المسلمين فوق نهرِ دجلة لقتال الروم !
 - * وكان مجاب الدعوة إذا استسقى سُقِيَ !
 - * مات شهيداً بأرض الروم سنة اثنتين وستين، وقبره بدارياً.
- مصادر الترجمة :

- * طبقات ابن سعد : ٤٤٨/٧، التاريخ الكبير للبخاري : ٥٨/٥، حلية الأولياء : ٢٢/٢، سير أعلام النبلاء : ٧/٤.

وقوله : أبغينيه :

يقال :

- * بَغَى ضَالَتَهُ، يَبْغِيهَا بُغَاءً، أَي طَلَبَهَا، وَبَغَى لَهُ وَأَبْغَاهُ الشَّيْءُ طَلَبَهُ لَهُ !!
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَنْبِئَ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٦٤].

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبُغُ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ آثَارَهُمَا فَصَصَّا ﴾ [الكهف: ٦٤].

والهمزة في أبيغينه للقطع .

* والذي حملني على كتب هذه الكلمة اختلاف الطبقات اللاتي قابلتها

على طبعتنا هذه فيها . . .

وَكَانَ أَبُو سَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - .

* على جانب عظيم كبير من العبادة . . .

* حَتَّى لَوْ قِيلَ لَهُ :

إِنَّ جَهَنَّمَ لَتُسْعَرُ . . . !

* لَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَزِيدَ فِي عَمَلِهِ شَيْئًا . . . !

وَكَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَتْرَكَ الْأَكْلَ وَيَقُولُ :

* الْخَيْلُ إِنَّمَا تَجْرِي وَهِيَ ضُمُرُ .

وَكَانَ يَقُولُ :

* مَنْ شَدَّ رَجْلِيهِ فِي الصَّلَاةِ ، ثَبَّتَ اللَّهُ رَجْلِيهِ عَلَى الصِّرَاطِ . . . !

اهـ من الطبقات الكبرى ٢٥ / ١

* * *

عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ

وقال أحمد بن أبي الحواري في كتاب الزهد له :
* حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ : كَانَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - أَصَابَهُ الْفَالَجُ !!

* فَسَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُطْلِقَهُ فِي أَوْقَاتِ الْوُضُوءِ ، فَكَانَ إِذَا كَانَ وَقْتُ الْوُضُوءِ قَامَ مِنْ سَرِيرِهِ ، حَتَّى يَذْهَبَ فَيَتَوَضَّأُ ، فَإِذَا عَادَ إِلَى سَرِيرِهِ عَادَ إِلَيْهِ الْفَالَجُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

الشرح والتعليق

عبد الواحد بن زيد :
هو المحدث الزاهد القدوة شيخ العباد أبو عبيدة البصري . . . !

قال مسمع بن عاصم :
* شهدت عبد الواحد يعظ ، فمات في المجلس أربعة . . . !

وعن محمد بن عبد الله الخزاعي قال :
* صلى عبد الواحد بن زيد الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة .

توفي بعد سنة خمسين ومائة .

مصادر الترجمة :

* التاريخ الكبير : ٦٢/٦ ، حلية الأولياء : ١٥٥/٦ ، تاريخ الإسلام :
٢٤٣/٦ ، السير : ١٧٨/٧ .

* * *

سهل بن عبد الله

ورويانا بإسنادنا السابق للقشيري - رحمه الله - قال: سمعت
أبا حاتم السجستاني يقول:

* سمعتُ أبا نصر السراج يقول:

* دخلنا تُستَرَ فرأينا في قصر سهل بن عبد الله - رحمه الله - بيتاً
كان الناس يسمونه بيت السباع . . . !

* فسألنا الناس عن ذلك؟

فقالوا:

* كان السباعُ تجيء إلى سهل، فكان يُدخلها هذا البيت،
ويُضيفها ويُطعمها اللحم ثم يخليها . . . !

قال أبو نصر:

* ورأيت أهل تُستَرٍ كلَّهم متفقين على هذا وهم الجمعُ الكثير.

الشرح والتعليق

سهل بن عبد الله

* هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن ربيع
التُسُري الصالح!

* لم يكن له في وقته نظيرٌ في المعاملات والورع . . .

* وكان صاحبَ كراماتٍ، ولقي الشيخَ ذا النون المصري بمكة.

* وكان له اجتهداً وافر، ورياضة عظيمة .

* ولد سنة ٢٠٠هـ، وقيل : ٢١١هـ، وتوفي سنة ٢٨٣هـ - رَحِمَهُ اللَّهُ

تَعَالَى - .

* نشأ سهلاً من نعومة أظفاره نشأةً صالحة .

* وتربى - في بيت خاله محمد بن سوار الذي كان إماماً من أئمة التقوى
والصلاح والزهد - تربيةً إسلاميةً عاليةً . . .

قال سهل :

* كُنْتُ وَأَنَا ابْنُ ثَلَاثِ سَنِينَ، أَقُومُ فِي اللَّيْلِ فَأَنْظُرُ إِلَى صَلَاةِ خَالِي
مُحَمَّدِ بْنِ سَوَارٍ !!

فقال لي يوماً :

* يَا سَهْلُ أَلَا تَذْكُرُ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ؟

فَقُلْتُ :

* وَكَيْفَ أَذْكُرُهُ؟

قَالَ :

قُلْ بِقَلْبِكَ عِنْدَ تَقَلُّبِكَ فِي ثِيَابِكَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ :

* اللَّهُ مَعِيَ ،

* اللَّهُ نَاطِرِي ،

* اللَّهُ شَاهِدِي !

فَقُلْتُ ذَلِكَ لِيَالِي ثُمَّ أَعْلَمْتَهُ !

فَقَالَ :

* قُلْ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ سَبْعَ مَرَاتٍ !

فَقُلْتُ ذَلِكَ لِيَالِي ثُمَّ أَعْلَمْتَهُ !

فَقَالَ:

* قل في كل ليلة إحدى عشر مرة.

فقلته، فوقع في قلبي حلاوته.

فلما كان بعد سنة قال لي خالي:

* يا سهل احفظ ما علمتَ ودُم عليه إلى أن تدخلَ القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة!!

قال سهل:

* فلم أزل على ذلك سنتين فوجدتُ حلاوةً في سري!!

ثم قال لي خالي يوماً:

* يا سهل من كان اللُّهُ معه، وناظراً إليه، وشاهدَه أيعصيه؟

إياك والمعصية!!

أقول:

وقد شرحت سيرته الحميدة وذكره العطر في كتابي «الحب لخالد» ط ٧

ص ٨٣.

وتُسْتَر: كجندب هو أول سور وضع بعد الطوفان.

انظر: القاموس المحيط

* * *

أَبُو الْخَيْرِ التِّينَاتِي

* وبه إلى القشيري قَالَ : سمعتُ أحمدَ بنَ محمدَ اليميني يقول :
سمعتُ عبدَ الله بنَ علي الصوفي يقول : سمعتُ حمزةَ بنَ عبدِ الله
العلوي يقول :

* دخلتُ على أبي الخير التيناتي - رحمه الله تعالى - وكنتُ
اعتقدتُ في نفسي أن أسلم عليه وأخرج ، ولا آكلَ عنده طعاماً !
* فلما خرجتُ من عنده ومشيتُ قدراً ، وإذا به أتى خلفي وقد
حمل طبقاً عليه طعامٌ وَقَالَ :

* يا فتى كُلْ هذا فقد خرجت الساعة من اعتقادك . . . !

قَالَ : وأبو الخير هذا مشهور بالكرامات . . . !

مَتَى نَحْنُ الْاِسْدُ ؟

حكى عن إبراهيم الرقي قَالَ : قصدته مسلماً عليه فصلَّى صلاةَ
المغرب فلم يقرأ الفاتحة مستوياً ، فقلت في نفسي :
ضاعت سَفَرَتِي !

* فلما سلَّمتُ خرجتُ للطهارة فقصدني السبعُ فعدتُ إليه
وقلت :

* إن الأسد قصدني .

فخرج وصاح على الأسد وقال:

* ألم أقل لك لا تتعرض لضيفاني؟

* فتنحى وتطهرت.

فلما رجعت قال:

* اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الأسد، واشتغلنا بتقويم

القلوب فخافنا الأسد...!

قلتُ:

* قد يتوهم من يتشبه بالفقهاء، ولا فقه عنده أن صلاة

أبي الخير هذه كانت فاسدة لقوله لم يقرأ الفاتحة مستويًا!!

* وهذه جهالة وغباوة ممن يتوهم ذلك وجسارة منه إلى إرسال

الظنون في أولياء الرحمن...!

* فليحذر العاقل من التعرض لشيء من ذلك؛ بل حقه إذا

لم يفهم حكمتهم المستفادة، ولطائفهم المستجادة، أن يتفهمها ممن

يعرفها...!

* وكل شيء رأيت من هذا النوع مما يتوهم من لا تحقيق عنده

أنه مخالف ليس بمخالف؛ بل يجب تأويل أفعال أولياء الله تعالى...!

وجواب هذا من ثلاثة أوجه:

* ١ - الأول: لا تفسد الصلاة بالاتفاق!

* ٢ - الثاني: أنه مغلوب على ذلك بخلل في لسانه، فتصح

صلاته بالاتفاق.

* ٣ - الثالث: أنه لو لم يكن له عذر، فقراءة الفاتحة ليست بمتعينة عند أبي حنيفة، وطائفة من العلماء، ولا يلزم هذا الولي أن يتقيد بمذهب مَنْ أوجبها.
ورأيتُه بخط الشيخ - رضي الله تعالى عنه - .

الشرح والتعليق

أبو النخير الثميني:

* هو حماد صاحب الأحوال والكرامات، العابد الأقطع، كان مغربياً أسود، سكن تينات، من أعمال حلب!!
* صحب أبا عبد الله بن الجلاء، وسكن جبل لبنان مدة!!
قال أبو القاسم القشيري:

* كان كبير الشأن، له كرامات وفراصة حادة...!
توفي سنة سبع وأربعين وثلاث مائة!!
مصادر الترجمة:

* طبقات الصوفية: ٣٧٠، حلية الأولياء: ١٠/٣٧٧، الرسالة القشيرية: ٢٦، طبقات الشعراني: ١/١٢٨، السير: ١٦/٢٢.

أقول:

فالولي لا يكون ولياً إلا بدقة المتابعة، وملازمة السنة، والعزوف عن المخالفة مع العلم الصحيح الموافق لمصدر صحيح!
* فمقام الولاية لا يُنال عن غير هذا!

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

نعم؛ إن هناك طائفةً من الأولياء، هم على قلة ونُدْر، قد غلب عليهم
أحوالٌ صيّرتهم في عداد المجاذيب...!

* فخرجوا في بعض الأمور من قيود العلم والشرع...!

* فمثل هؤلاء لا نأخذُ منهم، ولا نُقرهم على خطئهم، أو نجاريهم على
انحرافهم، متلمذين لهم!

* وإلاً تعطلت الأحكام، وتقدم لها الدخلاء، واختلط الحابل بالنابل،
والصادق بغير الصادق...!

* إن هؤلاء المجاذيب، نُجلهم ونُكرمهم، مع البعد عنهم، وعدم طلب
الدعاء منهم!

* ونُنكر عليهم ما هو مخالفٌ للشرع!!

* فهذا ما استفدناه من أشياخنا جزاهم الله عتاً خيراً، وإلاً ضاع الإنسان،
وضلَّ الطريق وتاه...!

* فإمامنا النووي - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ - ما حملني على خدمة كتابه هذا
وغيره إلا حبي إياه، وإجلالي لمكانه المنيف، لأنه الأسوةُ الحسنةُ والقدوةُ
الصالحة لكل طالب وراغب!

* فهو أحرصُّ الناس على ملازمة الإِتباع، والخوف من الابتداع!!

* فالاستقامةُ خيرٌ من ألف كرامةٍ، ولا سيما ونحن في زمن طُمِسَتْ فيه
البصائر، وعميت القلوب، وغلب فيه الإنكارُ والجحودُ على ما لا يحتاج إلى
تأويل، فكيف بما يحتاج إلى تأويل!!

* فزمنُ الشيخ غيرُ زماننا هذا، لأن فيه ردّةٌ ويا لها من ردّةٍ قد اجتاحت
الأخضر واليابس، وطعنت العقيدة في الصميم...!

* فنسأل الله تعالى أن يَهْدِينَا إلى طريق الصواب، ويُوفِقَنَا للأدب مع الأولياء والأحباب، ويُفهِمَنَا ما خفي عن نظرنا القاصر مما برز منهم... !
* ولكن من رحمة الله بنا سترهم عنا، وحجبهم عن أبصارنا، وإلا كنا على خطر عظيم...

* فمن عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب. الحديث... !
كتبه محمد عَفِي عنه

* * *

باب
فی حِکَايَاتِ مُسْتَظَرَفَةٍ

باب في حكايات مُستَظرفَةٍ

الفصل

* قد جمعتُ كراماتٍ لبعض الرجال، وقد جعلتُ لكل واحد منهم مطلباً، ليكونَ أسهلَ تناوُلًا، وأيسرَ مراجعةً، وأوقعَ في نفس القارئ^(١).

* اعلم أن هذا الباب وإن لم يكن من أبواب الزهد، فهو مما تستريح النفس به إذا ملّت!!

* وكان الزاهد قد يحتاج إلى أحاديثٍ غيره مما لا يؤثر في الزهد ولا يفهم كثيراً!!

* فربما تحدثوا في أمور الناس، وانجر بهم الكلام إلى الحديث في حرام من غيبة ونحوها!

* فإذا اشتغلوا بهذا، انبعثت نفوسهم لسماعه، واشتغلوا به عن غيره من القبيح!!

* ومع هذا فلا تخلو هذه الحكايات التي أذكرها — وإن شاء الله تعالى — من فوائد ينتفع بها طالبُ الآخرة وبالله التوفيق . . . !

* * *

(١) هذه زيادة عن الأصل فانتبه!

سَلِيمَانُ بْنُ حَرْبٍ

رَوَيْنَا عَنْ أَبِي حَاتِمِ الرَّازِيِّ الْإِمَامِ أَحَدِ أَرْكَانِ الْحَدِيثِ قَالَ:

* حَضَرْتُ مَجْلِسَ سَلِيمَانَ بْنِ حَرْبٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -

بِبَغْدَادِ فَحَزَرُوا مَنْ حَضَرَ مَجْلِسَهُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ رَجُلٍ!!

* وَكَانَ مَجْلِسُهُ عِنْدَ قَصْرِ الْمَأْمُونِ...

فَبُنِيَ لَهُ شِبْهُ مَنِيرٍ وَصِعِدَ سَلِيمَانُ عَلَيْهِ!!

* وَكَانَ الْمَأْمُونُ فَوْقَ قَصْرِهِ وَقَدْ فَتَحَ بَابَ الْقَصْرِ وَأَرْسَلَ سِتْرًا

وَهُوَ خَلْفَهُ يَكْتُبُ مَا يُمْلِي سَلِيمَانُ...!!

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ:

* لَا يُسْأَلُ عَنْ حَدِيثٍ إِلَّا حَدَّثَ مَنْ سَمِعَهُ...!

الشَّرْحُ وَالنَّوْلُ

سَلِيمَانُ بْنُ حَرْبٍ بَنِي بَجِيلٍ:

هُوَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ الثَّقِيُّ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ، أَبُو أَيُّوبَ الْوَاشِجِيُّ الْبَصْرِيُّ،

قَاضِي مَكَّةَ، وَلَدَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً...!

* حَدَّثَ عَنْ شُعْبَةَ، وَحَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَعَنْهُ الْبَخَارِيُّ، وَأَبُو دَاوُدَ،

وَالْحَمِيدِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ!!

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ:

* هُوَ إِمَامٌ مِنَ الْأَثَمَةِ، كَانَ لَا يُدَلَّسُ، وَيتكلم في الرجال، وفي الفقه!

* وقد ظهر له نحوٌ من عشرة آلاف حديث، وما رأيتُ في يده كتاباً

قط...!

* كان مجلسه عند قصر المأمون، فبنى له شبه منبر، وحزروا مجلسه

أربعين ألفَ رجل...!

* ولي قضاءً مكّة، ثم رجَعَ إلى البصرة ومات بها سنةً أربعٍ وعشرين

ومائتين...!

مصادر الترجمة:

طبقات ابن سعد: ٣٠٠/٧، التاريخ الكبير للبخاري: ٨/٤، تاريخ بغداد:

٣٣/٩، سير أعلام النبلاء: ٣٣٠/١٠.

* * *

القاضي أبو عبد الله المحاملي

* وذكر أبو سعيد السمعاني أنه كان يحضر مجلس إملاء الإمام
القاضي أبو عبد الله المحاملي عشرة آلاف رجل.

الشَّرْحُ وَالنَّعْلِقُ

القاضي أبو عبد الله المحاملي :

* هو الإمام العلامة المحدث الثقة مُسْنِدُ الوقتِ أبو عبد الله الحسين بن
إسماعيل بن محمد الضبي البغدادي!!

* وُلِدَ سنةَ خمسٍ وثلاثين ومائتين، وطلب العلمَ حتَّى صار مُسْنِدَ أهلِ
العراق، وتصدَّر للإفادة والفتيا ستين سنة!!

* سمع من أبي حذافة السهمي صاحب مالِك، ومن عمرو بن علي
الفلَّاس، وحدث عنه دَعْلُجُ بْنُ أَحْمَدَ، والطبراني، والدارقطني وخلق!!

قال عنه الخطيب :

* كان فاضلاً ديناً، ولي قضاء الكوفة ستين سنة . . . !

وقال الداوودي :

* كان يحضر مجلس المحاملي عشرة آلاف رجل: توفي سنة ثلاثين
وثلاثمائة.

مصادر ترجمته :

* تاريخ بغداد : ١٩/٨ ، تذكرة الحفاظ : ٨٢٤/٣ ، البداية والنهاية :
٢٠٣/١١ ، سير أعلام النبلاء : ٢٥٨/١٥ .

* * *

شَهَابُ الدِّينِ الشُّهُورِ دِي وَجَمَالُ الدِّينِ

* رأيت بخط الشيخ - رحمه الله - في مواضع مفرقة، سمعتُ شيخنا وسيدنا الإمام الحافظ زين الدين - رضي الله تعالى عنه - مرتين آخرهما يوم الأربعاء الثالث من شهر رمضان المعظم، سنة سبع وخمسين وستمائة!!

يقول:

* وعظ الشيخُ الجليلُ شهابُ الدين الشُّهُورِ دِي - رضي الله تعالى عنه - بدمشق مماها الله تعالى وصانها!!

* فقرأ القرآن الأعزُّ بن إبراهيم بن محمد الممدوح بن علي الربيني بن عبد الله الجواد بن جعفر!

* فتواجد الشيخ وخلع أثوابه، فاشتراها منهم جمال الدين للتبرك بخمسمائة درهم...!

* وكان - رضي الله عنه - لا يُضيع من أوقاته شيئاً؛ بل لا يزال مشغلاً بالصلاة، والقراءة، والذكر - رضي الله تعالى عنه - ...!

* وكان شيخنا - رضي الله عنه - لبسَ منه خرقة وصحبه مدة في بغداد بالرباط - رضي الله تعالى عنهما - ...!

* سمعت شيخنا وسيدنا الإمام الصالح العارف بقية شيوخ الطريقة شرف الدين أبا إسماعيل محمد بن إبراهيم بن صري بن

هرماس بن نجار بن عقيل بن جابر بن حكام بن حكمة بن يوسف بن
جعفر الطيار بن أبي طالب!

* وهذا نسبه أملانيه يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رمضان
سنة تسع وخمسين وستمائة بالمدرسة الرواحية بدمشق عمّاها الله تعالى
وصاترها !! سمعته يقول عن الشيخ الفقيه الإمام الصالح محمد البرسي ...!
قال: ننظر الحافظ عبد الغني ونحن جماعة فيهم يفتون.

* فلما وضع رجله على درجة الكرسي قلت في نفسي:

* بأي شيء فضّلك الله علينا؟ فالتفت إليّ وقال:

يا مُذْبِرُ!! مَنْ خَرَمَ خُرْمٍ، مَنْ خَرَمَ خُرْمٍ، مَنْ خَرَمَ خُرْمٍ فَقُلْتُ:
أمنت بالله.

الشرح والتعليق

شهاب الدين السهروردي:

* هو الإمام العالم المفتي الزاهد أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن
محمد بن عمّويه، وينتسب إلى أبي بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه - . كان
شيخ بغداد، شافعيًا صوفيًا واعظًا ...!

* ولد بسهرورد سنة تسعين وأربعمائة، وقدم بغداد، وسمع من علمائها،
وتفقه بالنظامية!!

* ثم أثر الانقطاع وتجرد، وسلك طريقاً وعراً في المجاهدة، ثم شرع في
دعاء الخلق إلى الله تعالى ...!

* فأقبل الناس عليه، وصار له قبولٌ عظيم، وأفلح بسببه أمة صاروا
سُرُجاً، وبنى مدرسة ودرّس وأفتى ...!

* توفي سنة ثلاث وستين وخمسمائة، ودفن بالنظامية.

مصادر ترجمته :

الأنساب : ١٩٧/٧ ، المنتظم : ٢٢٥/١٠ ، طبقات الشافعية للسبكي :

١٧٣/٧ ، طبقات الشعراي ٤٠/١ ب ، السير : ٤٧٥/٢٠ .

قوله : لبس منه خرقة . . . إلخ :

* فلبسُ الخرقة - والله أعلم - كنايةٌ عن الانتساب لهذه الطائفة والدخول

في سلوكهم ، ويا لها من غبطة وشرف !!

* فالإمام النووي أكرمه الله بخدمة هؤلاء الفقراء ، أعني مشايخ التزكية

- رضي الله عنهم - ، ونفعنا بهم .

أو نترك اللباس على ظاهره من إزار أو ردآء . اهـ .

قوله : يفتون :

أي بلغوا في العلم مقام الإفتاء . . . !

وقوله : قلت في نفسي . . . فالتفت إلي وقال . . . إلخ !

هذا الكشف قد ورد عن كثير من الأولياء وهو : نور من نور الله تعالى

يقذفه الله في قلوب من يحب من أحبائه ، فيرون البعيد قريباً ، والخفي جلياً . . . !

عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

* فهذا هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ينادي قائده الكبير وهو على

منبر الجمعة ، بعدما قطع حديثه :

* يَا سَارِيَةَ الْجَبَلِ ، أي اعتصم من عدوك بالجبل ، فوقع صوتُ عمر في

أذن سارية ، فنفذ ما أمره . . . !

والقصة مشهورة ومأثورة . انظر ص ٣١٤ من هذا الكتاب .

عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

* وما هو ثالث الخلفاء ذو النورين، عثمان بن عفان، يدخل عليه رجل قد نظر إلى امرأة نظرة خيانة فقال عثمان رضي الله تعالى عنه:

* أيأتي أحدكم إلينا وفي عينيه آثار الزنى؟

فوقف الرجل مدهوشاً مبهوتاً قائلاً:

* أوحى بعد رسول الله؟

فقال عثمان: لا، ولكن...

اتقوا فِرَاسَةَ المُرْسَمَةِ فإنه ينظر بنور الله.

شَيْخِي أَبُو النَّصْرِ خَلَفَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

* وقد وقع لي وأنا العبدُ الضعيف مع شيخِي أبي النصر خلف الحمصي،

— رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى — وَقَدَّسَ رُوحَهُ!!

* كنتُ عنده في حمص، جالساً إلى جانبه في زاويته، فخطر لي في قلبي

أنَّ الشيخَ طلابُهُ كثيرون، ومحَبُّوه أكثر، فأين أنا من هذا العدد الكبير؟

لو غبت عنه فهل أمرُّ على ذاكرته يا ترى؟

* وكنتُ مستصحباً معي مِنْشَفَةً جديدةً، فَقَلَّبتُ في نفسي:

سأبقي هذه المنشفة في زاوية الشيخ، فكلما رآها تذكَّرني فكنتُ سعيداً بهذه

الذكرى!!

وهذا خاطر قد جال في خلدي، وعزمتُ على تنفيذه...

* فالتفتُ إليَّ الشيخُ حالاً وقال لي بعبارة واضحة جليَّة:

أنا أذكرك بدون شيء...

* وله من هذه المكاشفات الشيء الكثير فرضي الله تعالى عن أوليائه ونفعنا

بهم وحشرنا معهم وفي زميرتهم... فالإيمانُ بهم ولايةٌ صغرى...! فافهم...

هذا.

كَرَامَةُ لِصَاحِبِ الْمَذْهَبِ

* وَسمعت سيدنا الشيخَ كمالَ الدين سَلَّارَ حَفَظَهُ اللهُ تَعَالَى يحكي عن بعض الفقهاء: أَنَّهُ وَضَعَ المَهْذَبَ تحت رَأْسِهِ وَنام فَاحتلم في منامه، ورأى الشيخَ أبا إِسحاق مُصَنِّفَ المَهْذَبِ في المنام فدفعه برجله، وَقَالَ لَهُ:

* أَقعد أَمَا يَكْفِيكَ أَنَّكَ وَضعت المَهْذَبَ تحتَ رَأْسِكَ ثم صرتَ جُنْبًا. أَوْكَمَا قَالَ.

السَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

سَلَّارُ:

هو سَلَّارُ بْنُ الحسنِ بنِ عُمَرَ بنِ سعيد، الشيخ كمال الدين أبو الفضائل الإربلي مفتي الشام ومفيده!

* الشافعي شيخ الأصحاب، ومفيد الطلاب، تفقه على ابن الصلاح، وانتفع منه خلق كثير منهم النووي...!

* وقد اختصر البحرَ للرويانِي تلميذُ الشيخ تقي الدين بن الصلاح، وشيخ الإمام النووي...!

قال الإمام النووي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - :

* هو شيخنا المجمعُ على إمامته، وجلالته، وتقدمه في علم المذهب على أهل عصره بهذه النواحي...!

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

* هو إمام المذهب في عصره، والرجوعُ إليه في حلِّ مشكلاته، وتعرُّفِ خفيَّاته، والمُتَّفِقُ على إمامته، وجلالته، ونزاهته!

* تفقَّه على جماعة منهم: الإمام أبو بكر الماهاني!!

* وكان البادراني قد جعله معيداً بمدرسته، فلم يزل على ذلك إلى أن مات، ولم يُرَدَّ منصباً آخر!!

* [والبادراني هو: عبد الله بن أبي الوفاء محمد بن الحسن، واقف المدرسة البادرانية...]

* والمدرسة المذكورة تقع في محلة العمارة الجوانية في دمشق الشام].

قال الشريف عزّ الدّين :

* وكان عليه مدار الفتوى بالشام في وقته، ولم يترك بعده في بلاد الشام مثله، توفي في جمادى الآخرة سنة سبعين وستمائة عن بضع وستين سنة...

مصادر الترجمة :

* طبقات الشافعية للإسنوي: ٦٩/٢، البداية والنهاية: ١٣/٢٦٢،
شذرات الذهب: ٣٣١/٥.

وكتاب المذهب :

أي المُتَّقَى من الخطأ. والتهذيب: كالتنقية!!

ورجل مذهب، أي مُطَهَّرُ الأخلاق، نقيٌّ من العيوب.

قال النابغة :

وَلَسْتَ بِمَسْبُوبٍ أَحْطَا لَا تَأْمَهُ
عَلَى سَعْيِ أَيِّ الرِّجَالِ الْمُهَزَّبِ ؟

معناه :

* أي الرجال الذي هو طاهرٌ نقيٌّ لا عيبَ فيه فإنك لا تجده ولا سيّما في مثل هذه الأيام...!

وكتاب المذهب :

* هو للإمام الزاهدِ الموقِّ أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي...!

* كتابٌ عظيم قد جمع مؤلفه : العبادات والمعاملات بمجلدين على مذهب الإمام الشافعي...!

* فأكثرَ فيهما من المسائل المفيدة والأحكام المنيفة!

فهو مرجع من مراجع كتب الشافعية المتفق على فضله...!

* وقد علق على كتاب المذهب وشرحه شرحاً لطيفاً العلامة محمد بن أحمد بن بطلال الركبي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - الذي هو من أفذاذ العلماء...!

اهـ كتبه محمد

* * *

كرامة في تكثير القليل

* سمعت شيخنا وسيدنا الإمام الفاضل، والعلامة البارع عز الدين، أبا جعفر عمر بن أسعد بن أبي غالب الإيلي المفتي الشافعي - رحمه الله - يوم الثاني من شعبان سنة تسع وخمسين وستمائة، بالمدرسة الرواحية بدمشق حماتها الله وصانها وسائر بلاد الإسلام وأهلها آمين...!

يقول: قال بعض الفقهاء:

* كتب الشيخ كتاب نهاية المطلب، وكان لي عادة أن أكتب في الليل أوراقاً معلومة، فكنْتُ ليلة أكتب، فنظرتُ إلى السراج فوجدتُ زيتَه قليلاً لا يكفي لي تمام الوظيفة!!

قال:

* واشتغلتُ بالكتابة، وذهلت عنها، فما ذكرتُ ذلك حتى كتبتُ الوظيفة بتمامها!!

* فعددتُ الأوراق، فلما فرغتُ من عدّها وذكرتُ دعائي، فنظرتُ إلى السراج فانطفاً مع نظري إليه، أو كما قال:

الشرح والتعليق

أقول:

كلُّ كرامةٍ لوليٍّ معجزةٌ لنبي. انظر ص ٣٠٨ حديث أنس - رضي الله تعالى عنه -، ونبع الماء من كفِّه عليه الصلاة والسلام ص ٣٣٤ في الحاشية، وأمثال هذه كثيرةٌ جداً أكثر من أن تُحصى من تكثير القليل... وهكذا!

نجم الدين عيسى الكردي

* توفي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ رِضْوَانُهُ - الشيخ الفقيه
نجم الدين عيسى الكردي الشافعي سنة ست وخمسين وستمائة، وأُظنه
في شعبان!

* كان فقيهاً بالمدرسة الرواحية صَاحِبَها اللهُ تَعَالَى بِمَدِينَةِ دِمَشْقَ
حَمَاهَا اللهُ تَعَالَى !!

وصرف عنها كلَّ قاصد لها بسوء، وأدامها دارَ الإسلام أبداً وسائرَ
بلاد الإسلام وأهلها...!

* فرأيتُه في المنام بعدَ موته بأيام بعد ليلة الجمعة، وعرفتُ أنه
قد مات فسَلَّمْتُ عليه وقلْتُ لَهُ: أحييتَ يا نجمَ الدين وجئتُ؟؟
وَقُلْتُ لَهُ:

* لقد قال الغزالي في كتاب الموت من كتاب إحياء علوم
الدين:

* إِنَّ الموت أمر عظيمٌ، ولم يأتنا أحدٌ بعد الموت يخبرنا عن
حقيقته!

* ولا يعرف حقيقته إلا من ذاقه، ثم قُلْتُ: أخبرنا عن حقيقة
الموت!

فقال: هو وإن كان صعباً لكنه لحظةٌ يسيرةٌ، ثم تنقضي...!

قلْتُ: فما حالُك بعده؟

فقال: هناك يعني عند الله تعالى خيرٌ كثير...!
كأنه يُشير إلى أن حالته حسنةٌ بفضل الله تعالى أو كما رأيت.

* * *

شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ النَّوَوِيُّ

* ومات في هذه السنة الفقيه شمس الدين محمد النوي
- رضي الله تعالى عنه - ...!

* وعليه قرأت الختم الشريفة فرأيتُه في المنام - رحمه الله
تعالى - بعد موته فعرفت أنه ميتٌ فقلْتُ:

* ما حالُك يا شمس الدين أنت في الجنة؟ فقال:

اليوم لا ندخل الجنة إلا بعد قيام الساعة فقلْتُ له:

* صدقت، فإنه لا يدخل الجنة اليوم إلا الأنبياء صلوات الله
وسلامه عليهم والشهداء!!

* وأما غيرُهم فينعم في غيرها قبل مجيء الآخرة، ثم يدخلون
الجنة بعد قيام الساعة كما جاءت الشريعة!!

* ثم قلت له: قد جاء أن الروح ترجع إلى البدن قبل مسألة منكر
ونكير، متى رجوعها إلى الجسد، بعد الوضع في القبر، أو قبله في حال
حمل الميت في النعش؟

فقال:

* بعد الوضع في القبر، - رَحِمَهُ اللهُ - وإيائي ووالدينا ومشايخنا وَمَنْ نفعنا من أصحابنا ومن أسأنا إليه وسائر المسلمين آمين...!

* سمعت صاحبنا الشيخ الإمام الزاهد الورع العارف شمس الدين يومَ الثلاثاء، الحادي والعشرين، من جمادى الأولى، سنة إحدى وستين وستمائة، بالخانقاه الشميصاتية بدمشق صَاحَاها اللهُ تَعَالَى يقول:

* جرى من أيام يعني قليلةً كلامٌ بينَ شيخين إمامين من أصحابنا في شهود ما عَيَّنهما لي، لا أوتر أنا ذكرهما...! قال:

* وجرى بينهما مباحثةٌ في أن القرآن في المصاحف والصدور لا على سبيل الحلول، كما قاله أصحابنا، وإن نفس الحبر المكتوب ليس هو الكلام القديم؛ بل دال عليه!!

* ثم إنهما طلبا الإرشاد من إمام الحرمين لينظرا ما ذُكِرَ فيه، فنظراه ثم انصرفنا...!

* فرأيت في تلك الليلة كأن بحرأ في وَسْطِهِ شيء، وذلك الشيء هو مطلوب الناس!!

وجميع علماء المسلمين يُحيطون به، ينظرون إلى ذلك الشيء شاخصون إليه، لا يدرون ما هو ولا يُدركونه!!

قَالَ: ورأيت إمام الحرمين دخل بين الناس وشمر ثوبه، ودخل في ذلك البحر نحو خمسة عشر ذراعاً، ثم لم يقدر على مجاوزته!!
* فوقف هناك كما هو، وسائر العلماء كما هم يحيطون بالبحر، ناظرون إلى ذلك الشيء!!

قَالَ: ووراء العلماء خلق كثير ممن كان يشتغل بعلوم الأوائل أعني العلوم العقلية: كعلم الهيئة، وعلم المنطق وأصول الدين!!
* ومن كان يشتغل بالخلاف ممن يُنسبون إلى قلة الدين، وترك الصلاة، وسوء الاعتقاد وهم مَنْ أعرفهم!

* فرأيتهم كلهم وراء الناس، وهناك كلاب تبول على جميعهم!
وعُيِّنَ لي منهم إنسانٌ، أعرفه أنا ممن كان فنه الخلاف!
* حُسِبَ ونُسِبَ إلى قلة الدين، لا أوثرُ أنا تعيينه...!

قَالَ: رأيتُه سكراناً أو كما قاله شمس الدين...!

* نَسَأُ اللهَ الْكَرِيمَ الْمَنَّانَ ذَا الْعِظَمَةِ وَالسُّلْطَانِ، وَالْفَضْلِ
وَالْإِعْتِنَانِ الرَّؤُوفِ الرَّحْمَنَ، أَنْ يُجَسِّدَ الْعَاقِبَةَ لَنَا، وَلِوَالِدِينَا، وَمَشَايِخِنَا،
وَأَصْحَابِنَا وَمَنْ نَحِبُ، وَالْمُسَاعِدِينَ أَجْمَعِينَ آمِينَ.

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيلُ

قوله: بعد الوضع في القبر:
أي وبعد انصراف الناس عن قبره كما سمعتُ من بعض من أثق به من مشايخي، فتعود إليه الروح لسؤال الملائكة له، نسأله تعالى السداد والثبات. اهـ.

والخانقاه الشميصاتية :

* تقع هذه المدرسة قرب جامع الأموي في الجانب الشمالي منه . . . !
هي مدرسة أثرية قديمة، كبيرة المساحة، واسعة الأرجاء، كثيرة المرافق
والمنافع والغرف!!

* صالحة لأن تكون أزهرًا ثانيًا، ولكن ويا للأسف قد مر عليها زمن كانت
في عداد الأموات فأصبحت مغلقة لا تزار إلا في مناسبات كالمتاحف الأثرية!!
* فكانت اليد الطولى في إخراجها من العدم للشيخ علي الدقر بإيحاء من
شيخه الشيخ بدر الدين الحسني!!

* فانتزعت من الأوقاف، وأدخل فيها الطلاب، وتخرج منها العلماء: من
قضاة، ومفاتي، وأئمة، وخطباء، فأثمرت بإذن ربها، وأينعت، وآتت أكلها!!
* ولم تزل الآن في يد الشيخ عبد الغني الدقر ابن المرحوم الشيخ علي،
فهو قائم بمهمتها والإشراف عليها وسميت بمدرسة الغراء!!

* تضم ما يزيد على أربعمائة طالب كما ذكر لي الأخ العزيز الشيخ محمد
عوض، فالله أسأل أن يحفظها وسائر المعاهد الإسلامية من عبث العابثين، وأيدي
الملحدين، ومكر المكارين.

كتبه محمد

* * *

أَبُو يَعْقُوبَ الْكَرَّامِيُّ

* وذكر السمعاني في الأنساب أَنَّ أبا يعقوبَ إِسحاقَ بنَ ممشاد الراهد الكرَّامي كان حسنَ الوعظ ، فأسلم على يده خمسةُ آلاف رجلٍ ، وامرأةً من أهل الكباثر والمجوس . اهـ .

* * *

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مَيْسَرٍ

* وروينا عن الإمام أبي بكر الأنباري قَالَ : سمعتُ أحمدَ بنَ يحيى يعني أبا العباس يقول :

* سمعنا من القواريري مائة ألف حديث .

يعني بالقواريري عبدُ الله ابنَ عمرَ بنِ ميسر ، أبا سعيد الحشمي ، مولا هم البصري ثم البغدادي .

* * *

مَا نَقَلَهُ الشَّيْخُ بَدْرُ الدِّينِ

* ورأيت بخط الشيخ - رَحِمَهُ اللَّهُ - تعليقاً في مواضع متفرقة سمعتُ شيخنا القاضي الإمامَ مجموعَ أنواعِ الحسنةِ ، بقيةُ الشيوخ والعلماء ، بدرُ الدين أبا عبدِ الله محمدَ بنَ إبراهيم بنِ خلكان ، الإربلي الشافعي - رضي الله تعالى عنه - يومَ الأربعاء ، السادس عشر من رجب ، سنة ستين وستمائة يقول :

* رأيت امرأة - يظنها قال صالحة ومعناه - حفظت القرآن
العزیز کلہ فی سبعین يوماً.

* * *

کمال الدین سلار

* سمعت شيخنا قاضي الإسلام كمال الدين سلار - رضي الله
تعالى عنه - يقول :
حفظتُ «التنبيه» في أربعة أشهر .

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيلُ

«التنبيه» :

هو في الفقه في فروع الشافعية . . . !
للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ت ٤٧٦ هـ .
وهو أحد الكتب الخمسة المشهورة ، المتداولة بين الشافعية وأكثرها
تداولاً ، لما مدح به النووي في تهذيبه !!
أخذه من تعليقة الشيخ أبي حامد المروزي .
فرغ من تصنيفه سنة ٤٥٣ هـ .
ولبعضهم في مدحه :

يَا كَوْكَبًا مَلَأَ الْبَصَائِرَ نُورُهُ
مَنْ ذَا الَّذِي لَكَ فِي الْأَنَامِ شَبِيهَا
كَانَتْ خَوَاطِرُنَا نِيَامًا بُرْهَةً
فَرَزَقْنَا مَنْ تَنَبَّهَ تَنَبُّهُهَا

وله شروح كثيرة، وللنووي: تصحيح التنبيه، ويسمى: العمدة في تصحيح التنبيه. ولعز الدين بن جماعة مقصد النبيه في شرح خطبة التنبيه. طبع الميمنية ١٣٢٩هـ في ١٦٠ ص، وبالعالم الكتب بيروت مؤخراً.

معجم المطبوعات العربية: ١١٧١/٢ - ١١٧٢.

وشرح التنبيه للشيرازي اسمه: «غنية الفقيه».

المؤلف: شرف الدين أحمد بن موسى بن يونس أبو الفضل الإربلي ت ٦٢٢هـ مخطوط في الظاهرية بدمشق.

المصدر: الإعلام للزركلي: ٢٦١/١.

* * *

تأليفُ الإمامِ الغزاليّ

سمعت شيخنا البتليسي حفظه الله مراتٍ يقول :

* أحصيت كتب الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - التي صنفها

ووزعت على عمره . . . !

* فخصت كلَّ يوم أربع كراريس . . . !

وذلك فضل الله يؤتيه مَنْ يشاء .

الشرحُ والتعليقُ

أقول :

* هذه كرامة للإمام الغزالي وهي تعتبر من طي الزمان . . . !

فإنَّ الله تعالى يبارك في الزمن القليل مع الإنتاج الكثير . . . !

وهو أكبر محققٍ ومربٍّ في علم النفس !!

* * *

تَصَانِيفُ الشَّافِعِيِّ وَالْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

قلتُ:

ومن المشهورين بكثرة التصنيف:

* ١ - إمامنا الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي . . . !

* ٢ - والإمام أبو الحسن الأشعري . . .

- رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - . . . !

* ٣ - وقد عدد الإمام أبو بكر البيهقي - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -

مصنفات الشافعي . . . !

* وعدَّد الإمامُ حافظُ الشام؛ بل حافظ الدنيا أبو القاسم

المعروف بابن عساكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في كتابه تبينَ كذب المُفْتَرِي

فيما نُسِبَ إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، تصانيف^(١) الأشعري أنها

نحو ثلاثمائة تصنيف . اهـ .

الشَّرْحُ وَالْعَلِيقُ

الإمام الشافعي:

* هو الإمام العظيم، عالمُ العصر، ناصرُ الحديث، فقيهُ الملة، محمدُ بنُ

إدريس بن العباس القرشي المُطَلِّبي الشافعي المكي !!

ولد بغزة سنة ١٥٠، ومات أبوه إدريس شاباً !!

(١) تصانيف مفعول به لعدَّد.

* فنشأ محمد يتيماً في حجر أمّه فتحوّلت به إلى مكة وهو ابنُ عامين فنشأ بها...

وأقبل على الرمي حتّى فاق فيه الأقران!!

* ثم أقبل على العربية والشعر فبرع في ذلك!!

ثم حُبّب إليه الفقه فساد أهل زمانه!!

* أخذ العلم بمكة عن مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة، وسفيان بن عيينة وفضيل بن عياض...

* وارتحل وهو ابن نيف وعشرين سنة إلى المدينة فحمل عن مالك «الموطأ» عرّضه من حفظه...

* وسافر إلى اليمن وبغداد ومصر، وصنّف التصانيف، ودوّن العلم، وصنّف في أصول الفقه وفروعه، توفي سنة ٢٠٤.

مصادر الترجمة:

* التاريخ الكبير للبخاري: ١/٤٢، حلية الأولياء: ٩/٦٣، مناقب الشافعي للبيهقي.

وأبو الحسن الأشعري:

* هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر واسمُه: إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال ابن أبي بردة ابن صاحب رسول الله ﷺ أبي موسى الأشعري عبد الله بن قيس!!

* ولد الشيخ أبو الحسن سنة ستين ومائتين، وكان أولاً أخذ عن أبي علي الجبائي وتبعه في الاعتزال!!

* ثم ترك هذا المذهب على إثر رؤية رأى فيها رسول الله ﷺ...

* وهو بصري من قوم أبي موسى وأولاده من الذين أوتوا العلم، ورزقوا الفهم.

انظر: طبقات الشافعية: ٢/٢٤٥.

مَا نَقَلَهُ شَيْخُ الْمُؤَلِّفِ

* سمعت شيخنا وسيدنا الإمام الجليل، والسيد النبيل، الحافظ المحقق، والمقتبس المدقق، الضابط المتقن، والمشفق المحسن، الورع الزاهد، والمجتهد العابد:

* بقية الحفاظ المفتي شيخ الأئمة والمحدثين، ضياء الدين أبا إسحاق، إبراهيم بن عيسى المرادي يقول في يوم الأربعاء السابع من شوال ثمان وخمسين وستمائة بالمدرسة البادرانية بدمشق، صمّاها الله وصانها.

قال:

* سمعت الشيخ عبد العظيم - رحمه الله - يقول:

* كتبت بيدي تسعين مجلدة، وكتبت سبعمئة جزء كل ذلك من علوم الحديث:

* تصنيف وغيره.

وكتب ذلك من مصنفاته وغيرها أشياء كثيرة...

قال شيخنا:

* ولم أر ولم أسمع أحداً أكثر اجتهاداً منه في الاشتغال: كان دائم الاشتغال في الليل والنهار...!

قَالَ:

* وجاورته في المدرسة يعني بالقاهرة - صحاها الله - بيتي فوق
بيته اثنتي عشر سنة!!

* فلم أستيقظ في ليلة من الليالي ساعة من ساعات الليل إلا
وجدت ضوء السراج في بيته وهو مشغل بالعلم...

* وحتى كان في حال الأكل، والكتاب والكتب عنده يشغل
فيها!!

* وذكر من تحقيقه، وشدة بحثه، وتفننه ما أعجز عن التعبير
عنه...!

قَالَ:

* وكان لا يخرج من المدرسة لا لعزاء ولا لهناء، ولا لفرجة
ولا لغير ذلك إلا للصلاة الجمعة؛ بل يستغرق كل الأوقات في العلم
- رضي الله تعالى عنه وعنه والدينا والمسبحين - ...؟

* سمعت شيخنا ضياء الدين - رضي الله تعالى عنه - يقول:
كتبت صحيح البخاري في ست مجلدات بقلم واحد، ولكن كنت أبريه،
وكتبت بذلك القلم أشياء بعد البخاري وذلك بمدينة القاهرة صحاها الله
تعالى^(١).

* قال ابن قتيبة في أدب الكاتب: برت القلم أبريه برياً.

* * *

(١) هذه أمور كادت ألا تُصدق لولا تواتر النقل، فرضي الله عن الجميع ورزقنا حسن
التوفيق. فالاعتقاد بما نقل عن هؤلاء السادة البهاليل ولاية صغرى...!

أَبُو بَكْرٍ الْكَتَّانِي

قال أبو سعيد السمعاني في كتاب الأنساب :

* ختم الشيخ أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني في الطواف اثني عشر ألف ختمة .

ومات سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة .

الشرح والتعليق

أَبُو بَكْرٍ الْكَتَّانِي :

هو محمد بن علي بن جعفر البغدادي القدوة العارف . . . !

* شيخ الصوفية !!

وكان من الأولياء . . . !

* حكى عن أبي سعيد الخراز ، وإبراهيم الخواص ، وعنه جعفر الخُلدي وآخرون .

ومات مجاوراً بمكة سنة ٣٢٢هـ .

مصادر الترجمة :

* حلية الأولياء : ٣٥٧/١٠ ، تاريخ بغداد : ٧٤/٣ ، صفة الصفوة :

٢٥٧/٢ ، سير أعلام النبلاء : ٥٣٣/١٤ .

والكتاني :

* بفتح الكاف وبالمثناة الفوقية ، نسبة إلى الكتان وعمله !!

* بَغْدَادِيّ الْأَصْلِ، صَحِبَ الْجَنِيدَ وَالْخِرَازَ...!

وَجَاوَرَ بِمَكَّةَ إِلَى أَنْ مَاتَ.

* نَظَرَ الْكَتَانِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - إِلَى شَيْخِ أَبِيضِ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ يَسْأَلُ النَّاسَ،

فَقَالَ:

* هَذَا رَجُلٌ أَضَاعَ حَقَّ اللَّهِ فِي صَغَرِهِ فَضِيعَةَ اللَّهِ فِي كِبَرِهِ...!

أَيُّ لَوْ تَعُودُ فِي صَغَرِهِ الْقِنَاعَةَ بِالْيَسِيرِ، وَتَخْلُقُ بِالْوَرَعِ وَالتَّوَكُّلِ لَمْ يُحَوِّجْهُ اللَّهُ آخَرَ عَمَرِهِ إِلَى سُؤَالِ النَّاسِ...!

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

* الشَّهْوَةُ لِبَنِي آدَمَ زِمَامُ الشَّيْطَانِ، أَيُّ يَجْرَهُمُ بِهَا إِلَى الْمَعَاصِي، فَمَنْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ بِزِمَامِهِ، بَانَ تَمَكُّنُ مِنْهُ لَشِدَّةِ مَحَبَّتِهِ لَشَهْوَاتِهِ كَانَ عَبْدَهُ، فَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ...!

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

* رَأَيْتُ الْمَصْطَفَى ﷺ فِي النَّوْمِ، فَقُلْتُ :

ادْعِ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ لَا يَمِيتَ قَلْبِي!

فَقَالَ:

* قُلْ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ مَرَّةٍ: يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ...!

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

* رَأَيْتُ حَوْرَاءَ، فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتِ؟

قَالَتْ :

* لِمَنْ حَبَسَ نَفْسَهُ عَنْ مَأْلُوفِهَا.

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

* ١ - الْإِنْسُ بِمَخْلُوقٍ عَقُوبَةُ!

* ٢ - والقربُ من الدنيا وأهلها معصية!

* ٣ - والركونُ إليهم مَذَلَّةٌ!

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

مَنْ أَصْبَحَ وَعِنْدَهُ هَمَّانِ :

* ١ - هُمُ المعصية...

* ٢ - وَهُمْ جَمْعُ المال...

فَاللَّهُ مِنْهُ بَرِيءٌ...

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

كَانَ فِي رَأْسِي وَجَعٌ، فَرَأَيْتُ الْمُصْطَفَى ﷺ فَقَالَ :

اكَتَبَ هَذَا الدُّعَاءُ :

* «اللَّهُمَّ بَثْبُوثُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَبَعْظِيمُ الصَّمَدِيَّةِ، وَبَسْطَوَاتُ الْإِلَهِيَّةِ، وَبِقَدَمِ

الْجَبْرُوتِيَّةِ، وَبِقُدْرَةِ الْوَحْدَانِيَّةِ».

* فَكَتَبْتَهُ وَجَعَلْتَهُ عَلَى رَأْسِي...

فَسَكَنَ حَالًا...

* * *

عز الدين الأربلي

* سمعتُ شَيْخِي وَسَيِّدِي الْإِمَامَ الْعَلَامَةَ، الْمَفْتِيَّ، الْمَدْقُقَ،
الْمَتَّقْنَ مَجْمُوعُ أَنْوَاعِ الْمَحَاسِنِ:

* عَزَّ الدِّينَ أَبَا حَفْصٍ عَمْرَ بْنَ أَسَدَ بْنِ أَبِي غَالِبٍ
الْأَرْبَلِيَّ الشَّافِعِيَّ، - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - مَرَّاتٍ آخِرُهَا يَوْمَ
الْجُمُعَةِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ، سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتْمِائَةَ
يَقُولُ:

* كُلُّ عَامِلٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِطَاعَةٍ، فَهُوَ زَاكِرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

ثُمَّ رَأَيْتُ ذَلِكَ مَنْقُولًا فِي شَرْحِ السَّنَةِ لِأَبِي مُحَمَّدٍ الْبَغْوَیِّ مَنْقُولًا
عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

* * *

* هَذَا أَضْرَمًا وَجْهًا ...!

* رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ مُؤَلِّفُهُ وَلِيُّ اللَّهِ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ النَّوَوِي
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - وَعَنْهُ وَعَنْهُ الدُّنْيَا، وَمُسَانِدُنَا وَأَصْحَابُنَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَجْهَهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَافَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، صَلَوةً وَسَلَامًا مُتَلَازِمِينَ إِلَى
يَوْمِ الدِّينِ .

كَرِّرْ عَلَيْهِمْ هَدْيَهُمْ يَا حَادِي
فَهْدِيهِمْ بِجُلُودِ الْفُرَادِ الصَّارِي

تم للتأليف
بمحنته العالية وتوفيقه

الشَّرْحُ وَالْتَعْلِيْقُ

عَنْ الدِّينِ الْأَرْبَلِيِّ :

* هو أبو حفص عمر بن أسعد بن أبي غالب الربيعي الإربلي الإمام
المتقن !!

مصادر الترجمة :

* تهذيب الأسماء واللغات : ١٨/١ ، طبقات الشافعية للسبكي :
٣٠٨/٨ .

قوله : كل عامل لله . . . إلخ :

أقول :

* فالتاجر، والعامل، والصانع، والحائك، والمزارع، والمهندس،
والطبيب، والعالم، والمتعلم ! .

* وكل صاحب مهنة أو رب عمل، إذا أخلص كل فيما هو فيه، ونوى في
قلبه نفع المسلمين وإيصال المعروف والخير إلى الناس !

* فهو ذاكر لله تعالى حاضر معه ! فالذكر إذاً على نوعين :

١ - الأول :

* ذكرٌ خاص، وهو أن يلتزم الذاكر ذكراً معيناً: من قراءة قرآن، أو تلاوة

حديث، أو سرد دعاء أو ترديد اسم من أسمائه تعالى، فيُكثر من ذلك حتى ينجلي قلبه، ويطهر سره وتقرّ عينه، وينطبع حبُّ المذكور في مشاعره!

* فيشهد عند ذلك فناء مَنْ سواه، وأنه الباقي بعد زوال خلقه الحي الدائم.

٢ - والنّافي :

- * ذكرُّ عام وهو التزام كلّ صاحبِ حرفة حرفته متقناً لها وناصحاً، مخلصاً وصادقاً، داعياً إلى الله بحاله قبلَ قاله، حتى يكونَ قدوةً صالحةً في مجتمعه، ومثالاً حسناً بينَ أقرانه؛ لأن الإخلاص رائده، والصدق قائده. . .
- * ففائدته تكون أعمّ ونفعه أشمل :
- * إذا مات فذكره باقي، وأثره خالد، ومعروفه مسجل بقلم من نور على صفحات القلوب!
- * يُترحم عليه بعدَ رسمه، والخيرُ يجري في صحيفته وهو في مرقدّه. اهـ.

* * *

كلمة الختام

مَعْرُوفٌ وَإِلْحْسَانٌ

* لَقَدْ أَكْرَمَنِي اللَّهُ تَعَالَى حِينَ مُبَاشَرَتِي لِخِدْمَةِ هَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيمِ لِلطَّبْعَةِ الثَّالِثَةِ بِأَخٍ صَادِقٍ، وَمُحِبٍّ مُخْلِصٍ، فَكَانَتْ لَهُ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ فِي اسْتِخْرَاجِ تَرَاجِمِ بَعْضِ الرِّجَالِ مِمَّنْ ذَكَرَهُمُ الْمُصَنِّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَلَمْ يُعْرِفْ عَنْهُمْ شَيْءٌ وَهُوَ: الدُّكْتُورُ يُوسُفُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْمَرْعَشَلِي، جَزَاهُ اللَّهُ تَعَالَى خَيْرَ الْجَزَاءِ، لِأَنَّهُ قَدْ بَذَلَ جُهْدًا كَبِيرًا، وَفَرَّغَ وَقْتًا طَوِيلًا، فَكَانَ مُنْشِرِحَ الصَّدْرِ، مُحْتَسِبَ الْأَجْرِ، مُبْتَسِمَ الثَّغْرِ، حَيْثُ نَالَ شَرَفَ الْخِدْمَةِ لِكِتَابِ بُسْتَانِ الْعَارِفِينَ . . . !

* وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَعِزَّ بِهَذَا الْكِتَابِ لِنَفْعٍ، وَيَفْصَحَ بِفَوَائِدِهِ السَّمْعَ، وَيُصْلِحَ بِإِشْرَادَاتِهِ الْقُلُوبَ، وَيَمْنَحَنَا الْإِخْلَاصَ فِي الْأَعْمَالِ، وَأَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِحُسْنِ الْخِتَامِ، وَيَجْشُرَنَا وَأَحْبَابَنَا فِي زُمْرَةِ الْمُتَعَلِّمِينَ، مَعَ إِمَامِ الْمُرْشِدِينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ.

نزيلة المدينة المنورة

محمد محمود الحجار

الفهرس

المَوْضُوع	الصَّفْحَة
------------	------------

المَقْدَمَة	٥
-------------	---

التعريف بالإمام التّووي

نسبه ، مولده ، استغاله بالعلم ، حرصه عليه

— نَسَبُهُ ، مَوْلِدُهُ وَنَشَأَتُهُ	٧
— مُيُوضَعُهُ	٩
— تَلَامِيذُهُ	١٠
— آخِرَتُهُ ، وَحِفْظُهُ ، وَرُفُقُهُ	١٠
— تَصَانِيْفُهُ	١٢
— مَوَاقِفُهُ مَعَ الْمُلُوكِ	١٤
— وَفَاتُهُ	١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقْدَمَة الْمُؤَلَّفِ	١٩
الْمُرَادُ مِنَ الزَّهَادِ (ت)	٢١

- ٢٤ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ الدُّنْيَا
٢٦ بَيَانُ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ هَذَا الْكِتَابُ

باب في الإخلاص وإحصاء النية في جميع الأعمال الظاهرة والباطنة

- ٣٣ مَا وَرَدَ مِنَ آيَاتِ الْقُرْآنِ فِي الْإِخْلَاصِ
٣٨ حَدِيثُ رِغْمِ الْأَعْمَالِ بِالنِّيَّاتِ
٤١ — مَا اسْتَحَبَّهُ الْعُلَمَاءُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ

الأحاديث التي عليها مدار الإسلام

- ٤٧ تَمْهِيدٌ
٤٨ إِضَافَةُ الْكَلِمَةِ إِلَى قَائِلِهَا
٤٩ الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ
٥٠ التَّهَيُّعُ عَنِ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ
٥٣ الْحَلَالُ وَالْأَحْرَامُ
٥٥ جَمْعُ الْحَلَقِ
٥٩ تَرْكُ الرِّيْبِ
٦٢ تَرْكُ مَا لَا يَغْنِي
٦٣ انْحِبْ وَالْإِيمَانُ
٦٥ إِنَّ السَّطِيبَ
٦٨ لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ

٧١	الَّذِينَ النَّصِيحَةُ
٧٣	الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ
٧٤	الزُّهْدُ
٧٧	مَتَى يُسْتَحْلُ الدَّمُ ؟
٨١	مَتَى يُقَاتِلُ النَّاسُ ؟
٨٣	أَوْكَانُ الْإِسْلَامِ
٨٥	أَلْبَيِّنَةُ وَالْيَمِينُ
٨٧	أَلْبِرُّ وَالْإِشْمُ
٩٣	الْإِحْسَانُ وَالْتَحْنِينُ
٩٦	كَمَالُ الْإِيمَانِ
١٠٠	مَضَارُّ الْغَضَبِ
١٠٣	الْأَخْكَامُ وَالنَّحْدُودُ
١٠٦	الْتَفْوَى
١٠٩	حَدِيثُ مُعَاذِ الْعَظِيمِ (الْعَمَلُ الَّذِي يَدْخِلُ الْجَنَّةَ وَيُخْرِجُ مِنَ الْبَارِ)
١١٤	الْمَوْعِظَةُ الْمَوْثُورَةُ
١١٧	حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي لَدْعَايِهِمَا « أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ »
١١٩	حَدِيثُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ
	أَحَادِيثُ مُتَسلسِلَةٍ
١٢٥	الْأَلْسِنَةُ قَامَةٌ
١٢٨	الْتَحْيَاؤُ

١٣١ حَدِيثُ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

الْإِخْلَاصُ وَقَوْلُ الْأُئِمَّةِ فِيهِ

١٣٧ الدَّلِيلُ عَلَى الْإِخْلَاصِ مِنَ الْكُتُبِ وَالسُّنَنِ

١٤٠ أَقْوَالٌ فِي الْإِخْلَاصِ

١٥٠ الصَّدَقُ

١٥٥ فَصْلٌ فِي إِخْضَارِ النَّسَبِ

١٥٨ - أَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ فِي النَّسَبِ

١٦٠ فَصْلٌ: كَتَبُ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ

١٦٣ - الْمُهْتَجَّةُ وَالنَّسَبُ

فَصْلٌ فِيهِ مَوَاعِظٌ لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ وَالْعَارِفِينَ

١٦٩ أَبُو مَيْسَرَةَ الْمُؤْمِنِ

١٧٠ الْأِمَامُ الشَّافِعِيُّ

١٧١ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ

١٧٢ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِجِيِّ

١٧٣ الدَّارَانِيُّ

١٧٧ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ

١٨٢ يَحْيَى بْنُ مَعَاذٍ

١٨٢ أَبُو الْحَسَنِ الْوَاعِظُ

١٨٤ الْجُوعِيُّ

١٨٦ الرَّقَّاسِيُّ

١٨٩	المَغْرِبِي
١٩١	حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ أَيْضًا

بَابُ فِي نَفَائِسِ مَا ثَوْرَةٍ

٢٠١	قَوْلُ عَمَّارٍ
٢٠٤	أَقْوَالُ الْأُمَّةِ مِنَ السَّلَفِ
٢٠٤	قَوْلُ أَبِي كَثِيرٍ ، قَوْلُ رَبِيعَةَ
٢٠٦	قَوْلُ ابْنِ عُمَرَ ، قَوْلُ مُجَاهِدٍ ، قَوْلُ عَائِشَةَ ..
٢٠٧	قَوْلُ عُمَرَ ، قَوْلُ الشَّافِعِيِّ
٢٠٨	قَوْلُ الْحُجَيْنِدِ
٢١٠	قَوْلُ السَّرْعِيِّ ، قَوْلُ ابْنِ أَرْجَلٍ ، قَوْلُ ابْنِ الْحَارِثِ ..
٢١٢	قَوْلُ سَهْلٍ ، قَوْلُ إِسْحَرِ
٢١٤	قَوْلُ سَلَمَاتٍ
٢١٥	مِنْ أَقْوَالِ الشَّافِعِيِّ
٢١٦	قَوْلُ سُفْيَانَ
٢١٦	صُورَةُ مَرْبَعَةٍ ، لِلدَّارِمِيِّ
٢٢٠	قَوْلُ مَعْرِفِ الْكُرَّجِيِّ
٢٢١	شَذَرَاتُ حَسَنَةٍ
٢٢٤	إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ
٢٢٧	مَرْبِيعُ بْنُ حِرَاشٍ (مِنْ ثَمَرَاتِ الصَّدَقِ)

٢٣٠ الْحَاكِمُ بْنُ عُثَيْبَةَ ، أَبِي بْنِ كَعْبٍ
٢٣٢ فَضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ
٢٣٣ جَعْفَرُ الْخُلْدِيِّ (فَائِدَةُ لِرَدِّ الْأَضَالَةِ)
٢٣٦ كَيْدُ الشَّيْطَانِ
٢٣٨ أَبُو شَهَابٍ الزُّهْرِيُّ
٢٣٩ كِتَابُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ
٢٤٣ أَبُو عُمَانَ النَّهْدِيُّ
٢٤٦ قِصَّةُ جَابِرٍ وَشَهَابٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
٢٤٩ فِي الْكِرَامِ مَنْ لَهُ نِسْبَةٌ إِلَى الْمَحْبُوبِ

أَنَارُ الْإِسْتِزَارِ مَعَ ذِكْرِ قِصَصٍ لَهَا

٢٥٣ ١- قِصَّةُ الْمُسْتَهْزِئِ بِالْمَلَائِكَةِ
٢٥٤ ٢- قِصَّةُ ثَانِيَةٍ فِي ذَلِكَ
٢٥٥ ٣- قِصَّةُ الْمُسْتَهْزِئِ بِحَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ حَوْلَ مَبِيتِ الْيَدِ
٢٥٦ ٤- قِصَّةُ الْمُسْتَهْزِئِ بِأَهْلِ الْخَيْرِ

بَاقَةٌ مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ

٢٦١ مَا قَالَهُ مَعْرُوفٌ
٢٦٤ مَا قَالَهُ الْفَضِيلُ
٢٦٦ مَا قَالَهُ سَهْلٌ
٢٦٧ حَالُ شُعْبَةَ

٢٦٨ مَا قَالَه الإمام الشافعي
٢٧٠ مِنْ مَوَاعِظِ الإمام الشافعي رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ
٢٧١ - خَفَايَا الرِّبَا
٢٧٦ وَصِيَّةُ السَّريِّ السَّقِطِي رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ
٢٧٨ ابنُ أبي مَرْشِد
٢٨٠ مَا قَالَهُ المُحْسِنُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ
٢٨٠ طَاعَةُ المَوْذِبِ
٢٨١ فِي التَّغْزِيَةِ
٢٨٣ أَشْرُ الذَّنْبِ
٢٨٤ اللِّحْنُ فِي الْعَمَلِ
٢٨٥ المُخْلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ

كِرَامَاتُ الأولِيَاءِ وَمَوَاهِبُهُمْ

٢٩١ تَمْهِيدٌ
٢٩٣ قِصَّةُ مُرَيْمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ
٢٩٥ قِصَّةُ صَاحِبِ سَلَمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
٢٩٧ قِصَّةُ أُمِّ مُوسَى عَلَيْهَا السَّلَامُ
٣٠٠ قِصَّةُ ذِي الْقَرْنَيْنِ
٣٠٢ أَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ فِي الْحَضَرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
٣٠٦ قِصَّةُ أَهْلِ الكَهْفِ

٣٠٨	قِصَّةُ الْمُصْبِحِينَ حَدِيثُ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ
٣٠٩	أَصْحَابُ الْفَارِ
٣١٢	قِصَّةُ جَدِّجٍ
٣١٤	قِصَّةُ عُمَرَ
٣١٥	قِصَّةُ أُمِّ أَبِي مَعْنٍ
٣١٦	قِصَّةُ حُبَيْبٍ
٣١٨	الزُّدُّ عَلَى الْمُعْتَمَلَةِ
٣٢١	الْمُعْجِزَةُ وَالْكَرَامَةُ
٣٢٣	الْفَرْقُ بَيْنَ السَّخْرِ وَالْكَرَامَةِ
٣٢٦	إثْبَاتُ الْكَرَامَةِ
٣٢٨	الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُعْجِزَةِ وَالْكَرَامَةِ
٣٣٩	كُلُّ كَرَامَةٍ لَوْلِيٍّ مُعْجِزَةٍ لِنَبِيِّ
٣٤١	أَنْوَاعُ الْكَرَامَةِ
٣٤٣	اِسْتِثْقَاءُ لَفْظِ الْوَلِيِّ
٣٤٦	الْعِصَّةُ وَالْحِفْظُ
٣٤٨	اِتِّخَافُ
٣٥٠	مَا قَالَهُ الْقَشِيرِيُّ فِي الْوَلِيِّ
٣٥٥	الْحَدِيثُ عَنْ رُؤْيَا أَسَدٍ تَعَالَى
٣٥٧	هَلْ تَسْلُبُ الْوَلَايَةَ ؟

٣٦٠ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ
٣٦٢ مِنْهُ كَرَامَاتُ أَبِي مُسْلِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
٣٦٩ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ
٣٧٠ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
٣٧٣ أَبُو النُّخَيْرِ التَّيْنَانِيُّ

بَابُ فِي حِكَايَاتِ مُسْتَظَرَفَةٍ

٣٨١ الْمُقَدِّمَةُ
٣٨٢ سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ
٣٨٤ الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَمَّالِيُّ
٣٨٥ شَهَابُ الدِّينِ الشُّنُورِيُّ وَحَمَّالُ الدِّينِ
٣٨٧ - غُمر بنُ اخطاب (ت)
٣٨٨ - عُثْمَانُ بْنُ عَفَّان (ت)
٣٨٨ - أَبُو النُّصْر خَلَفَ اَلْمُحْصِي (ت)
٣٨٩ كَرَامَةُ لِصَاحِبِ الْمَذَبِ
٣٩٢ كَرَامَةُ فِي تَلْشِيهِ الْقَلِيلِ
٣٩٣ نَحْمُ الَّذِينَ عَيْسَى الْكَزْدِيُّ
٣٩٤ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ النَّوَوِيُّ
٣٩٨ أَبُو يَعْقُوبَ الْكَلَامِيُّ
٣٩٨ عَبْدُ رَبِّ بْنِ عُمر بن ميسر

المَوْضُوع	الصَّفْحَة
مَا نَقَلَهِ الشَّيْخُ بَدْرُ الدِّينِ	٣٩٨
كَمَالُ الدِّينِ سَلَار	٣٩٩
تَأْلِيفُ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ	٤٠١
تَصَانِيفُ الشَّافِعِيِّ وَالْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا	٤٠٢
مَا نَقَلَهِ الشَّيْخُ الْمُؤَلِّفُ	٤٠٤
أَبُو بَكْرٍ الْكَلْبِشَانِيُّ	٤٠٦
عِزُّ الدِّينِ الْأَزْبِيلِيُّ	٤٠٩
كَلِمَةُ الْخِتَامِ	٤١٢

...